المركز القومى للترجمة



المشروع القومى للترجمة

اثنتا عشرة مسرحية مختارة

من المسرح اليونانى الحديث

الطبعة الثانية



ترجمة:

نعيم عطية

2/141

اثنتا عشرة مسرحية مختارة
من المسرح اليونانى الحديث

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٤١/ ٢
- اثنتا عشرة مسرحية مختارة من المسرح اليونانى الحديث
- نعيم عطية
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة مختارات من المسرح اليونانى

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

اثنتا عشرة مسرحية مختارة
من المسرح اليونانى الحديث

ترجمها عن اليونانية وقدم لها:
نعيم عطية



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٠٦٣٣ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 0 - 293 - 479 - 977 - 978
طبع بمطابع مصر للطيران

إهداء

إلى الراحل العزيز

الناقد الكبير فؤاد دوارة

تحية لإسهامه فى خدمة المسرح المصرى ودفعه له

بكلماته المضيئة المتأنية نحو الكمال والإجادة

ن . ع

اتجاهات المسرح اليونانى الحديث

خضعت الأعمـال الدرامية «للمدرسة الأثينية الجديدة» لتأثير المسرح الأوربى المعاصـر، وبالأخص للمدرسة الواقـعية التى بدأت بالسـيادة على المسرح الحـديث . وهذا الذى حدث فى المسرح حدث فى القـصة والرواية أيضا . وعلى الرغم من أن بعض الأعمال الدراميـة الحديثة قد توفرت لها مقومات الأعمال الجيدة إلاّ أنها لم ترْقَ إلى المستوى العالى الذى وصل إليه الشعر اليونانى الحديث بل ولا حتى إلى المسـتوى الأدنى الذى بلغته القصة والرواية اليونانية الحديثة .

وقـد بدأت الأعمـال الدراميـة الحـديثة فى اليـونان بالاعـتمـاد على الموضوعات الفكهة العاطفية وقدمت أعمـال كوميدية خفيفة الظل ، بخلفية من العادات والتقاليد الشعبية، تتخللها بعض الأغانى . وقد احتذى المسرح اليونانى الحديث فى ذلك بمسرح الفودفيل الفرنسى . وفى عام ١٨٨٩ طعّم إيفانجيلوس باندوبولوس مسرحية «الطحـانون» ببعض الأغانى، فراق ذلك للجمهـور فأقبل مقدمو الأعـمال المسرحية اليونانيـة على الاحتذاء بذلك. مكثرين من مـسرحيـات الحب والغناء . وكان فى طليـعة من برز فى هذا المضمار الأثينى ذيمتريوس كـوروميلاس (١٨٥٠ - ١٨٩٨) الذى يعتـبره الكثـيرون مؤسس المســرح اليونانى الحـديث وبالأخص ؛ لأنه كمـا سنرى حالا ، لم يكتف بالكوميديات الـعاطفية الخفيفة ، بل قـدم أيضا دراميات عاطفيـة . وقد لقيت مسـرحـيته «حظ مارولاس» استـحسان الجـماهير ، وظلت تُقدَّم على المسرح الأثينى لسنوات عديدة . وقد كان ممن أسهموا فى تأليف أعمـال الفودفـيل اليونانى ذيمتريوس كـوكوس (١٨٦٧ - ١٨٩١) الذى كـتب «المعلم ليناردوس» و«القـبطان ياكومـيس» و«قـيثـارة العجـوز نيقولاس» وقد أعجب الجمهور اليونانى بهذه الأعمال فى حينها .

وقد كان ديمتريوس كوروميلاس أول من قدم فى الأدب المسرحى اليونانى الحديث المسرحية العاطفية غير الفكاهية ، معتمدة على قصة حب شجنية تتخللها الأغانى، وترتكز على خلفية من المقومات الشعبية . وهو ما يعد مواكبة للقصة والرواية التى رأيناها تبدأ بالتحرك من خلال العادات والتقاليد الشعبية . وكانت أولى مسرحيات هذا النوع الذى قدمه كورميلاس مسرحية «حبيب راعية الأغنام الصغيرة» وهى من أبدع الأعمال المسرحية ولازالت تؤثر فى كثير من العامة حتى عند تقديمها اليوم . ومن الأعمال الطيبة أيضا فى هذا المضمار «التعويذة» لسبيروس بيريسياذيس (١٨٦٤ - ١٩١٢) و «خايذو الحسناء» و«ذيمولا بائعة الألبان» لباناغوس ميليسيوتيس (١٨٥٤-١٩٠٤) .

ومن تأثيرات المسرح الفرنسى أيضا تلك المسرحيات الانتقادية ، وليس بلازم أن تكون قوية البنيان دراميًا ، والتى تُعنَى أولاً وأخيراً بالترفيه عن الناس بالسخرية من أبرز الأحداث والشخصيات، وعلى الأخص السياسية، ولاتعتمد هذه المسرحيات في كتابتها إلا على خفة ظل كتابها وموهبتهم على إضحاك الجماهير . ويرجع كثير من الباحثين هذا النوع من المسرحيات إلى منبع إغريقى قديم هو مسرحيات أرسطوفانيس الذى أثر بدوره على المسرح الفرنسى منذ ما يقرب من ثلاثمائة عام . ومن أبرز ماكتب فى المسرح اليونانى الحديث من هذا القبيل «الأحداث الأثينية» من تأليف باميس انينو ، ويورغيوس تسوكوبولوس ، وبوليفيوس ذيمتر اكوبولوس. وقد ظلت هذه المسرحية تقدم بنجاح حتى أوائل الحرب العالمية الأولى. وكان المؤلفون يعمدون إلى إضافة مشاهد جديدة أو إلى حذف مشاهد سابقة لتلائم المسرحية مجريات الأمور .

ثم يجيء ذيمتريوس فيرنارذاكس (١٨٣٣-١٩٠٧) وكان يعمل أستاذا جامعياً ، وكتب للمسرح اليونانى الحديث تراجيديات تاريخية ، منها «ماريا ذوكسابونتى» و«ميروبى» و«فاوستا» وغيرها . وقد تأثر فيرنارذاكيس بشيكسبير ، واستخدم كثيرا من موضوعاته فصاغها فى قوالب يونانية. وقد بلغ به القول إلى حد الاعتراف «بأننا عانينا كثيرا من استعباد شيكسبير لنا ، فلم نتأثر بمشهد أو بموقف لديه بل بفنه عموما . على أن النقاد يقولون عن مسرحيته «ميروبى» أنها العمل الذى تخلص من إيحاءات شيكسبير وإن كان قد ارتبط بفن يوربيديس . على أن أكبر أعمال فيرنارذاكيس المسرحية ولاشك هو «فاوستا» حيث يتجلى المؤلف شاعراً للعواطف الجامحة ، ولكن فيرنارذاكيس فى هذا العمل الذى بدت فيه جهوده الشخصية فى الحوار والمواقف والصراعات الخشنة لايتعدى إطار التراجيديا اليونانية القديمة ، فإن فاوستا تحكى محاولات زوجة الإمبراطور قسطنطين للإيقاع بكريسبو ابن زوجها من زوجته السابقة فى حبائل غرامها الآثم . ولكن الابن يرفض رغم أن الأب يسيء الفهم وتحت اعتقاده الخاطيء يأمر بقتل الابن ، وتبوح فاوستا للإمبراطور بزلتها وبراءة الابن على فراش الموت ، بعد أن يكون قد سبق السيف العزل .

وقد لقيت هذه التراجيديا التى أحكم كتابتها نجاحا منقطع النظير عند تقديمها حتى أن فرقتين كبيرتين قدمتاها فى الوقت ذاته بأثينا .

ويعتبر فيرنارذاكيس أكبر المتحدثين بلسان العصر الذى كتب فيه ، ولكن لغته الفصحى جعلت أعماله صعبة المضى قدما . وربما لو أتيح إدخال تبسيطات على لغته الجسيمة لأمكن أن يمضى فيرنارذاكيس وعلى الأخص فى مسرحيتيه «فاوستا» و«ميروبى» ليقدَّم حتى اليوم ، ولكنه على

أى حـال طواه التـاريخ وظل نقطة مـضيـئـة على الطريق الطويل الشـاق للمسرح اليونانى الحديث .

وإذا كانت الأعمال المسرحية السابقة قد كتبت شعرا ، فإن **فاسيلى فاسيلياذيس** كتب مسرحـيته «غالاتيا» نثرا ، ومع ذلك فـقد احتوت على قدر كبيـر من الوقار والدرامية التى جعلت هذه المســرحية تدرج فى برامج العديد من الفرق المسرحية حتى إلى عهد قريب . ثم نصل إلى **أنطونيوس ماتيـسيس** (١٧٩٤ - ١٨٧٥) صديق ذيونيـسيوس سولومـوس الذى كتب مسرحية «زهرة الريحان» (فاسيليكوس) ربما على وجه التقريب عام ١٨٥٦ . وقد توافر فى هذا العمل كل عـيوب الأعمال المسرحية لهذه الحـقبة كلها : المونولوجات الطويلة ، الديالوجات الممطوطة، خلط غير مبرر بين المضحك والمأساوى ، ولكن يمكن على أى حـال أن نقول عن هذه المسرحيـة - كما قال عنها كسينوبولوس - إنها كـانت بداية طريق طويل نحو مسرح الصراع بين حياة جديدة تصـارع حياة فى طريقها إلى الاندثار . وقد كـان فيها من التصوير الأخلاقى لـعادات الناس ما فيه الكفاية . فضـلا عن أنها رسمت الطريق لما عرف بعد ذلك بالمسرح الاجتماعى .

على أن أكـثـر المحاولات جـدية لإنعـاش الأدب المســرحى اليـونانى الحديث وبعث الحياة فيه جاءت من الاحـتذاء بالمدرسة الواقعية فى أوربا ، وإن اتخذت الأعمـال المؤلفة فى هذا المضمار شكل الكـوميديات . وبذلك صارت الكوميديا الواقعية هى الصحوة الجديدة للمسرح اليونانى الحديث . على أن الواقعية مالبثت أن اتخـذت فى المسرح اليونانى - كما اتخذت فى المسرح الأوربى - مسارات أخرى اجتماعية ونفسية . وقدمت بذلك أعمال مسرحية يونانية جيدة لازالت تعلق بالأذهان وتستأهل الإشارة إليها بالتقدير.

وقد كتب يانيس كامبيسيس (١٨٧٢ - ١٩٠٢) مسرحيات اجتماعية محتذيا فيها حذو النرويجى إيبسن والألمانى هوبتمان . وترجم لسترنبرج . وفى مقدمة ما كتبه «مهزلة الحياة» و«أسرار الزواج» وقد انشغل فى مسرحياته الأولى بالأمراض الاجتماعية المتوارثة ثم سعى فى مسرحياته الأخيرة إلى الخروج عن دائرة «الطبيعية» الخانقة . وفى مسرحيته اللاحقة «خاتم الأم» يصور كامبيسيس حياة الشاعر كوستاس كريستاليس الذى مات فى أسوأ ظروف العمل فى اثينا ليكتب قصائده ليلاً وسرا دون أن يكف عن أن يحلم بجمال الطبيعة وشموخ الجبال فى قريته البعيدة . وتعتبر هذه المسرحية من أفضل المسرحيات اليونانية التى استخدم فيها أسلوب سترنبرج فى خلط الأحلام بالواقع .

ثم يجىء غريغوريوس كسينوبولوس (١٨٦٧ - ١٩٤٥) الذى كتب بالإضافة إلى قصصه وواياته أعمالا مسرحية عديدة بعضها كوميدية وبعضها مأساوية : كما أنه أعد بعض قصصه إعدادا مسرحيا وأحالها إلى أعمال للمسرح . وفى كثير من مسرحياته كما فى رواياته استخدم الصراع الذى شهدته زاكيتوس مسقط رأسه فى منتصف القرن الماضى بين الطبقة الراقية المهذبة المنحدرة وبين الطبقة الصاعدة من الأجلاف الذين لم ينصقلوا بعد، فكانت أعماله صراعا بين التهذيب والفظاظة . كما عالج كسينوبولوس فى مسرحه مشاكل اجتماعية وأخرى نفسية طرحتها أمامه معاينة الحياة اليونانية المعاصرة له وبالأخص فى العاصمة أثينا . وكانت أقدم مسرحياته بعنوان «الأب الروحى» ويعتبرها بعض مؤرخو المسرح أول مسرحية اجتماعية يعرفها المسرح اليونانى الحديث .

وبمسرحيـة «الأب الروحى» – التى يسدل بها الستار على عـهد بأسره من المســرحيـات التاريخـية والاسطورية – يدخل كـسينوبولوس إلى عـالم المسرح . وبمسرحيته «سر الكونتيسة فاليرياناس» (١٨٠٤) يضع كسينوبولوس قدمـه على طريق المسـرحيات التـى ستجلب لـه المجد والشهـرة . ولكن الطريق كـان لازال أمامـه طويلاً ولم تنجح «الرمـزية» التى انطوت عليهـا المسرحية أن تثـير انفعال الناس أو تعاطفهم وفى هذا العمل نجـد الكونتيسة تضطر حفـاظا على مبادئهـا ومستـوى أسرتها الرفـيع أن تضحى بحيـاتها منتحرة . وبهـذه الطريقة وحدها تظل محتـفظة بعلو قامتها وشمـوخها . ولكن الكثيريـن لم يستسيغـوا هذه النهاية التى وإن احتوت على مـقومات رمزية إلا أنها بدت مفتعلة وغير مقنعة .

ثم كتب كسينوبولوس عن الحياة اليونانيـة المعاصرة بسماتها التى تميزها، بحيـث لا يتردد القارئ فى أن يـجزم بأن ما يقـرأه مسـرح يعرض الحـياة اليونانية المعاصـرة بلحمها ودمها ، ولكل شعب فى حيـاته سمات تميزه . وهو مـا كان لكسـينوبولوس فضل المـسارعـة إلى التنبه إليـه والتقـاطه فى مسرحـه. وشخصيـات كسينوبولوس ليست هى الشـخصيات التى نقـابلها ونلتقى بها كل يوم فى الطرق والميادين العامة وحلبة الصراع من أجل الحياة فحـسب ، بل هم أولئك الذين لا يمكن أن نقابلهم إلا فى اليـونان ذاتها . وقد عنى كسينوبولوس عـلى الأخص بالتفاصيل النفسية لشـخصياته ، مع تبسيط الشكل المسرحى التقليدى . وتبدو مـسرحياته وطيدة البنيان ، تسرى فى أرجائها نفحة من البساطة المحببة ، بفضل لغة حواره البارع .

وقد استقى كسينوبولوس بعض مسرحياته من أعمال أخرى له قصصية وروائية مثل «الصـخرة الحمراء» وبطلتهـا فوتينى ساندرى . كما أن سـتيلاً

فيولاندى أيضاً استقيت من عمل قصصى له . وهنا نجد صراعا بين شخصيتين شديدتى العناد : الأب والابنة التى تموت فى غرفة ضيقة كان قد سجنها أبوها فيها . وفى مسرحيته «راحيل» (١٩٠٩) يتصدى كسينوبولوس لموضوع تاريخى . أما فى مسرحية «الفتنة» فنجد خادمة جميلة تطيح بعقول الرجال جميعا فى أحد البيوت الكبيرة ، وهو موضوع أخنى عليه الدهر وشرب كما يقولون ، ولكن موهبة كسينوبولوس المسرحية زودته بما جعله وثيقة اجتماعية وأخلاقية وشهادة على عصر .

وفى «سبت الأرواح» (١٩١١) تبدو السيطرة للموتى على الأحياء . ماتت «جميلة» الأخت الكبرى لقسطندى ، ولكنها لازالت تتواجد وتحيا فى ذلك القصر الريفى الرحيب . لازال أهلها يذكرونها ويحاولون اتباع مشيئتها وما أوصتهم به . بل إن ماريا زوجة قسطندى تراها وتشعر بها تراقبها وتتعقبها . إنه شبح جميلة التى كانت حال حياتها تسمم حياة ماريا ، حتى دفعت بها إلى أن تقتلها بأن تسللت ليلة موتها إلى غرفتها وفتحت شباكها خلسة حتى قضت برودة الليل على المريضة التى كانت تعانى من الحمّى .

وتطارد «جميلة» بعد موتها ماريا وتعذبها . وفى الذكرى السنوية لوفاتها تستيقظ ماريا مبكرا كى تهرب إلى قريتها ومسقط رأسها تاركة بيت زوجها المسكون بروح غريمتها . وتكون ماريا قد اتفقت مع عشيقها ليغيرو على أن يعد لها الجواد الذى ستهرب به ، لكن زوجها يشعر بها ويفضح خديعتها ، فتنهار وتعترف له بأنها قتلت أخته ، فتلقى من زوجها القتل جزاءً . إنها مسرحية من فصل واحد تحمل من سمات أحلام سترندبرج الكثير ، وتتخللها رقصة الأرواح التى تفصل بين شطريها وتضفى عليها مزيداً من الفتنة المستقاة من قوة الخيال .

وفى «الملاك» (١٩١١) يصور لنا كينوبولوس الحياة الاجتماعية لأسرة أثينية . وفى هذه الأسرة يتقدم من يخطب الابنة الكبرى ولكن الابنة الصغرى تخطفه من أختها ، فتبين بذلك عن خبث ودهاء يستتران وراء قناع من البراءة المصطنعة . وفى مسرحيته «المدللة» يقترب كسينوبولوس من موضوع مسرحيته السابقة «الملاك» فإن إيماجاسبارى بطلة مسرحية والمدللة» لاتلبث أن تكتشف أنها ليست الابنة الوحيدة لأبيها الذى كان قد رزق بابنة أخرى هى تيريزا من زواجه الأول. فتغار منها إيما ، ولكنها تكتم غيرتها هذه حتى يأتى اليوم الذى تخطف المدللة من تريزا خطيبها . وتبين تيريزا عن شخصيتها القوية ، فتغادر المنزل وقد أحست بهزيمتها إزاء عواطف أختها الضارية . وفى عام ١٩١٣ كتب كسينوبولوس مسرحيته الكوميدية الاجتماعية الأخلاقية «وردة لافاندى» . وفى «شرف الأخ» المستقاه من روايته - «التلاميذ» يبسط كسينوبولوس بانوراما اجتماعية أخلاقية لعصره . وفى مسرحيته «الإنسانى» نجد محاميا كبيرا يكتشف أن أهله قد أخفوا عليه أنه مصاب بسرطان سيقضى عليه بعد سنوات قليلة وآلام مريرة . فتتصارع بداخله غريزة البقاء وغريزة الموت ، وهما متشابكان كثيراً فى أعماق الإنسان وبشكل مخيف . ثم يرضخ المحامى الكبير فى النهاية للموت ويسلم نفسه للآلام بعد أن يزوج ابنة أخته بتلميذه وخليفته فى مكتبه . ويموت قرير العين قائلا عن الموت والألم إنهما وحدهما طريق الإنسان .

وقد ألف كسينوبولوس - كما يقول الناقد الكيس ثريلوس - أن يغزل مسرحياته فى براعة بخيوط قصة غرامية . ولعله يستفيد فى ذلك بذكريات من سنوات شبابه الأولى . ثم يغمس هذه القصة فى بيئة اجتماعية يمضى فى تعقب طباعها وضغوطها وقيمها الأخلاقية .

ويحدثنا كسينوبولوس عن تجربته المسرحية بصفة عامة ، ويفسر لنا لماذا هجر «المسرح الذهنى» أو «مسرح الأفكار» بعد أن فشلت تجربته الأولى فى مسرحيته (الكونتيسا فاليوياناس) فيقول :

«جعلنى هذا الفشل أفكر طويلا دون أن أفقد ثقتى بأهمية المسرح . وتبينت أننى كنت قد سرت فى طريق مسدود . كنت أواجه الجمهور بأعمال تتجاوز قدرات فهمه المحدودة ، بل ولا يحس بها أيضا . وبالتالى لايحبها . إن الفن ، أيا كان هذا الفن ، فى جوهره يعتد بالمستوى الاجتماعى لمن يُصْنَعُ لهم هذا الفن . فإذا لم ينجح فى التلاقى بصفوة عقول من فى العصر فإن العمل يكون غير مجد ، مجهدا بلا طائل ، ولا داعى له . ولن يصر على الاستمرار فى مثل هذه الأعمال إلا من كان مجنونا، أو عبقريا متعديا إطار زمانه ، لن يشهد نجاح أعماله حال حياته».

ولما كان كسينوبولوس من غير المجانين والعباقرة ، ولا حتى من محبى «الفن للفن» فقد سعى لحل المشكلة فتساءل

«ماذا على كاتب مسرحى يريد أن يواجه الجمهور الأثينى فى أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين – ماذا عليه أن يقدم دون أن يخرج أيضا عن إطار ما يعتبر فنا ؟»

وقد عذّبته هذه المشكلة خمس سنوات كاملة . وبعد ذلك وجد سبيله بأن استقى من قصصه وروايانه الرائجة موضوعات وأبطالاً لمسرحه . وقد كان ذلك الاتجاه مفيدا للمسرح اليونانى الحديث ، الذى منذ مسرحية «فاوستا» لفيرنارذاكيس لم يكن قد عرف أعمالا جادة ناجحة حقا .

ثم يأتى سبيروس ميلاس (١٨٨٣ - ١٩٦٦) . وقد كانت مسرحيته «ابن الظلال» أو أن شئنا . . ابن الضلال . . صراعا مريرا وميلودراميا لرجل يرتكب أبشع الشرور من أجل الزواج بالمرأة التى يحبها . وعندما يصل فى النهاية إلى الحصول على موافقتها على الزواج تكون نهايته قد دنت . فقد زل زلته الأخيرة واعترف لها بكل ما فعله وعاناه من أجل الظفر بها . وعندما يستبد الرعب بقلب المرأة منه وتقرر إبلاغ السلطات عنه ، يلقى بنفسه فى اليم مفضلا الانتحار على أن تقتص منه السلطات لجرائمه . وقد اتصف هذا العمل بالخيال الجامح والمشاهد الدرامية العنيفة مما لفت إليه أنظار النقاد .

ثم كتب ميلاس مسرحيته «القميص الأحمر» وفيها تقع ترانـدافيليا زوجة رئيس العمال ستافرو فى غرام أخيلياس وهو فتى يتقن فنون الغزل . فيتعارك الزوج والعشيق ويقتل الزوج العشيق لكنه يطعن نفسه أيضاً منهيا حياته لتبقى المرأة الآثمة أمام جمهور النظارة سببا للشقاء كله .

كما كتب ميلاس «البيت الخرب» الذى احتذى فيه بهوبتمان وجوركى ولكنه يظل عملا شجنيا يتأرجح بين «الطبيعية والرمزية» . ومن مسرحيات ميلاس أيضاً «الأبيض والأسود» حيث نعجب ببطلتها الفتاة العانس . ولكن ميلاس أيضا يمضى إلى السخرية الانتقادية مصورا شخصية طبيب يهجر الطب ليعلم الناس الرقص كعلاج من أدواء المجتمع ، وشخصية الأخ الذى بدلا من أن يقتل أخته ليمحو ما ألحقته به من عار ، يكتفى بأن يسلمها المسدس وخطابا مكتوبا على الآلة الكاتبة ، كلمة لوم وعتاب . كما كتب ميلاس مسرحية كوميدية ناجحة بعنوان «بابا المعلم» وفيها يحكى عن شاب يحاول أن يتخلى عن حرفة أبيه حتى يرقى إلى طبقة اجتماعية أعلى ، فيتعثر حاله ويتدهور ماديا ومعنويا . ولا يجد له مخرجا إلا فى

العودة إلى الوقوف بجوار أبيه العصامى الشريف الذى يكسب لقمته بكده وشقائه . وقد حفلت هذه المسرحية بحيوية دافقة من المواقف التى تبعث الضحك إلى القلوب من خلال كشف العيوب الإنسانية والزوايا الاجتماعية .

وفى مسرحيته «ليلة بالعمر كله» أو «الحياة ليلة» نجد الأب يريد أن يزوج ابنته من رجل غنى لاتحبه ابنته لمجرد أن يحصل على أربعين ألف دراخمة يسدد بها ما اختلسه من خزينة الشركة التى يعمل بها صرافا . وإزاء رفض الفتاة وعنادها يحاول الجميع الإسراع بإجراء مراسم الزواج . ولكنها تطرد الزوج وتهرع إلى رئيسها فى العمل وتبيع نفسها له مقابل الأربعين ألف دراخمة التى يدفعها لقاء ليلة متعة يقضيها معها . وهكذا على حد منطق الفتاة ومنطق ميلاس الذى يتصف بالسخرية الانتقادية الاجتماعية تؤثر أهون الضررين فتبيع ليلة واحدة من عمرها بدلا من أن تبيع العمر كله! .

وأبطال ميلاس فى مسرحياته الانتقادية الاجتماعية يأكل قلوبهم قلق دفين ، وتتأجج فيها ثورة حارقة للعمل على تصحيح الأوضاع ، ولكن الظروف الاجتماعية المحيطة بهم على الدوام أقوى منهم ، فلا يتوصلون إلى شيء ذى بال .

ولكن سبيروميلاس ما يلبث أن يهجر المسرح الاجتماعى بمسرحيته «يهوذا» إلى المسرح التاريخى الذى سيقدم من إطاره أفضل أعماله . ومن أحسن الأعمال فى الأدب المسرحى الحديث فى اليونان مسرحية ميلاس التاريخية بعنوان «بابا فليساس» التى تحكى حياة هذا المناضل الشعبى وميتته البطولية . وقد حفلت بالتصوير الحى للأشخاص والمواقف .

أما بانديليس هورن (١٨٨١ - ١٩٤١) فقد عنى منذ مسرحيته الأولى عام ١٩٠٨ أن يتتبع انهيار الأسر والأفراد بسبب الضغوط التى تجلبها المقتضيات الجديدة للحياة العصرية . وفى مسرحيته «البنت الصغيرة» عام ١٩٢١ وهى أفضل مسرحياته نراه يتابع الانحدار الأخلاقى لشابة من الطبقة العاملة راسما فى الوقت ذاته لوحة عريضة للحياة الاجتماعية والأخلاقية بأثينا فى عصره . وتدور أحداث هذه المسرحية فى فناء عمارة قديمة آهلة بالسكان فى حى شعبى من أحياء اثينا ، وهو حى البلاكا . ويسبح العمل كله فى طوفان من الاتجاه الطبيعى بكل مبالغاته فى إبراز فظاظة الحياة فى الحضيض . ولكن هورن مالبث أن خرج من أسرار الطبيعية إلى ما هو أرحب منها فى مسرحية «فلاندور» حيث يقدم قصة هوى جامح . وقد اتصف هورن بأنه كاتب متدفق غزير الإنتاج وذو قدرة على الابتكار ودقة الملاحظة ، وإلمامه عميق بالبيئات الشعبية التى يكتب عنها .

وقد كتب بافلوس نيرفاناس (١٨٨٦ - ١٩٣٧) مسرحيته المسماة «المهندس المعمارى مارثاس» حيث نجد هذا البطل موقنا بأنه يستطيع بإخفاء الحقائق المؤسية أن يكفل للناس تفادى اضطرابات الحياة . ولكن القدر له بالمرصاد . كافح كفاحا مريرا وبنى بيته على عمد ثابتة حلت محل أنقاض وخرائب . وعندما قتل أخوه فى كريت جعل أمه التى كانت ستلحق به لو علمت بالنبأ الفاجع - جعلها تعيش من بعده ثلاث سنوات من السعادة . وبسط أمام عينيها الهرمتين أحلى الأكاذيب . وعندما أغمضت عينيها الإغماضة الأخيرة تركت أجمل الدعوات لابن ما كان له فى الحياة وجود . وعندما جاء القدر ليضرب ضربته التالية فأنبأه الطبيب أن أباه مقضى عليه بالموت ، لم يبد عليه حزنا أو وجوما ، وراح كى يخفى النبأ يحضر حفلة راقصة بهيجة راقصة . وعندما بلغه نبأ الخراب المالى الذى حل بحميه

والموت الذى حاق به أخفى النبأ عن زوجته ، وخرج معها فى رحلة بحرية غرقا فيها . وهكذا جنب زوجته التعاسة وحقق لها موتا لا مفر منه ولكنه مجرد عن أحزان الحياة وتعاسات الحقيقة .

ومن أعمال نيرفاناس المسرحية أيضاً «الأم ذات الخمسة أبناء» و«عصفور الجنة» (١٩٠٨) و«عندما تنكسر القيود» . وفى كل هذه الأعمال تسود روح شاعرية وإحساس عميق بالجمال . وكثيرا ما يعوض سحر البيان نقائص الدراما .

وقد كان كوستيس بالاماس أكبر شعراء اليونان المحدثين قد كتب مسرحية وحيدة بعنوان «ست الحسن والكمال» وتحكى عن فتاة فى قرية إلى جوار البحر عند – ميسولونجى ، وتتميز هذه الفتاة بجمالها وطيبة قلبها ، لكنها تسقط فريسة لشهوات الناس ودناءتهم ، وقد عجزوا عن تقديرها حق التقدير . وهذه المسرحية الوحيدة لبالاماس تعتبر من أبدع المسرحيات وأكثرها شاعرية فى مجال المسرح اليونانى الحديث كله . ويجد فيها بعض النقاد عيوبا فى البناء الدرامى لكن ما من أحد ينكر قوتها الشاعرية .

كما كتب الشاعر زخارياس باباندونيوس مسرحيته «قسم الميت» وقد حفلت بالمشاهد الخيالية والقيم الأخلاقية . كما كتب المسرحية الشعرية كل من افتاليوتيس ، وفوتيريذيس ، وبوريوتيس .

وبالإضافة إلى هؤلاء يمكن أن نشير من المحدثين إلى تانجوبولوس الذى كتب أعمالا مسرحية اجتماعية ذات نزعة اشتراكية مثل مسرحياته «أحياء وموتى» و«أغلال» و«عند الباب الخارجى» كما كتب ذيمتريوس بوغريس مسرحيتى «أفراح الخطوبة» و«الغولة» كما يجدر بالإشارة إلى ثيوذوروس سينوذينوس وإنجلوس ترساكيس وليذوريكيس الذين كتبوا

مسرحيات كوميدية وأخرى جادة . كما كتب **إيموس مورياتينيس** كوميديات كثيرة ناجحة كانت أفضلها «الحياة إلى الأبد» وتحكى عن العطش الإنسانى إلى اكتشاف أكسير الشباب ، بل أن هذه المسرحية تعتبر من أفضل الكوميديات فى المسرح اليونانى الحديث بأسره . ومن كوميديات مورياتينيس أيضاً «البيت العصرى» و«سيد العالم» وقد عرف عن كوميديات هذا الكاتب لذعة الأسلوب وقسوة المعالجة .

وجدير بالذكر أيضاً أن الكاتب المسرحى **نيقولاوس لاسكاريس** كتب مؤلفًا عن «تاريخ المسرح اليونانى» يعد مرجعا هاما فى الموضوع .

ويجدر أن نشير هنا أيضاً إلى **ديميترى بساثاس** ، الذى إذا قيل عن آخرين من كتاب المسرح أن أعمالهم تقرأ أكثر مما تشاهد ، فإن العكس هو ما يصدق عن مسرحه ، فإن شخصياته المسرحية تتمتع بحضور كبير ، ومشاهدة أعماله لا تبعث لدى المشاهدين قدراً كبيراً من الضحك فحسب ، بل وأيضاً تدفع إلى كثير من التأمل ، وإعادة التقييم ليس للمواقف الاجتماعية فحسب ، بل وللعلاقات الإنسانية بصفة عامة . ولهذا حق أن يقال عن بساثاس إنه ورث الكثير عن أريستوفان الكاتب الإغريقى الكبير .

أما الشاعران **انجيلوس صيقيليانوس ونيقوس كازنذاكيس** فقد كتبا التراجيديات بموضوعات تاريخية وأسطورية . ويشك البعض فى قيمة أعمال هذين الكاتبين من حيث الصلاحية للتقديم على خشبة المسرح ، ولكن مامن أحد يشك فى عمق الأفكار التى احتوتها هذه التراجيديات . ولهذا كانت هذه الأعمال جديرة بالتأمل والدراسة ، وبخاصة أن بعض ما انطوت عليه من شخصيات وأحداث ذات دلالات عالمية . وأهم تراجيديات صيقيليانوس هى «سيفيلا» وتستقى مادتها من زيارة نيرون

لليونان و«ديدالوس فى كـريت» و«المسيح فى روما» و«مـوت ذيوغينيس» . أما تراجيدات كارندزاكيس فنشير منها إلى «نيكيفوروس فوكاس» و«المسيح» و«اوذيسياس». كـما عنى جورج ثيـوتوكا بالحكايات الشعبـية ذات العمق الفلسفى الإنسانى واستطاع أن ينهض بالعطاء الشعبى إلى مستوى مشكلات الإنسان المعـاصر . واختار منـها على سبيل المثـال حكاية رئيس البنائين ، وبنى عليها عملاً مـسرحياً حديثاً بعنوان «جسرآرتا» وقد اسـتفاد ثيوتوكافى كتـابتهـا ايضاً بالمسرح الأوروبى وبالأخـص مسرح شكسـبيـر وطعم أيضاً مسرحيته بكثير من المشاهد الغنائية .

على أن المسرح اليونانى الحديث عرف بعد الحـرب العالمية الثانية جيلاً اعتز أفراده بأنهـم «أوروبيون» أكثر من أى شىء آخر ، وتقبلوا عطاء المسرح الأوربى الحديث على أنه شىء يخـصهم هم أيضاً ، وأنه ليس شيئـا غريبا عنهم . أى أنهم رفضـوا أن يتباعدوا عن تياراته ، وذلـك بأعراض لايبرره سوى وجوب أن تـتجه انظارهم إلى تراثهم الإغريقى العـريق دون سواه . وفى طليعـة هؤلاء الكتاب اليـونانيين سبـعة هم ديمترى كـتمـائيدس الذى قدمت أولى مسـرحياته عام ١٩٥٧، وفاسيليس زيوغاس الذى قدمت أولى مسرحياته عام ١٩٦٠ وكوستاس مـورسيلاس الذى قدمت أولى مسرحياته عام ١٩٦٣ ولولا اناغنوسـتاكى التى قدمـت أولى مسرحـياتهـا عام ١٩٦٥ وبافلوس ماتيـسيس الذى قدمت أولى مـسرحيـاته عام ١٩٦٧ وستـراتيس كاراس الذى قدمت أولى مسرحياته عام ١٩٦٨ ويورغوس سكورتيس الذى قـدمت أولى مسـرحيـاته عام ١٩٧٠ وكـانت بعنوان « المربيات» واعقـبتـها «الموسيقى» عام ١٩٧٢ «القاراقوز كاد أن يكون وزيراً» عام ١٩٧٣ و«شظايا وأشـلاء» عام ١٩٧٦ ثم «إلى أين يـذهب الأوتوبوس» عام ١٩٧٨. وقـد اعتـبر هـؤلاء الكتاب أن مـشكلات الإنسان المعـاصر هى مـشكلاتهم هم

بدورهم . كما اعترفوا بأن المسرح الأوربى كان له تأثيره الكبير على المسرح اليونانى المعاصر الذى ترجم وقدم على خشبته الكثير من أعمال شيكسبير وإبسن وسترنبرج وغيرهم . فليس من الصواب فى شىء السير فيما سار فيه غالبية أسلافهم ومعاصريهم من أن التجربة الوحيدة التى يجب أن يعتد بها كاتب المسرح اليونانى الحديث هى المسرح الإغريقى بتقاليده وانشغالاته وطقوسه التليدة .

وقد كانت مشاكل المسرح اليونانى الحديث أكثر تعقيدا من المشاكل التى قد تعترض سائر ضروب الفن والأدب . ذلك أن تأثير المسرح الإغريقى لا يقاوم . وعندما استيقظت أوربا من عصر النهضة والمسرح الإغريقى مستحوذ على الاهتمام هناك أيضا . وفى اليونان بدلا من أن يضحى المسرح الإغريقى القديم مجرد تراث ، أصبح عقبة أمام تطورالمسرح الحديث إزاء المطالبة بأعمال تحاكى أعمال ذلك المسرح .

إن المسرح يحتاج أكثر من أى ضرب آخر من ضروب الفن إلى الاستقلال . إن لم يكن يحتاج إيضاً إلى الحرية ، وذلك فضلا عن احتياجه إلى جمهور على قدر من التفتح، ينشغل بالجاد من مشاكل الاخلاق والاجتماع والسياسة . وليس من العويص أن نتبين أن تدهور المسرح الإغريقى جاء تبعا لانحطاط الأحوال لمدينة أثينا . وحتى عندما سادت المسيحية الإمبراطورية الرومانية ، فإن ذلك لم يتح للكاتب . إن كان قد وجد أصلا الحرية أن يعبر فى أعماله المسرحية عن آراء وأفكار تعارض العقيدة السائدة ، دون أن يعرض نفسه لمتاعب غير مرغوب فيها . ولقرون طويلة لم يكن من الحكمة فى الدولة الرومانية أن يعلن الكاتب أفكارا معارضة . وعندما تحولت الدولة الرومانية إلى المسيحية استمر الوضع على ما كان عليه . وكل ما حدث أن ظهرت

أعمال مستوحاة من الإنجيل والتوراة . ولعل الجمهور الذى كان يهتم بالمسرح في الدولة الرومانية المسيحية كان على ما يبدو مشاطرا لدولته في تصورها للحقيقة . وبعبارة أخرى . لم يكن ذلك الجمهور من قبيل الجمهور المعتز بحريته الذى سمح لإبسن أولشو أن يقدم على خشبة المسرح نقده الجاد لعادات العصر وأخلاقياته .

وقد كان نتيجة ذلك عدم وجود المسرح فى الدولة البيزنطية ، وكانت الجناح الشرقى من الإمبراطورية الرومانية ، فيما عدا الأعمال الدينية ، كما لم يكن للمسرح وجود ملحوظ فى غرب أوروبا حتى نهاية العصور الوسطى للأسباب ذاتها .

وقد كان لكريت عطاء مسرحى أبان ارتباطها بإمارة البندقية ، ولكن مع الاحتلال التركى للجزيرة عام ١٦٦٩ أُخرِسَ كل شيء . وعلى أى حال فقد أثْرت تلك الأشراقة الكريتية القصيرة الأدب اليونانى بأعمال مثل «تضحية إبراهيم» و«ايروفيلى» ولئن كانت هذه الأعمال ما عادت تقدم على المسرح ، فعلى الأقل يقرأها محبو المسرح . وإذا كانت قد عجزت عن إرساء دعائم حركة مسرحية إلا أنها أثْرت التراث المسرحى اليونانى .

وفى هذا كله تقول لولا اناغنوستاكى ،وهى واحدة من الكتاب السبعة الذين قامت على أكتافهم حركة المسرح اليونانى الحديث فى الخمسينات من هذا القرن : «كانت حركة المسرح الحديث فى اليونان بحاجة إلى أن تجاهد ضد التقاليد المسرحية القومية التى زُعِمَ بأنها لا تزال موجودة . أن المسرح الإغريقى القديم بكل عظمته شكل عبثا جسيما وقف فى وجه الإبداع المسرحى أكثر من دفعه إلى التطور . وقد كان التلويح بهذا المسرح العريق ، الذى أصبح ذا طابع سياحى جذاب أيضاً ، للكاتب المسرحى المعاصر كتحد

ومعيار ، يصيب الحركة الابداعية بنوع من الإحساس بالعجز والشلل ، وقد كان الأحرى أن يكون بلوغ عظمة هذا المسرح خاتمة مطاف أكثر منه بداية طريق . فعندما تشحذ الحركة المسرحية الحديثة قواها الإبداعية فقد تصل إلى عظمة مماثلة لعظمة هذا المسرح التليد . إما البدء بتقليده والتبعية له فليس من شأنه إلا التردى فى العُقم والفشل ، وذلك على الأخص لأن المسرح ظاهرة اجتماعية ترتبط بالظروف الثقافية والفكرية والسياسية لمجتمع فى لحظة من لحظات تاريخه ، فإذا تغيرت معالم تلك اللحظة ، وبخاصة إذا كان قد مضى عليها آلاف السنين ، فإن إعادة التجربة وعصرنتها لا توصل إلى شىء ذى بال . لذلك فقد قررنا نحن كتاب المسرح الحديث فى اليونان أن ندير ظهورنا للمسرح الإغريقى ، مع تقديرنا على أى حال للتجربة بذاتها ولذاتها . ومنذا الذى يستطيع الا ينحنى تقديرا أمام هذا المسرح التليد ؟ إن موضع فخارنا أننا كنا من الشجاعة والإخلاص لفكرة المسرح حتى أننا رفضنا ذلك الأنموذج القومى المهيب . »

وعقب ثورة ١٨٢١ تجلى مثل جديد على عدم التواصل والانفصام فى التاريخ الحضارى اليونانى . فقد مضى كتاب المسرح لسنوات عديدة يكتبون أعمالهم بلغة فصحى كانت عنوانا على العقيدة الرسمية السائدة من أن الدولة اليونانية الحديثة هى الوريث الشرعى للحضارة الإغريقية القديمة ، ولكن العطاء الشعبى فى مجال الفن والأدب جلب معه حقيقة أخرى مؤداها أن اليونان الحديثة هى مزيج من إسهامات منوعة . وباستثناء عمل أو عملين لأنطونيوس ماتيسيس وفيراندينيو تظل أعمال العشر سنوات التالية لثورة الاستقلال للأسف غريبة عن الفكر اليونانى الحديث ، ويفصلها سور من لغة عجفاء تفتقد النبض الذى يجعلها قادرة على إيصال ما تحتويه من مشاعر وأفكار . وفى أواخر القرن التاسع عشر مع غلبة اللغة

الشعبية بدأت تظهر على المسرح أعمال لكتاب جادين . وفى هذا المقام يسجل بالاماس فى «رسالته إلى إبسن» أنه لو قُدِّر أن تزهر عندنا حركة مسرحية جديرة بالتقدير عاجلاً أو آجلا فلن يكون ذلك إلا على أيدى كتاب ينتسبون إلى إبسن أكثر مما ينتسبون إلى فيرنارذاكيس أورانجافى ، وهما من كتاب ما بعد ثورة الاستقلال .

ولكن عند هذه النقطة بدت المشكلة الدقيقة للعطاء المسرحى الحديث ، وهى مشكلة ما كان لها من حل إلا إقصاء اللغة غير الشعبية ، وهو مالم يفعله كتاب المسرح اليونانى الحديث فحسب ، بل وأدباء اليونانية الحديثة أيضاً . هذا ما فعله بانديليس هورن وسبيروس ميلاس وكسينوبولوس ألمع أسماء المسرح اليونانى فى الثلاثين سنة الأولى من هذا القرن ، وقد تابع هؤلاء جميعا المسرح الأوروبى ويمموا شطره . وهذا ما فعله أيضاً بالاماس فى عمله المسرحى الوحيد «ست الحسن والكمال» الذى وإن كان قد كتبه عام ١٩٠٢ إلا أنه لم يقدم على المسرح إلا عام ١٩٣٥ أى بعد ثلاثة وثلاثين عاما من كتابته .

ويقول الناقد توماس دوليس عن الكتاب السبعة الجدد أنهم يجلبون إلى المسرح اليونانى أملا فى عطاء جديد . وأياً ما كان الحكم على حركة هؤلاء الكتاب إلا أنهم يذكروننا على أى حال بذلك الجيل اللامع من كتاب الرواية الذين ارسوا دعائم «الرواية اليونانية الحديثة» فى الثلاثينات من هذا القرن .

والذى يجمع بين هؤلاء الكتاب أنهم أوروبيون يتحركون – مع بعض الفوارق فيما بينهم – فى إطار الحضارة الأوربية الرحيبة ويشاركون فى الحركة الأوربية لا كمترجمين أو مقلدين عن بعد ، فينتظرون أن يأتى

غيرهم بالجديد من الأفكار والأساليب كي يكتفوا باقتفاء خطاهم ، بل أنهم يبدون فى كثير من الأحيان أكثر جرأة وإقداماً وثقة بما يفعلون ، من رفاقهم الطليعيين في المسـرح الأوربى والأمريكى . على أن الشىء الذى قد يكون مثـار أسف بحق - على حد قول النـاقد توماس دوليس - أن يتـضح بعد ذلك أن مجتمعهم لا يستطيع ، لاعتبـارات كثيرة ، أن يتابعهم فى تجربتهم الفنية والإنسانية ، ولكن عندئذ سـوف نكون من جديد إزاء التجربة المكررة دومًا ، تجربة الفنان الذى يجد بلده أضيق بكثير من أشواقه وتطلعاته .

لقد قدمت أعمال هؤلاء الكتاب الجدد على مسارح عديدة فى أثينا ، منها «المسرح الحـر» و«المسرح التجريبى» و«مـسـرح العصر الجـديد» ومسرح «المسيرة» بل وأيضا «المسرح القومى» ذاته ، لكن المسرح الذى تبنَّى أعمالهم بحق هو «مـسـرح الفن» لصاحبه المخـرج الطليعى **كارولوس كون** ، الذى ناصر هذه الاتجاهات بكل قوته ، ولم يكتف «مسرح الفن» بأن قدم أعمال الجيل الجديد من الكتاب ، بل صار أيضا مركزا لتجمعهم ومعملا لتجاربهم .

لولا أناغنوستاكى

لقاء في الليل

قـدمت «لقـــاء فى الليل» أول مـرة ، مـع مـسـرحـيـتـى «المدينة» و«الاستعـراض» فى سهرة واحدة بعنوان «المدينة» على مـسرح «الفن» بأثينا فى مايو عام ١٩٦٥ .

الشخصيات

مـيـمـى : فى حوالى الأربـعين من عمره ، من النظـرة الأولى إليه يبدو عليه «عدم الاكتراث» ، وعصبيته لاتبدو لها دلائل خارجية قوية .

صـوفـيـا : فى السـادسة عشـر من عمـرها . لا تهدأ حـركتـها ، صـفيـقة ، تكاد تكون عـدوانية الطابع ، وفـيهـا شىء شيطانى نفعى داخل تفاهة وجودها اليومى .

العـجـوز : عجوز رقيقة حنون . حركتها بطيئة متشنجة .

(غرفة ذات أثاث غير متجانس ، من بقايا مختلف المستأجرين الذين مروا بها فى أزمان متفرقة . أريكة فسيحة ، منضدة سرير ، دولاب لأدوات المائدة ، مدفأة حديدية . فى الوسط منضدة عليها مصباح كهربائى بغطاء مهدب الحواشى . النور مضاء . دولاب صغير ذو أرفف ، وبضعة كراس . الباب الرئيسى إلى اليمين يطل على العتبة . وعندما يفتح يبين الممر الخارجى والدرجات الأولى لسلم يقود إلى الطابق الأعلى.

على اليسار باب آخر يقود إلى المطبخ .

عندما يفتح الستار تبدو العجوز مولية الجمهور ظهرها ، منحنية على الدولاب الصغير ذى الأرفف . تسمع موسيقى منبعثة من أرغن صغير . تستدير العجوز ببطء نحو الجمهور . يتضح الآن إنها تمسك ساعة قديمة تصدر عنها الموسيقى . ترفع الساعة ببطء إلى أذنها . تبتسم ابتسامة خفيفة . تخفض الساعة عن أذنها وتوقف الموسيقى . وبقطعة من قماش تمسك بها فى يدها تنظف الساعة . ثم تشرع بحركات بطيئة عقيمة فى تنظيف الأثاث . تستدير وتنظر إلى المصباح المضىء . ترفع قليلا يدها ممسكة بقطعة القماش ، كما لو كانت تريد أن تنظفه، ولكنها تعدل عن ذلك وتغمض عينيها قليلا ، وتخفض يدها . بحركات وئيدة تكاد تكون آلية تمضى إلى المدفأة الحديدية ، وتحاول أن توقدها .

يدق الجرس . وبدأت الخطوات تذهب إلى الباب وتفتحه . تدخل صوفيا . ترتدى معطفا سميكا ومنديلا على رأسها ، وتحمل حقيبة يد ، وحقيبة سفر كبيرة) .

العجوز : (بعذوبة ، مبتسمة ابتسامة واهية ، وبصوت ناعم) مساء الخير ، تفضلى .

صوفيا : (دون أن تتحرك . بارتباك قليل) من يسكن هنا ؟

العجوز : (على ذات حالها) تفضلى . إنه ينتظرك . ينتظرك أنت . (تخطو صوفيا داخلة) تأتين من بعيد ؟ (تنظر إلى الحقيبة) ضعى حاجاتك هنا . تبدين متعبة . لحظة ، سوف أناديه .

(تمضى خارجه من باب المطبخ . تجيل صوفيا بصرها فيما حولها . تخلع المنديل وتنفض شعرها . تعود العجوز بمظهرها السابق) .

العجوز : سيحضر بعد دقيقة ، أما أنا فسأبادر بالانصراف . رتبت الغرفة . وأوقدت لكما المدفأة . بعد قليل سيسرى الدفء . (تجيل بصرها فيما حولها) يطيب الجلوس هنا . أما أنا فسأصعد إلى فوق . أقيم بالطابق الأول ، مع ابنتى. نحن وحيدتان . (تقترب منها قليلا ، كما لو كان تريد أن تتفحصها) كم أنت جميلة ؟ ابنتى دميمة . تغلق الباب على نفسها ، وتجلس طوال النهار فى غرفتها . لا تريد الخروج لأنها دميمة . هى دميمة ، ابنتى المسكينة الصغيرة (يدخل ميمى من الباب الأيسر) .

ميمى : (إلى صوفيا) آه ، جئت ؟

صوفيا : أخيراً ! اعتقدت أننى لن أجد البيت أبداً .

العجوز : إنى أنصرف . أنصرف (تذهب حتى الباب . تتردد ، تلتفت نحوهما مبتسمة) . ستخبز ابنتى فطيرة الليلة . أنها تخبز فطيرة يوم الأحد . طعمها لذيذ جداً . إذا أردتما ، ولم يكن لديكما ما تفعلانه ، تعاليا فى التاسعة لنشرب الشاى ، ولتتذوقا الحلوى التى تصنعها ابنتى (تخفض رأسها وتهزها كما لو كانت تشجعهما) تعاليا . .

(تخرج)

صوفيا : من هذه ؟

ميـــمى : (بحركة مبهمة) عجوز تقيم بالطابق الأول . . تأتى من وقت لآخر لترتب الشقة . تقولين ، وجدت البيت بمشقة ؟

صوفيـا : (ثائرة الأعصاب) مشقتى لا تكفى الكلمات لوصفها . (تجيل نظرها فيما حولها من جديد) يالها من غرفة كريهة . . . تقيم فى أقصى الدنيا ، هيه ؟ كل هذه الأزقة الضيقة ، متاهة حقيقية . ويالسخف تلك الفكرة ، فكرتك ألا أجىء معك ، بل انتظر نصف ساعة قبل أن أتحرك قادمة.

ميـــمى : لم أكن أريدهم أن يرونا .

صوفيـا : هل عليك أن تقدم حسابا لأحد ؟

ميـــمى : لا أحب الأقاويل . ليس للناس من عمل سوى ترديد الأقاويل .

صوفيـا : ولهذا وجب على أن أتحمل كل هذه المشاق ، تحت المطر، باحثة عن بيتك ؟

ميـــمى : رسمت لك موقعه .

صوفيـا : لا أفهم مثل هذه الرسوم . لا أجد طريقى على هديها بسهولة . لو كنت ذكرت لى اسمك على الأقل لسألت أحدا عنك .

ميـــمى : أرجو الا تكونى قد سألت .

صوفيـا : اى نكتة هذه . عم أسأل ؟ عم إذا كان يسكن بالقرب من هنا شاب طويل القامة يرتدى بلوفر ، واذكر لمن أسأل أوصافك ؟

ميمي : هيا ، اخلعي معطفك كي يجف من البلل . (ينحني على المدفأة محاولا أن يشعلها من جديد) .

صوفيا : بالطبع سأخلعه ، وسأخلع أيضا جوربي وحذائي . إني مبتلة تماماً . انغرست في الوحل حتى ركبتي . (تجلس أمام المدفأة ، وتشرع في خلع حذائها) ما الذي سول لك أن تسكن في هذا الحي ؟ أهذه شوارع ؟ ألا يضعون على الأقل مصباحًا يرى المرء على ضوئه أين يطأ قدمه ، وإن كنتُ أعتقد أن مدينتكم كلها ليست أفضل من هذا الحي . إنها لم تعطني انطباعا حسنا قط . قل لي ، أهي مطيرة هكذا مطرا لا ينقطع على الدوام ؟ منذ وطئت قدمي مدينتكم ، وهذا الجو السيء لم يتوقف . إسمع ، ألديك شيء من الملابس تعطينيه كي أرتديه ؟ سترة ، بيجاما مثلا ؟ (ينهض ميمي ، ويخرج من الباب الأيسر . بينما تمضي صوفيا تقول) لا أريد أن افتح حقيبتي من أجل ليلة واحدة . (في هذه الاثناء تكون قد خلعت معطفها وحذاءها وجوربها . تخرج من جيبي المعطف الكبيرين خفين قطيفيين وترتديهما . يحضر لها ميمي ثوبا نسائيا) من صاحبة هذا الثوب ؟

ميمي : زوجتي . اختلط ثوبها بأشيائي .

صوفيا : زوجتك ؟ أنت متزوج ؟

ميمي : (يلتفت إلى الثوب) كنت .

صوفيا : (تذهب إلى جواره وهي ترتدي الثوب) آه ، لماذا تقول كنت؟ هل ماتت ؟

ميمي : افترقنا .

صوفيا : بالطلاق؟

ميمي : (مجاهداً كي تشتعل الولاعة) كلا .

صوفيا : إذن ، أنت متزوج . أفهم الآن السبب في هذه الاحتياطات . أرجو ألا اتعرض لمتاعب ، أنا في غنى عنها .

ميمي : (يستدير وينظر إليها) أي متاعب ؟

صوفيا : من أين لي أن أعرف ؟ للشيطان سيقان كثيرة . ربما كلفت زوجتك أحدا بأن يتعقبك ، كي تحملك أنت مسئولية الطلاق . ألا يحدث ذلك في مثل هذه الحالات؟ وعلى الأخص ، إذا كانت قد لمحتني عين أدخل إلى هنا ، فكم سيصعب أن تعلل سبب وجودي عندك وارتدائي هذا الثوب . ثم أنني قاصر ، هيه ؟ لا تنس ذلك . .

ميمي : شط عقلك بعيدا جداً .

صوفيا : آه ، أنا أفكر في كل شيء . لأنني لو لم أفكر في أموري ، فمن سيفكر فيها غيري . والآن ؟

ميمي : الآن : ماذا ؟ . . ليس ثمة ما يبرر أن تقلقي . لن يضايقك أحد .

صوفيا : أهو أمر مؤكد ؟

ميمي : (غاضبا) آه ، أنت لا تطاقين ! ماذا تريدين ، أن أوقع لك تعهداً ؟

صوفيا : حسنا ، حسنا ، لا تغضب . (تأخذ ثيابها وتنشرها أمام المدفأة) هل تسمح بذلك ؟ انظر ، سأنشرها هنا كي تجف . تحسن صنعا بإيقاد المدفأة . ربما لم يحن موسم إيقاد المدافىء بعد ، لكنى أحب الدفء . وثمة رطوبة تخترق العظام . آخ ، تخشبت يداى . تريد أن أساعدك ؟

ميمى : كل شيء على ما يرام . اشتعلت .

صوفيا : حسنا ، سيدب فينا بعض الدفء . (تمد ساعديها نحو النار) حقا ، ما اسمك ؟

ميمى : ميمى .

صوفيا : ميمى فقط ؟ واسم الأب ؟ (لا يجيب) فهمت ، لاتريد أن تخبرنى باسمك كاملا . وعلى الرغم من كل ما تقول ، تخاف ، لأنك متزوج . . ومن أين لى أن أعرف ؟ ربما كنت تكذب إذ تقول إنك افترقت عن زوجتك . ربما كانت على سفر . وربما كنت تستأجر هذه الغرفة كى تستقبل فيها زوارك . لكن ، كلا ، هذا أمر يكاد يكون مستبعدا ؛ لأنك ما كنت ستكدس كل هذا الأثاث فيها . على كل حال ، شيء واحد أريد أن أوضحه منذ البداية ، لستُ ممن تظن أننى منهن ، لأنك دعوتنى للحضور إلى بيتك وقبلت فورا . لا أحب أن أنام وحدى فى الفنادق . شبعت منها . هذا كل ما فى الأمر . لماذا تنظر إلى على هذا النحو ؟

ميمى : على أى نحو أنظر إليك ؟

صوفيا : (بضراوة) سيكون الأمر طريفا لو كنت قد ندمت من الآن على إحضارى إلى هنا . إذا كنت تضجر منى سأنصرف. تكلم هل تريدنى أن أنصرف ؟

ميمى : الأمر سيان بالنسبة لى .

صوفيا : أنت رجل غامض . . . (تذهب إلى الأريكة وتجلس عليها) على الرغم من ذلك فإنك توحى إلى بالثقة ، ربما لأنك تبدو أكبر سنا منى بكثير . كم سنك ؟ أربعون ؟

ميمى : تقريباً .

صوفيا : (تهز ساقيها بانتظام) أرأيت ؟ من بين كل الرجال الذين كانوا يقفون خارج المحطة، اخترتك أنت ، واقتربت منك أسألك أين يمكننى قضاء ليلتى . وعندما قلت لى «فى بيتى» تبعتك فورا . كان باستطاعتى على أى حال أن أتحدث إلى أحد الشبان ، أليس كذلك؟ كان هناك شاب يرتدى بلوفراً أحمر ، ويتظاهر بقراءة مجلة رياضية ، بينما كان يلتهمنى بنظراته . وعندما نهضت مبتعدة ، مضى يتعقبنى . صدقنى .

ميمى : مضى يتعقبك ؟ لا أعتقد أنه تبعكِ إلى هنا .

صوفيا : كلا . بطبيعة الحال . إنك خائف حقا ! كلا ، كلا ، لم أكن أريد مشاكل . ومقته بنظرة شرسة ، فعاد إلى مكانه . (تبتسم) كان وسيمًا . ربما اخطأت إذ لم أحدثه . ما رأيك ، هل أخطأت ؟

(يتناول ميمى الساعة الموسيقية بين يديه ويتحسسها بأنامله) .

ميـــمى : لم أسمع . ماذا قلت ؟

صـوفيـا : أرى ذلك . أنت منشـغل البال (تنهض واقفة) كم غـرفة لديك ؟

ميـــمى : هذه . إنك لم تدخلى قصرا .

صـوفيـا : (تضحك) ليست هذه غرفة قصرا على أية حال ، إنها بهو . المكان فسيح، لا أنكر ذلك . . (تذهب إلى اليسار) إلى أين يقود هذا الباب ؟

ميـــمى : إنه يقود إلى المطبخ والحمام .

صـوفيـا : حسن أن يكون لديك حمام . أهناك ماء ساخن ؟

ميـــمى : كلا . . لكن إذا كنت تريدين ، أسخن لك ماء .

صـوفيـا : هيه . . كنـت أريد أن أغسل شعـرى . . لكن ، دعك من ذلك . . ليكن ذلك فـيما بـعد . . الآن ، أريد أن أستريح . إذن ، هذا بيتك كله . هنا ، كنت تعيش مع زوجتك ؟

ميـــمى : كلا ، كنا نستأجر بيتا آخر . أوسع من هذا بقليل .

صـوفيـا : هل أنت فقير ، هيه ؟ ألهذا هجرتك ؟

ميـــمى : من ؟

صـوفيـا : زوجتك .

ميـــمى : هل قلت لك أنها هجرتنى ؟

صـوفيـا : هذا ما فهمته . ما هو عملك ؟

ميـــمى : ليس بالعمل المهم .

صـوفيـا : وماذا يعنى ذلك ؟

ميـــمي : أعمل فى دكان . يبيع عاديات ، وأشـياء أخرى صغيرة من بقاع مختلفة . لا تسـاوى أغلبها مليما . لكن هناك أيضاً أشـياء صغـيرة جمـيلة . انظرى ، مثل هذه . . . (يقترب منها ويريها الساعة التى يحملها) .

صـوفـيـا : ما هذه ؟

ميـــمي : ساعة . (يشغل العدة فتسمع الموسيقى . ينصت الاثنان بضع ثوان صامتين) من الذهب منقوشة ، وبالميناء مطلية بيد صانع ماهر من القرن الثـامن عشر فى قرية صـغيرة خارج نورمـبرج . عددها بطبيعة الحال تالفة .

صـوفـيـا : أهى غالية الثمن ؟

ميـــمي : بالنسبـة لى غاليـة جداً . (يضـعهـا على رف الدولاب ويتأملهـا بإعجاب) وضعت عينى عليها منذ البداية . كلفتنى مرتب شهرين . اشتريتها بالتقسيط طبعا .

صـوفـيـا : وهذا الشىء هناك ؟

ميـــمي : هذه محارة من ماراكيبو .

صـوفـيـا : كبيرة إلى هذا الحد ؟

ميـــمي : ضعيها على أذنك . ماذا تسمعين ؟

صـوفـيـا : هديرا .

ميـــمي : كما لو كنت فى البحر ، هيه ؟

صـوفـيـا : صدقت - وريح تهب أيضا . . . من أين جاءت هذه ، قلت ؟

ميـــمي : من ماراكيبو .

صوفيا : آه . . . وهذا الخنجر ؟

ميمي : الخنجر ؟ كلا ، لم أشتره من الدكان . أهداه لي أحد الأشخاص . إسباني ، من توليدو .

صوفيا : (تجربه) إنه حاد النصل .

ميمي : (يبتعد عنها) أتريدين أن تأكلي شيئا؟ أن تشربي ؟ (يذهب إلى دولاب أدوات المائدة ، ويفتحه ، يخرج زجاجة كونياك وقدحا) .

صوفيا : لا أشعر بالجوع هذه اللحظة . لكن إذا قدمت لي قدحا ساخنا تناولته راضية . (تتجول وتتأمل المكان والأشياء من حولها) ماذا عندك ؟

ميمي : كونياك ، قهوة ، شاي .

صوفيا : عندك لبن ؟

ميمي : أجل (يشرب قدحه جرعة واحدة) اجلسي ، سوف أحضر لك طلبك (يملأ قدحا ثانياً ويخرج من اليسار . تمضي صوفيا وقد ظلت وحدها تتأمل الغرفة . ترفع صوتها كي يسمعها ميمي) .

صوفيا : ألا يمكن تهوية هذه الغرفة من مكان ما ؟

ميمي : (من خارج المسرح) اجذبي الستائر الموجودة فوق الأريكة .

صوفيا : آه ! ياله من فناء جميل ! ما اسم هذه النباتات ؟

ميمي : غليسينيس .

صوفيا : غليسينيس . اسم جميل . لما لا تترك النافذة مفتوحة ؟

ميمي : (يدخل حاملا قدح اللبن) لا أريد أن يتسلى الجيران بالنظر إلى . اغلقيه !

صوفيا : الجيران ؟ من غيرك يسكن هنا ؟

ميمي : لا أعرف . أنا حديث العهد بهذا البيت .

صوفيا : لو كنت أنا لعرفتهم جميعا في يوم واحد . يطيب لى أن أتكلم مع الناس . (كانت فى سيرها قد اقتربت مما يبدو أنه ستارة. تجذبها) آه ، نافذة أخرى . ما هذه الأنوار ؟

ميمي : الأحياء القديمة .

صوفيا : أيضيرك أن أتركه مفتوحا هنيهة ، كى أنظر إلى الخارج ؟ (تتناول قدح اللبن) غدا ، سأتجول فى المدينة . مادمت قد وجدت بها فلأتعرف عليها . لن أخسر شيئا . ربما راقت لى أيضا . هذا شأنى دائما . فى البداية ، يبدو لى كل شىء سيئاً ، ثم أتعود . مثلما حدث لى فى هذه الغرفة. ما أن دخلت حتى قلت لنفسى. كيف يمكن أن يعيش أحد هنا ، اما الآن فقد تعودت عليها وانتهى الأمر . ماذا تشرب أنت ؟

ميمي : كونياك !

صوفيا : تعبه عبا ، كما يقولون . إنه مستحب فى هذا البرد ، هيه ؟ فى ألمانيا يشربون كثيرا ، كل المشروبات . (عادت تجلس على الأريكة من جديد ، وتشرب لبنها رشفة رشفة) قضيت ثلاث سنوات فى ألمانيا . من هناك جئت . أوه ! أجلس وأحكى لك أمورا كثيرة عنى ، وأنت لا تبدو أنك تكترث بها كثيرا . ولكن ها أنا أحمل معى حقيبة ضخمة ، ألا يجدر أن تعرف السبب ؟ إنى قادمة من سفر بعيد . كنت مع أمى . قد تسأل كيف تواجدت

امرأتان فى ألمانيا . إنها قصة طويلة . كان أبى قد ذهب إلى هناك ليعمل ، وذلك منذ أمد بعيد . سافر دون أن يخبر أحدا ودون اكتراث بنا . وفجأة ، منذ ثلاث سنوات تلقينا خطابا منه ، يدعونا للحضور إليه . بعنا كل ما لدينا ، بعض الأثاث القديم وما شاكل ذلك وانطلقنا إلى ألمانيا . ولكن عندما وصلنا إلى العنوان الذى كتبه لنا أبى اختفى . انشقت الأرض وابتلعته ، ولم يعد لدينا مال نعود به . لأننا أنفقنا فى البحث عن أبى كل شىء . وفى النهاية وجدت أمى عملا عند بعض الأمريكيين واستقر بنا الحال . وعدت أنا الآن إلى اليونان (ترفع كتفيها) يجب أن أنزل إلى اثينا لأقيم عند خالة لى . لكننى مللت أن أبدأ كل شىء من جديد . اتعرف . كما سبق أن قلت لك من قبل ، سأقوم بجولة فى المدينة ، وإذا راقت لى ، ربما استقر بى المقام هنا . لكن الأمر سيحتاج أن أجد عملاً . ألن تساعدنى أبداً؟ .

ميمى : من الصعب أن تجدى عملا فى مدينة صغيرة .

صوفيا : فى هذا الدكان الذى تعمل به ، ربما احتاجوا إلى فتاة . أعرف الألمانية وقليلا من الإنجليزية .

ميمى : لا تتصورى الأمور على هواك . ليسوا بحاجة إلى مستخدمين . لديهم مافيه الكفاية .

صــوفـيــا : لكن قد يعرفنى صاحب الدكان الذى تعمل به بآخرين . لن تخسر شيئا لوأخذتنى كى أتعرف به . هل آتى معك صباح غد ؟

مــيــمى : صباح غد ؟ لن أذهب غدا صباحا .

صــوفـيــا : إذن ، صباح بعد غد ؟

مــيــمى : ولاصباح بعد غد . إنى لا أذهب إلى هناك هذه الأيام . لدى إجازة.

صــوفـيــا : إذن ، فلنمر لمجرد أن تعرفنى به .

مــيــمى : (وقد فرغ صبره) كلا ، هذا لا يمكن .

صــوفـيــا : ألا تريد أن تساعدنى ؟

مــيــمى : قلت لك . هذا لا يمكن .

صــوفـيــا : إذن ، مادمت بإجازة ولديك وقت ، ستأخذنى إلى واحد من معارفك الآخرين .

مــيــمى : ليس لدى معارف .

صــوفـيــا : آه ، فهمت ! لا تريد . ربما تخشى أننى أنوى أن أبقى هنا ، وأصبح عبئا عليك . أظن أننى قلت لك من قبل، لست من أولئك اللاتى تظن أننى منهن .

مــيــمى : لا أظن شيئا .

صــوفـيــا : كيف ، كيف ، من أولئك اللاتى يدعوهن رجل إلى بيته لقضاء بعض الوقت . وإذا بها قد التصقت به مثل دودة مصاصة دماء . تصورتنى من الفتيات سيئات السمعة اللاتى يحصلون عليهن من مقاهى المحطات .

ميمي : لم أتصور شيئا . ولا حتى يعنيني هذا الأمر .

صوفيا : لكنه يعنيني أنا ! حياتي نقية مثل البللور . ولست بحاجة إلى عون من أحد . لست مفلسة . عندي ما يكفيني لمدة شهر ونصف على الأقل . أخرجت أمي كل ما في كيسها وأعطته لي . هل فهمت الآن ؟

ميمي : (ثائر الأعصاب) قلت لك لا يعنيني هذا الأمر في شيء ! وكفى عن الاحتجاج دون سبب . إنك مزعجة . تزعجينني .

صوفيا : حسنا . إذن ، فلأرحل . ليس عليك سوى أن تقول لي ذلك بصراحة .

ميمي : ترددين وترددين الأقوال ذاتها ! منذ اللحظة التي دخلت فيها ، وأنت تتكلمين عن الرحيل .

- صمت -

صوفيا : أنت محق . ربما كنت مزعجة . لكن ضع نفسك مكاني . لا أعرف كيف أتصرف نحوك . لم أعرف بعد ماذا تريد مني . أعتقد أنك . . .

ميمي : ماذا اعتقدت ؟

صوفيا : لاشيء . (برهة صمت قصيرة) ماعدت أسمع المطر . تريد . . ربما تريد أن تخرج في نزهة . أليست هذه فكرة طيبة ؟ في طريق مجيئي لمحت محلا لبيع الحلوى ، بالقرب من هنا . لابد أنك تعلم عن أي محل أتكلم . هلا ذهبنا إليه نتناول شيئا ؟

ميـــــمى : إننى لا أذهب أى محال بيع الحلوى . فيها ضجيج كثير، وأدخنة ، والجميع يتكلمون معا وبصوت جهورى . .

صـوفـيـا : إذن ، فلنبق هنا . فى الحقيقة ، أنا أحب الصخب - وليس ذلك لأنى أجد فيه متعة ، بل لأنى بغيره أضجر، ولا أعرف ماذا أفعل . فى ألمانيا ، فى الأيام الأولى ، كنت على الدوام وحدى . كنا نسكن فندقا قديما . كان صفا من الغرف تطل على ردهة مديدة ضيقة . غرفتنا فى طرفها القصى بجوار دورة المياة . كانت أمى متغيبة طوال النهار . لم أكن أعرف كيف أمضى وقتى . عانيت عزلة موحشة ، لا يمكنك أن تصدق ! اسمع الآن ، عم تفتق ذهنى ! كنت أجلس وراء الباب ، وانتظر أن يذهب أحد إلى دورة المياه . وما أن أسمع خطواته تمر بالخارج ، أفتح الباب قليلا وأتحدث إليه . أقول له «مساء الخير» كيف حالك ؟ » يقف البعض ونتجاذب أطراف حديث قصير ، على أن البعض الآخر أيضاً كان ينتابهم الخجل - لأنى باغتهم ذاهبين للتبول ، وكان يتصادف ارتداؤهم ملابس النوم ، فكانوا يجرون مهرولين إلى دورة المياه . (تضحك) كانوا جميعا تجارا من الأقاليم. نزلاء عابرين. كنت أنا وأمى الوحيدتين اللتين تستأجران غرفة بالشهر - كلا. ليس هذا صحيحا ، كانت هناك امرأة أخرى أيضا . هل تتابعنى ؟

ميـــــمى : كيف ، أجل !

صـوفيـا : كانت تقطن غرفـة في الطرف الآخر من الردهة . عندما أتذكرها يقشـعر بدني . كانت طويلة ونحيلة مـثل عصا البليارد . ترتدي ثوبا باهتا ، لازلت اراه امامي ، بزهور حمراء ، أمـا رأسها . . (تنهض) انتبه ، فـالأمر جدير بالاهتمام ، رأسـها كله فكان ملفوفـا بالضمادات . ولا يبدو من وجهها سوى عينيـها وقليل من فمها فحسب . كنت أتعرف عليـها عندما أسـمعهـا تمر ذاهبة إلى دورة المياه ، وذلك من صوت خفيها اللذين كانا يزحفان على الأرض زحـفـا لينا . وكنت أغلـق على نفـسى البـاب بسرعة . كـان الخوف يتتابنى . لاتستـهن بهذا الأمر . ذات مرة رأيتـها في نومـى . كان كابوسـا . وأنت ألا ترى فى نومك كوابيس ؟

مـيـمى : أحيانا .

صـوفيـا : ماذا ترى ؟ قل لى .

مـيـمى : أشياء مألوفة .

صـوفيـا : آخ ، قل لى ، يروق لى أن أسـمع . إنى أجـزع منهـا لكنى أفتن بها ! عنـدما كنت صغـيرة ، كنت ألعب مع سائر الأولاد لعبة «الخوف» أتعرفها ؟

مـيـمى : كلا . إنها أول مرة أسمع عنها .

صـوفيـا : هذا صحيح ، كيف لك أن تسمع بها ! كانت لعبتى أنا ، تفتق ذهنى عنها ، كنا نجتمع فى الظلام ، ونرى من منا سيخيف الآخرين أكـثر من غيره . وكنا نحكى ونحكى

وكـان بعض الأولاد لا يتحـمل ذلك فينهـار سريعـا ، وكان البعض الآخر يمضى فى سرد قصص مرعبة ، عن مسـوخ وخوارق ، وفى النهاية يكـون كل منا قد أطلق صرخته . ما من أحد كان يصمد حتى النهاية . والآن ، هل ستحكى لى عن كوابيسك ؟

مـيـمى : لا أذكر شيئا منها .

صـوفـيـا : (بلهفة) هيا ، أرجوك ، تذكر .

مـيـمى : (برهة صمت قصيرة . ثم يتكلم ببرود) ذات مرة ، رأيت فى الحلم أن البيت الذى كنت استـأجره آنذاك مع زوجتى ، صار فجأة ممرا .

صـوفـيـا : (بانفعال شديد) ممر ؟

مـيـمى : أجل . صدر أمـر من الحكومة بأن يصـبح ممرا . وصار لمن يشاء أن يفتح الباب ويدخل ، ويمر خارجا من الباب الآخر . ولم يكن يتسع الـوقت لى ولزوجتى ولا حتى أن ننهض من الفراش ، فقبعنا جالسين ملتفين بالملاءات ، وكـان الناس يمرون ، ويمرون . بل أن أحـدهم زحـزح سريرنا كما لو كان ريشة خفيفة ، كى يفسح الطريق .

صـوفـيـا : ليس هذا بالأمـر الجـسيم . لو أقص عليك أنا مـا أراه ستمـوت من الخوف . إننى أصرخ فى نومى وأسـتيقظ باكيـة ، أنا التى لم أبك يوما قط . (برهة صمت) . أنت تشرب كثيرا .

مـيـمى : هية ؟

صوفيا : أقول أنك تشرب كثيرا . أدمنت منذ رحلت ؟

ميمى : من رحل ؟

صوفيا : زوجتك .

ميمى : الا تكفين عن الإشارة إلى زوجتى . كفى هذه النغمة .

صوفيا : حسنا ، لا تغضب .

ميمى : يروق لك أن تدسّى أنفك فى كل شىء .

صوفيا : لابد أن نقول شيئا حتى يمضى الوقت ، وأنت لا تفتح فمك بكلمة . أتكلم أنا على الدوام . الساعة لازالت الثامنة والربع . ليس من بهجة هنا . كما أن الجو بارد . أصدقاء ، اليس لك أصدقاء ؟

ميمى : لماذا تسألين ؟

صوفيا : معارف يأتون لزيارتك . . ما قولك لو يدق أحدهم الباب . .

ميمى : كلا ، ليس لى أحد . ليس من المتوقع أن يحضر أحد.

صوفيا : لو يدق الباب الآن . ويدلف أحدهم هنا . . أنا لا أصدقك . سنك أربعون عاما ، وليس لك معارف . ألم يتصادف حتى عن طريق زوجتك أن توطدت علاقتك بأحد ؟

ميمى : لم يكن معارف زوجتى يساوون مليما واحدا . كنت أضجر منهم .

صوفيا : ولا فى الدكان الذى تعمل به ، التقيت بأحد ؟

ميمي : ما من أحد لائق . المستخدمون منشغلون بعملهم . والزبائن يأتون ، ينبشون المعروضات ، يسألون عن هذا الشيء أو ذاك ، ثم ينصرفون .

صوفيا : ولكن ماذا تفعل طوال النهار ، وأنت وحيد هكذا ؟

ميمي : أذهب إلى عملي ، وأعود منه ، وأنام .

صوفيا : وعندما يكون لديك إجازة ، مثل الآن ؟

ميمي : أخرج فى جولة ، إذا كان الجو طيبا .

صوفيا : أين تذهب ؟

ميمي : أذهب بعيدا ، بعيدا عن المدينة . إلى ناحية الحصون . أنت لا تعرفينها . المكان جميل هناك . أمشى كثيراً . أحب المشى . أصعد عاليا عاليا وأتأمل المدينة تحتى . المنظر هناك بديع ، وعلى الأخص عند الغروب .

صوفيا : وإذا كان الجو مطيرا ؟

ميمي : أجلس هنا ، وأقرأ .

صوفيا : ماذا تقرأ ؟ لا أرى كتابا واحدا .

ميمي : وضعتها كلها فى صندوق . وبعضها متناثر هنا وهناك .

صوفيا : أنا لا أقرأ ابدا . لا تروق لى القراءة . عندما أفتح كتابا أنزلق إلى التفكير فى أمورى ، ويحدث لى هذا أيضا فى السينما . ما إن يبدأ الفيلم حتى تنتابنى الرغبة فى الانصراف . (تنتفض) .

ميمي : ماذا حدث لك ؟

صوفيا : لاشىء . هذه الغرفة . . ألا يخيل لك أن الضوء فيها قد خفت ؟

مـيـمـى : ربما بسبب المطر .

صـوفـيـا : مـاذا سنفعل لو انـطفأ النور تماما ؟ هل لديك شـمعـة احتياطية ؟

مـيـمـى : سنجد شيئـا نستضيء به (برهة صمت . تذهب صوفيا ضجرة إلى النافذة . وتنظر خارجا . يتمتم فـجأة شـارد البال) أما عن الأصـدقاء الذين تتحدثين عنهم فقد كان لى منهم كثيرون .

صـوفـيـا : (تستدير نحوه دون اكتراث) وماذا حدث لهم ؟

مـيـمـى : (مـاضيا فـى تمتمـتـه وشـرود باله) لا أدرى . رحل بعـضهم . واختـفى الآخرون . مـضت سنون دون أن أراهم . كنا نلتقى فى مقهى فى «كمارا» .

صـوفـيـا : (ماضية فى ضجرها وعدم اكتراثها) وما «كمارا» هذه أيضاً ؟

مـيـمـى : (يستدير وينظر إليها) سفينة ، من القرن الثالث الميلادى .

صـوفـيـا : لا تحدثنى عن التاريخ . لا أذكر منه شيئا .

مـيـمـى : مقهى «القـمر الجميل» هكذا كانوا يطلقون علـيه . فقد علق عند مدخله مصباح على هيئة قمر نصفى .

صـوفـيـا : كنت تتردد أذن على المقاهى .

مـيـمـى : إننى لا أتكلم عن الحاضـر . هذا الذى أقوله لك حدث منذ سنين . ولم يكن «القـمر الجـميل» مـثل غيـره من المقاهى . على الحائط علقت مرآة كبيرة ذات إطار ذهبى .. ثبـتت فى زواياها بطاقـات من ورق البردى تصـور مناظر طبيعية . كما علقت أيضا صورة لسارة ليناندر فى ملابس الرجال .

صوفيا : المقاهى فى ألمانيا مزودة بأثاث فاخر و . . (تتوقف لأن ميمى قد شرع يتكلم) .

ميمى : كانوا جميعا يحضرون إلى هناك. لم يكن يتخلف أحد . يجلسون متجاورين فى صف واحد . أكاد آراهم . ميلتوس ، إيلياس ، يورغوس ، ميخاليس ، ماريا . كنا نبقى إلى وقت متأخر ، متأخر جدا . فكان النعاس يغلب الساقى . وفى بعض الأحيان كان يقترب ويتسمع حديثنا . لم يكن يفهم شيئا كان صبيا ، فى الثانية عشرة من عمره .

صوفيا : بين الحين والحين كنت أذهب وأرقص . ومرة واحدة ، مرة واحدة فحسب ، ذهبت إلى حفل راقص كبير . عزفت فيه الموسيقى أوركسترا حقيقية .

ميمى : لم نكن نروق لصاحب المقهى . كنا نثير صخبا كثيرا . كان يقول تثيرون صخبا كثيرا ، وستدق أعناقكم يوماً ، آن أوان أغلاق المقهى . كنا آخر من ينصرف على الدوام. (تنظر إليه صوفيا باهتمام كبير الآن) آجل ، فى ذلك الحين ، كان لى أصدقاء كثيرون .

صوفيا : حسنا . (برهة صمت) وماعدت تراهم الآن ، من وقت لآخر ؟

ميمى : (محادثا نفسه) نادراً . منذ سنة التقيت مصادفة بأحدهم، فى الطريق عرفته منذ أول وهلة ، أما هو فلم يعرفنى . أحتاج أن اخبره باسمى ، حتى يتذكرنى (تبتعد صوفيا عن

النافذة . تأتى إلى مرآة قديمة ذات إطار ذهبى معلقة إلى اليسار . تتأمل صورتها المنعكسة على أديمها) كان قد خطا فى الطريق الصاعد . كون ثروة . شيء غامض كيف تأتى له ذلك . افتتح منتدى فخما على مقربة من البحر . يلتقى فيه صفوة القوم كل ليلة . (قربت صوفيا وجهها من المرآة ومضت تتحسسه بأناملها) سر كثيرا بلقائى . هكذا قال . وذكر لى أنه بدوره ماعاد يرى أحدا من القدامى . أخبرنى أن إحدى فتيات الصحبة صادفته أمام بيته ذات مرة ، لكنها تظاهرت بأنها لم تره . أحزنه ذلك كثيرا . إنها ماريا . كان اسمها ماريا آنذاك ، كنا نعرفها جميعا بهذا الاسم .

صوفيا : كنت أعرف فتاة اسمها ماريا ، وكنا نناديها مارا .

ميمى : قال أن حالها قد ساء . إبيض شعرها. وتهدَّل ثدياها . تأثَّر كثيرا لما رآها ، لكن تحاشيها له أحزنه أكثر . كما قال لى إنه ليس سعيدا ، وزوجته لاتنجب له أولادا، وهى تعانى من مرض يجعل عرقها كريه الرائحة، حتى أضحى الرقاد إلى جوارها عذابا لايطاق.

صوفيا : (تنصرف عن المرآة) الساعة لازالت الثامنة والنصف.

ميمى : (يغضب فجأة) ماذا تريدين فى النهاية ؟ تروحين وتجيئين طوال الوقت ! اجلسى فى مكان واحد !

صوفيا : كان من الأفضل الا أجيء إلى هنا الليلة . أجل كان ذلك أفضل ! سحقاً لكل شيء ! كنت سأدفع مال أسبوع وأستأجر هذه الليلة غرفة فى فندق غالى السعر .

هذه الفنادق شيء آخر . كنت سوف انزل إلى قاعة الفندق وأشاهد الناس . لكننى جئت هنا ، وانتهى الأمر. فات الوقت . إلى أين أجرى فى هذا المطر ، لن أوفق أبدا فى الخروج من هذه الأزمة ، وأصل إلى قلب المدينة .

ميمي : ولماذا تريدين أن تنصرفى ؟

صوفيا : لا يروق لى الجو هنا! هذا هو السبب ! شيء ما يطبق على صدرى، يعتصر قلبى ! أختنق ! وفضلا عن ذلك فأنت ضجر منى . أرى ذلك . لا تعيرنى انتباها . إما أن تتحدث إلى نفسك أوتغلق فمك . لا أفهم لماذا دعوتنى ، مادمت منذ أول لحظة قد سئمت منى . وهذا الضوء يزداد خفوتا كلما تقدم الوقت . تنتابنى الرغبة فى أن أخرج إلى عتبة السلم وأطرق بابا ، أى باب ألقاه! أتعرف أن وقت الطعام قد حان ؟ لابد أنهم فى الشقق الأخرى يتأهبون للجلوس إلى المائدة .

ميمى : سألتك من قبل ، فقلت لى أنك لست جائعة .

صوفيا : تفهم جيدا ما أقول ، وليس لى رغبة فى أن آكل ، وأنا أرى وجهك الجهم . آه ، اسمع ! سأصعد إلى الدور العلوى . حقا ! سأدق باب هذه العجوز التى دعتنا إلى شرب الشاى مع ابنتها .

ميمى : الزمى صوابك . لا تستطيعين أن تذهبى إلى هذا البيت.

صوفيا : أستطيع ذلك. وأستطيعه جيدا . سوف يسران لرؤيتى . سأقول لهما : جئت أنعم بصحبتكما .

ميـــــمى : قلت لك : لا تستطيعين .

صـوفيـــا : أتقول ذلك ؟ ها أنا ذاهبة إذن (تخلع ثوبها بحركة مفاجئة . بينما يحاول ميمى أن يثنيها عن ذلك) .

ميـــــمى : لا تكونى حمقاء .

صـوفيـــا : سأذهب ، سأذهب ، سأذهب ! (يمسك ميمى بذراعها) دعنى ، أنت تؤلمنى ، سأذهب فى زيارة قصيرة وأعود. اتفقنا ؟

ميـــــمى : قلت لك ليس باستطاعتك أن تذهبى . اسمعى ، هذه المرأة مجنونة .

صـوفيـــا : مجنونة ؟

ميـــــمى : مجنونة . كيف أعبر لك عن ذلك . إنها مختلة العقل.

صـوفيـــا : تكذب علي . لا أصدقك .

ميـــــمى : كل من فى البيت يعرفها . . أول ما يجب أن تعرفيه أنه ليس لها ابنة ، بل لم يكن لها ابنة قط .

صـوفيـــا : لا أفهمك .

ميـــــمى : (يبتعد . يتناول قدحه من جديد) كان لها ابن قتلوه أثناء الاحتلال أمام عينيها ، فاختل صوابها . فهمت الآن ؟ نسيت ابنها المقتول . وخيل إليها منذ ذلك الوقت أن لها ابنة تجول فى البيت ، وتستقبل الناس ، وتخبز الفطائر.

صـوفيـــا : (غير متأكدة) مستحيل هذا . أنت تسخر منى .

ميـــــمى : أقول لك يعرفها الجميع هنا . تتنقل بين الشقق نازلة صاعدة وتزعج هذا تارة ، وتزعج ذاك تارة أخرى .

صوفيا : (تجلس على الأريكة بحركة آلية) ما كان يجب أن تقول لى هذا . حزنت من أجلها .

ميمى : ما كنت سأخبرك لولا أنك أصررت على ذلك كثيرا .

صوفيا : تصور ! أى أشياء يسمعها المرء إذن ، ما دام الأمر على هذا النحو ، فهنا أفضل . ها هو يخفت مرة أخرى .

ميمى : ما الذى يخفت ؟

صوفيا : الضوء .

ميمى : يخيل إليك ذلك .

صوفيا : قتلوا كثيرون آنذاك - أليس كذلك ؟ - فى زمن الاحتلال . لم أكن قد ولدت بعد . أما أنت فلابد أنك كنت شابا . ماذا كنت تفعل ؟ هل كنتم تقاسون كثيرا ؟

ميمى : اختلف الأمر .

صوفيا : ماذا يعنى «اختلف الأمر» ؟

ميمى : قاسى البعض ، والبعض الآخر لم يقاس .

صوفيا : وأنت كيف أمضيت تلك الحقبة .

ميمى : أنا . . كنت أدرس الهندسة الكهربائية .

صوفيا : صحيح ؟ ولم تكمل دراستك ؟

ميمى : كلا .

صوفيا : وبعد ؟

ميمى : لم يكن ثمة «بعد» ؟

صوفيا : ماذا فعلت بعد ذلك ؟ كيف امضيت كل هذه السنين . لماذا هجرت الهندسة الكهربائية ؟

ميمى : متاعب . . (يزداد انفعاله) .

صوفيا : اتعرف ؟ تجيبنى على كل ما أسألك بأنصاف إجابات . لا يمكن لحديث أن يتصل هكذا . (تهب واقفة) سئمت . سئمتك !

ميمى : لا تهبى واقفة هكذا ، كل لحظة .

صوفيا : سأرحل ، وليحدث ما يحدث .

ميمى : ستبقين هنا ، كما اتفقنا . وفى صباح الغد ، ستأخذين حقيبتك وترحلين . ها هو سريرك ، ارقدى ونامى ، إذا أردت . سأذهب إلى المطبخ .

صوفيا : ليس لى رغبة فى النوم . ولكن ماذا تريد منى فى النهاية ؟ أى إنسان أنت ؟ يخيل إلى أنك لست فى صوابك . . إلا إذا كنت . . حسنا ، إذن ، سأبقى ولكن ستحادث . استمع ؟ لست مجرد متاع تجلبه إلى هنا ، وتتركه مهملاً فى الركن ! ستحادث !

ميمى : وهل لدينا ما نتحادث فيه ؟

صوفيا : لدينا الكثير . قبل كل شيء ، لماذا انفصلت عن زوجتك؟

ميمى : إنها حكاية معقدة .

صوفيا : ها قد عدت إلى الكلام المنقوص . كم سنة عشتما معا؟

ميمى : عشر سنوات .

صوفيا : لابد أنها كانت امرأة دميمة . هية ؟

ميمى : كيف خطر لك مثل هذا الخاطر ؟

صوفيا : هكذا . دميمة وعجوز . هذه هى المرأة التى تليق بك . اتعرف على أية هيئة أتخيلها ؟ بجدائل محلولة ، وعينان صغيرتان وأنف مثل منقار طائر !

ميمي : كلا ، على الإطلاق. كانت فائقة الجمال .

صوفيا : دميمة ! كانت دميمة ! هذا الثوب يستحيل إن كانت ترتديه امرأة جميلة . الجميلات يرتدين ملابس من الدانتيلا متماوجة الأطراف . ولابد أنها كانت عجوزا . هية ؟ مائة عام !

ميمي : كنا من سن واحدة .

صوفيا : ها أنت تعترف ! صدقت عندما قلت إنها عجوز! ومخبولة ومجنونة وبخيلة ! أجل ، بخيلة . كانت بخيلة على الأخص ! ها ، ها ، ها ، ها ، ها ، (انتابتها حالة شبه هستيرية ، مضت تقفز حوله) يا للحياة السوداء التى كنتما تحيانها معا . لو كنت أعرفكما ما كنت سأضع قدمى فى بيتكما لزيارتكما . كنت سأتقزز حتى من القهوة التى كنتما ستقدمانها إلى . كانت الأقداح ستحمل عليها بصمات .

ميمي : كفى عن السخافات ! ماذا دهاك ؟

صوفيا : تغضب ، هية ؟ اسمع ، هل تريد أن نلعب لعبة ؟ نلعب كي يمضى الوقت ؟ سأتظاهر بأنى زوجتك . (تنكش شعرها ، وتلقى به على وجهها ، وتسير بخطوات متخبطة) وأنت زوجها . تعال قل لى ماذا كنتما تفعلان ، عندما كنتما معا ، ماذا كنتما تقولان ؟ .

ميمي : كفى ، أقول لك . هل جننت ؟

صوفيا : (ماسة) لماذا طلقتها ؟ قل لى ، قل لى . هل فاجأتها مع عشيق . أم فاجأتك هى ؟

ميمي : لا هذا ، ولا ذاك . كل ما فى الأمر ، إننى ما كنت أصلح للزواج . ما كنت أصلح لشىء على الإطلاق - على الإطلاق وأنى لأكرر عليك القول ، كفى . ليست بى رغبة فى أن أتحدث عن ذلك . . .

صوفيا : ليست بك رغبة ، لأنه ليس لك مصلحة فى ذلك. ليس لك مصلحة فى أن تقول ماذا كان يدور بينكما . أكاد أراكما أمامى . لعلكما كنتما من أولئك الذين يتبادلون الشتائم طول النهار . يتضاربون ثم يرتدون أفضل ملابسهم ويخرجون للنزهة . ولكن ذات يوم ، لم يعد أحدكما يحتمل، ورحل. أليس هذا ما حدث ؟ قل لى من منكما رحل أولا ؟

ميمي : أنا الذى رحلت أولا. لكن لم يحدث شىء مما ذكرته . رحلت لأننى أردت أن أبقى وحدى . فهمت ؟ عشر سنوات فيها الكفاية .

صوفيا : تبقى وحدك كى تتفرغ لأعمالك القذرة ، وتجلب بلا قيد من تشاء من النساء إلى شقتك .

ميمي : أنى لا أجلب إلى شقتى أحدا . أنت أول أمرأة وطأت هذا البيت منذ أن استأجرته، وكان ذلك من شهر مضى، ولم أحضرك من أجل هذا الذى تظنينه .

صوفيا : إذن ، لماذا ؟ (برهة صمت) لماذا دعوتنى لأنام هنا الليلة؟

ميمي : لا أدرى . . لا أدرى . . لا تسألينى . . ربما لأننى أشفقت عليك فجأة.

صوفيا : لا أصدقك .

ميمى : أنت محقة . ربما أردت أن أعرف كيف يكون الحال فى صحبة إنسان آخر . طوال هذا الوقت الذى أغلقت على نفسى فيه الباب ، لم أكن أرى مخلوقا .

صوفيا : (ماسة) لماذا اغلقت على نفسك الباب ؟ ما الذى دهاك؟ أتخشى من شيء ؟ فى لحظة خطر ببالى أنك ارتكبت جرما وتختفى بسببه .

ميمى : (ماضيا دون أن يعبرها اكتراثا) طوال شهر مضى ، كنت أفعل ما يروق لى .

منذ اللحظة الأولى ذاتها التى جئت فيها قلت لنفسى : ها أنا فى النهاية وحيد بين جدران أربعة ، دون أن يكون هناك من يطالبنى بحساب . تستطيع أن تتصرف كما يحلو لك ، مادمت وحيدا . تستطيع أن ترتكب حماقات ، أن تسير على أربع . ليس ثمة شهود على ما تفعل . ذات يوم تناولت طعامى جالسا على الأرض ، وفى يوم آخر أكلت بأصابعى دون شوكة أو سكين . وقد ضحكت من ذلك كثيرا .

صوفيا : يا لها من تصرفات بشعة ! ماعدت أطيق أن أسمعك . (تجول فى الغرفة يائسة) يا آلهى ، كم أنا سيئة الحظ على الدوام ، كم أنا سيئة الحظ ! لم ألتق قط بإنسان لائق ، سواء أكان رجلا أو امرأة .

ميمى : (يمضى خلفها) اسمعى . هيا ، اسمعينى . . .

صوفيا : (ماضية فيما كانت عليه) قمت بسفر طويل . يسمع الآخرون أنى كنت بألمانيا ، فيقولون ما أجمل الحياة هناك ، أما أنا فقد ذقت فيها الأهوال . . .

ميمى : هل ستتركيننى أكمل كلامى ؟ كانت زوجتى تعزف على البيان . كانت تحبه كثيرا . كانت مفتونة به . تجلس وتتدرب عليه ساعات طوال .

صوفيا : فلتفعل ما تشاء ، ما الذى يعنينى ؟

ميمى : وطوال إقامتنا فى دار أبيها الذى كانت به غرف عديدة كان الوضع محتملا . كان بيتنا جميلا . من طابق واحد . لا يشاركنا فيه أحد . كان أبوها غنيا .

صوفيا : آه ، قل لى هذا ، كانت زوجتك غنية ! من أجل ثروتها تزوجتها .

ميمى : لكننا تشاجرنا مع أبويها العجوزين ، واستأجرنا شقة صغيرة فى إحدى العمارات ، لأنه كان علينا أن نقتصد. لكن ذلك لم يكن سهلا .

صوفيا : آها ، طوال الوقت الذى كنتما تحلبان فيه حماك العجوز كانت تسير الأمور على ما يرام .

ميمى : لا تقاطعينى . ما كنت أقصد ذلك . السكان ، السكان الآخرون من حولنا اشتركوا فى النهاية . ترين أن زوجتى أصبحت مضطرة بعد ترك بيت أبيها أن تقوم بكل الأعمال المنزلية وحدها . كان عليها أن تذهب إلى السوق ، وأن تطبخ . ولم يعد يبقى لها وقت بالنهار لأنها أيضا بطيئة فى أداء الأعمال . ولهذا فقد كانت

تعزف بالليل . كانت تبدأ لنقل فى العاشرة وتنتهى فى الواحدة ، أو فى الثانية . . لكن الناس كانت تريد أن تنام ، وحتى لا يطردوننا ، ولم يكن الانتقال إلى بيت آخر بالأمر السهل ومعنا البيان ، قررت أن تعزف بالنهار، وتقوم بسائر الأعمال ليلا .

صوفيا : بكل تأكيد ، كانت زوجتك قد فقدت الصواب !

ميمى : أليس كذلك ؟ ضعى نفسك فى مكانى من فضلك . طوال النهار البيان يصدع رأسى ، قلت لك إن الشقة كانت صغيرة ، تقريبا بحجم هذه الغرفة ، ثم بعد ذلك فى الليل ، أوه يا إلهى ! جعل الليل كى يلقى المرء بنفسه على سريره وينام ، وهذه أحلى لحظات العمر ، ولكن كيف يغمض لى عين ، وأنا أحس بها تهيم مثل شبح من المطبخ إلى غرفة المائدة . ترفع وتضع صحونا وحللا تفتح وتقفل صنابير الماء . ورائحة الطبيخ المحروق تخرق خياشيمى ؟

صوفيا : (تجلس مجهدة وتتنهد) هى تريد أن توهمنى بأنك رحلت عن البيت لأن زوجتك كانت تعزف على البيان !

ميمى : كلا ، بلاشك ، كلا ، ليس بسبب ذلك . كانت امرأة مثل عديدات غيرها . سوف كان بإمكانى أن أحتملها ، كما احتملت أموراً أخرى .

صوفيا : إذن ، لماذا ؟ لماذا ؟

(برهة صمت . يبتعد ميمى ويتناول قدحه من جديد) .

ميمى : (بلهجة هادئة) لأنه جاء . جاء ذلك الشاب . كان يجىء ويجىء . كان يعرف أين أقيم ، يعرف أين كان بإمكانه أن يجدنى .

صوفيا : أى شاب هذا ؟ عمن تتكلم ، مرة أخرى ؟

ميمى : كان الوقت ليلا ، حوالى الثامنة - كنت قد عدت من عملى توا . جلست بجوار النافذة . أتابع الأولاد الذين يلعبون فى الميدان . لم أكن أفكر فى شىء . كنت أدخن . كنت أحس بالتعب ، بتعب شديد . كانت ساقاى تؤلمانى عند المفاصل - وهى تؤلمنى دائما كلما تغيرت الفصول . هنا ، تحت ، وعند الركبة . فى لحظة دخلت زوجتى وأضاءت النور . كانت تحمل كومة من الثياب ، شرعت تطويها كى تكويها . وعندئذ ، دق الجرس . فجأة . نهضت . وذهبت أفتح . كان هو .

صوفيا : من ؟

ميمى : أقول لك هو . الشاب ! وقف عند الباب ، وقال لى : «إنى قادم من عند أخيك فى المصحة» قلت له «ليس لى أخ فى المصحة . ليس لى أخوة على الإطلاق» قال لى «لكن كلا . ليست هذه هى الإجابة . كلمة السر ، تذكرها ، كلمة السر .»

صوفيا : أى كلمة سر ؟ أى إجابة ؟

ميمى : كانت الإجابة «مقهى القمر الجميل يسهر حتى الصباح».

صـــوفيـــا : لا أفهم شيئا .

مــــيـــمى : «لا أفهم شـيئا» هذا ما قلتـه آنذاك . وأردفت أقول «لابد أنك تبحث عن شخص آخـر» قال لى «ليس لدى وقت أضيعه . ميلتوس موجود هنا . ميلتوس . وهو يريدكم أنتم القدامى» أتسـمعين؟ «أنتم القدامى» أجبـته «اسمى ديمتـريوس كيـسوبـولوس . وهذه زوجتى . أعـمل فى دكان لبيع التحف القديمة ، وأتقاضى عمولة . لا أعرف ماذا تقـصد» فقـال لى وقد بدا عليـه الاضطراب «حسناً جداً . سوف أعـود . أفهم . لا تستطيع الآن ، ولكن تذكر أننى بعد قليل سأعود» .

صـــوفيـــا : (تنهض تمسك رأسها بيديها) أريد أن أضع لقمة فى فمى . إنى جائعة . وبدأ يحل بى النعاس .

مــــيـــمى : (يمضى ويقف خلفها) وعاد مرة أخرى . جاء إلى فى الدكان هذه المرة وبصحـبته مـاريا . كان شعـرها قد أبيض كله تقريبا . وكان الشاب يتـحدث من جديد عن ميلتوس . كان يقول «غاب ميلتوس عشـرين عاما . اختفى عشرين عاما . خسر عـشرين عاما ، ولكن الآن يجب أن يفعل شيـئا» وكانت مـاريا تثبت أنظارها فى عـينى .» وقلت «وماذا تعتقد أننى كسبت ؟ لم أضح سوى مستخدم فقير» وقـالت مـاريا «إننا لا نطالب بأعـبـاء» فـقلت «أمـا أنا فأطالبكم . زوجتى تعذبنى . مرة كل أسـبوع أصطحبها إلى السينمـا ، وفى أمسيـات الآحاد نتناول العـشاء فى

حانة قريبة . إنها تعانى من معدتها ، وتوقظنى بالليل لأحضر لها أقراصا من الصيدلية . أهذه حياة؟ أهى حياة هذه ؟ إنى أسألكم ؟ كلا ، إنها ليست حياة . إذن ، اتركونى هادئا» .

صوفيا : إنى جائعة . معدتى تشدنى .

ميمى : «سنمر غدا» كانت هذه هى الإجابة (بصوت مختنق) فقلت من داخلى سأرحل . سأرحل من البيت ومن الدكان ، ولن تجدوننى فى أى مكان .

صوفيا : أحضر لى شيئا إذن . أو قل لى أين الطعام كى أعده بنفسى .

ميمى : (بضراوة) كفى !

صوفيا : قليل من اللبن ، على الأقل ، قليل من اللبن الدافىء وكسرة خبز .

ميمى : كفى ، قلت لك !

صوفيا : أبقيتنى هنا عنوة ، وتتركنى الآن جائعة . أحضر لى شيئاً آكله .

ميمى : (يمضى متكيا عليها) ماذا قلت ؟

صوفيا : أحضر لى شيئا آكله . (يتراجع) .

ميمى : أعيدى قول ذلك !

صوفيا : (جزعة) لماذا تنظر إلى هكذا ؟ لما أقل شيئا سيئا . (يتراجع) ماذا ستفعل بى هيه ؟ سأصرخ .

ميمى : إنى أنظر إليك .

صـوفـيـا : ساصرخ .

مـيـمـى : إنى أنظر إليك .

صـوفـيـا : لماذا تنظر إلى ؟

مـيـمـى : أريد أن أرى كـيـف يكون الحـال عندما يوجـد بجـانبك إنسان من جديد ، يشاركك غـرفتك ، ويرهقك بثرثراته الحمقاء . يحس بالبرد ، يتدفأ ، يريد أن يفتح النافذة ، يريد أن يذهب فى جولة ، يشـعر بالجوع (يشرع فى التقدم نحوها) .

صـوفـيـا : (تتراجع) مجنون أنت ، أم سكران ؟

مـيـمـى : فهمت الآن لماذا أحضـرتك ؟ كى أراك ترحلين . قضينا ساعـة معـا . سنقضى سـاعات أخـرى حتى منتـصف الليل. ثم سـتنامين حتى الصـباح . ستـتجولـين قليلا بالثوب المنزلى . ستدخلين الحمـام . ستحدثين جلبة . سـتسـألين عـشرات المرات ألا زالـت السمـاء ألا زالت تمطر ، أم توقف المطر ؟ ستسـألين لماذا طلقت زوجتك ، لماذا تخليت عن دراسة الهندسة الكهربائية . .

صـوفـيـا : لا تقترب منى !

مـيـمـى : ماذا سنأكل اليـوم ، ما هو المرتب الذى تتقـاضاه ، كم تدفع من إيجار ، ماذا فعـلت أثناء الاحتلال ، ما الذى فـعلت طوال هذه السنين . سـتسـألين ، عن كل شىء ستسألين . ولكن فى النهاية ستأخذين حقيبتك وترحلين سأغلق الباب خلفك ، وستـصبح هذه الغرفة ملكى من

جديد ، لن يحضر أحـد هنا . لن يعثر على أحد . لن يعثروا على أبدا . أبدا .

صـوفـيـا : لا تقترب منى ، أنت مجنون !

مـيـمـى : عشـرون عامـا ، شيء كثيـر . لن نبدأ منذ الـبداية من جديد .

صـوفـيـا : لا تتهور فتلمسنى . أنا قاصر .

مـيـمـى : أنت تعرفين الآن كل شىء .

صـوفـيـا : سأصرخ .

مـيـمـى : لا تصرخى . لن أفعل بك شيئا .

صـوفـيـا : النجدة !

مـيـمـى : (يرجها بعنف) لن أمسك بشىء .

صـوفـيـا : النجـ . . (يدق الجرس . يبقى الاثنان متسمرين) الجرس .

مـيـمـى : هل يعرف أحد أنك جئت هنا الليلة ؟

صـوفـيـا : كلا .

(يدق الجرس من جديد بإصرار . برهة صمت . يتبادلان النظرات . ثم يمضى إلى الباب باضطراب داخلى شديد . ولكن بثبات . تدخل العجوز وهى على الدوام حلوة هادئة وناعمة . كل ما فى الأمر أنها الآن لا تبتسم) .

العـجـوز : هل جـرى شىء ؟ مـعذرة إذ اضـايقكمـا فى مـثل هذا الوقت . لكننى أرجـوكما لا تحـدثا جلبة (ينظر إليها ميمى وصوفيا محبطين من جراء المشهد السابق) . إنى وحيدة ، وأجزع . إنى وحيـدة . نامت ابنتى مبكرة الليلة . أغلقت على نفسها باب غرفتها ونامت . أنها كما تعرفان تعسة جدا ،

لا يحضر أحد لرؤيتها أبدا . ما من أحد يطلب منها أن تخرج معه . من الأفضل لها أن تنام . وإلا فإنها تجلس في ركن من الأركان وتبكي . تبكي بلا انقطاع . . ولهذا أرجوكما - لا تحدثنان جلبة ستوقظانها - هس . . هدوء . (تحنى رأسها إلى أسفل قليلا) طاب مساؤكما.

(تخرج) .

صوفيا : (تغطى وجهها فجأة ، لكن دون بكاء) لا أطيق ، لا أطيق هذه المرأة تجوس هنا .

(يستدير ميمى وينظر إليها ، كما لو كان يراها لأول مرة حقا) .

ميمى : سأذهب لأعد لك شيئا تأكلينه .

صوفيا : (تخفض يديها من على وجهها . تحاول أن تسترد هدوءها) ماعدت أشعر بالجوع .

(تنهض . تخطو بضع خطوات بلا هدف . يتابعها ميمى بنظراته) .

ميمى : سترحلين أم ستبقين ؟

صوفيا : لا أستطيع الرحيل . كذبت عليك عندما قلت أن معى نقودا . أنى لا أحمل سوى تذكرتى إلى أثينا .

(صمت)

ميمى : هل أنت متأكدة أنك لا تريدين طعاماً ؟

صوفيا : بى رغبة شديدة إلى النوم . إنى متعبة من السفر .

ميمى : حسنا ، إذن ، ها هو سريرك . سأعد لنفسى فراشا فى المطبخ .

صوفيا : لعلك . . تفضل أن تنام هنا . سأذهب أنا إلى هناك .

مـــيـــمـى : كلا . . . طابت ليلتك .

(يخرج . تبقى صوفيا وحدها . تأخذ بحركات بطيئة في إعداد الأريكة . وفجأة تخر على الأرض وتشرع في البكاء بحرقة) .

ستار

لولا أناغنوستاكى

المدينة

قدمت «المدينة» مع مسرحيتى «لقاء فى الليل» و «الاستعراض» أول مرة على «مسرح الفن» بأثينا فى مايو ١٩٦٥ من إخراج كارولوس كون ، وديكور ماريا روسو : اشترك بالتمثيل : مايا لاميروبولو ويورغو لازانيس ونيكاتار فوتيريس .

وفى يناير ١٩٦٦ قدمها التليفزيون القبرصى من إخراج: جافرياليديس .

وفى أبريل ١٩٦٧ قدمتها فرقة «داى أوبردى» الإيطالية فى بادوا من ترجمة : فيليبو ماريا بونتانى وإخراج : ن. تسينجاكو .

وفى يوليو ١٩٦٩ قدمتها هيئة الإذاعة البريطانية من ترجمة چورچ إنجيل ، ومارتن إسلن .

الشخصيات

كيمون .
اليسافيت .
المصور .

(غرفة . الوقت مساء والظلمة تزحف سريعاً . فى هذه اللحظة يضىء الغرفة نور قليل وافد من النافذة . يجلس كيمون ساكنا فى العتمة غارقا فى مقعد عميق . وهو رجل فى الثلاثين من عمره ، طويل ، نحيف ، وسيم. برهة صمت. تعود اليسافيت من الخارج . تدير المفتاح فى الباب وتفتحه . تخطو داخله دون أن تنتبه إلى وجود كيمون . تضىء مصباحاً ذا حامل مسند إلى الأرض - وفجأة ......)

كيمون : اليسافيت !

اليسافيت : (جزعة) آه! (تضىء المصباح الثانى) أنت تجلس هنا ؟

كيمون : أجل . وأين أجلس غير هنا ؟

اليسافيت : تصورت أنك ستكون فى غرفة النوم .

كيمون : لم أدخل غرفة النوم قط .

اليسافيت : كنت تجلس هنا طول الوقت ؟

كيمون : أجل .

اليسافيت : لماذا لم تكلمنى ما إن دخلت ؟ أخفتنى . .

كيمون : معذرة . لم أكن أقصد .

اليسافيت : هذا الشغف بأن تعلن عن وجودك فجأة ، شىء لايطاق.

كيمون : قلت لك ، لم أكن أقصد .

اليسافيت : شىء لايطاق . لا أحتمله . أمس ، دخلت المطبخ ووقفت خلفى دون أن أتنبه إليك . كاد يغمى على عندما استدرت فرأيتك فجأة أمامى .

كيمون : أعتقد أنك سمعتنى . ما الذى يجعلنى أدخل إلى المطبخ خلسة ؟

اليسافيت : وما أدرانى ؟

كيمون : ليس ثمة ما يحملنى على أن أتسلل إلى المطبخ .

اليسافيت : حذاؤك لا يأتى صوتا .

كيمون : ألصقت به نعلا من المطاط . قلت لى إن الضوضاء يزعجك .

اليسافيت : الضوضاء .. الضوضاء .. أى ضوضاء يمكن أن يصدر عن رجل يمشى ؟ كنت أتكلم عن الضوضاء الشديدة .. عن الضوضاء التى تصدر عن طائرة .

كيمون : من هنا لا تمر طائرات .

اليسافيت : عن السيارات ، الموتوسيكلات ، الراديوهات .

كيمون : أنت التى اخترت هذه الشقة وسط البلد . لاحق لك فى الشكوى ، إذن .

اليسافيت : لا أشكو . أريد أن أشعر بالناس من حولى . على الأقل من حولى . (تأتى إلى الشباك وتجذب الستار) يروق لى المقام هنا . هذا الميدان الذى تتوسطه النافورة ، دار السينما ، المحلات ذات الواجهات المضيئة - الكنيسة . وددت أن أقيم هنا إلى الأبد . فى هذا البيت ، فى هذه المدينة . مللت السفر المتواصل . مللت السكك الحديدية ، والفنادق ، والحقائب .

كيمون : الأفضل ألا نعود إلى هذا الموضوع . أرجوك .

اليسافيت : أجل ، الأفضل ألا نعود إليه . (برهة صمت) ماذا كنت تفعل طوال بعد الظهر ؟

كيمون : تصفحت كتبا ، ومجلات . .

اليسافيت : تعرف جيدا أنك لا يجب أن تقرأ . عيناك فى حالة سيئة .

كيمون : عيناى ليس بهما سوء على الإطلاق . إنهما على خير ما يرام .

اليسافيت : لو مضيت هكذا ستصاب بالعمى .

كيمون : أعجب كيف دخلت عقلك هذه الفكرة .

اليسافيت : الشمس تضايقك . نسمات الهواء تضايقك . يجدر أن نستدعى طبيبا . غدا ، سأحضر طبيبا يفحصك .

كيمون : إذا فعلت ذلك ، سأغادر البيت .

اليسافيت : من فضلك ، لماذا لاتريد أن تسمع كلامى؟ على الأقل، إرضاء لى ، توقف عن القراءة قليلا . لماذا لا تخرج فى نزهة ؟

كيمون : الجو لا يطاق . الريح تعصف والمطر ينهمر .

اليسافيت : كل يوم ، تتعلل بالأعذار ذاتها كى تبقى فى البيت .

كيمون : كل يوم ، الريح تعصف ، والمطر ينهمر . هل هذا كذب ؟

اليسافيت : مضى اليوم شهر على مجيئنا إلى هذه المدينة . ومامن مرة دفعك الفضول أن تخرج قليلاً وتتنزه. فى النهاية ، إنها مدينتى ! هنا كبرت . لو كنت تهتم بى أدنى اهتمام لحاولت أن تتعرف عليها .

كيمون : ولماذا أتعرف عليها ؟ المدن كلها متشابهة . وهذه المدينة أسوأ المدن جميعا . لا تحتجى . قلت لى ذلك بنفسك. قلت لى أن السماء تمطر أغلب الأوقات وتمتلىء الشوارع بالطين . ثم تطلع الشمس ، وتهب الريح فتذرو التراب الذى يعمى العيون ، ويصيبك بالسعال ، تلصق بك ذراته . تحسين باللزوجة على يديك ، وعلى شفتيك . تمضغين ترابا ، أليس هذا ما قلته ؟

اليسافيت : ليس هذا كل ما قلته .

كيمون : هذا ما أذكره أنا . فلنغير موضوع النقاش ، الآن قولى لى ماذا فعلت أنت طوال النهار ؟

اليسافيت : ماذا كنت تريدنى أنْ أفعل . خرجت – وتمشيت . . .

كيمون : تحت المطر ؟

اليسافيت : توقف المطر منذ وقت طويل .

كيمون : يجدر أن تتقى الرطوبة .

اليسافيت : (تتثابها قشعريرة) ألبس ملابس ثقيلة . دافئة . ثم أننى أحب التجول ، أيا كان الجو . ألم تلحظ ذلك؟

كيمون : أجل ، لاحظت ذلك الآن وأنت تشيرين إليه .

(برهة صمت قصيرة)

اليسافيت : (بهدوء) أتساءل إن كنت قد اهتممت بأمر من أمورى قط . إنك لا تعيرينى أى التفات . إذا حدث ذات يوم ولم أعد إلى البيت فلن يشغلك ذلك أبدا . ومع ذلك أعود دائما فى الثامنة . كم أبلغ من العمر ؟ إنك لا تعرف حتى سنى . لم تسألنى عنه قط .

كيمون : وددت أن تحكى لى كيف أمضيت وقتك .

اليسافيت : قلت لك . تجولت . صعدت حتى ميدان المحافظة . هل سمعت عنه ؟

كيمون : كلا . لم يسبق لك أن كلمتنى عن هذا الميدان .

اليسافيت : يسمونه باسمه هذا لأن مقر المحافظة كان هناك ، أما الآن فتوجد به دار البلدية . مبنى ضيق طويل رمادى اللون ذو نوافذ خضراء صغيرة مصفوفة ـ وأمامه ساحة ، يذهب الأولاد إليها ويلعبون . سنوات وسنوات يلعب الأولاد هناك . يقولون «هيا نذهب ونلعب عند المحافظة» إلا أننى عندما وصلت كانت ظلمة المساء قد زحفت على المكان .

كيمون : ومع ذلك فقد بدأ النهار يطول .

اليسافيت : لا يعجبنى أن أحوم وحيدة حول أماكن يلعب فيها أولاد عندما يبدأ الليل يرخى سدوله . هل تستطيع أن تفهم ذلك ؟ صيحاتهم فى الظلام تسحق قلبى. أسترجع أيام طفولتى . لا أريد أن أستعيد ذكريات .

كيمون : ولا أنا . كنت تتحدثين عن الميدان . . .

اليسافيت : أجل ، الميدان . إلى اليمين يوجد طريق صاعد . لم أطرقه منذ سنوات عديدة . لم يتغير كثيرا . عند الناصية دكان حلاق . . «البعث» هذا اسمه . إلى جواره ، ما أن تستدير ، عمارة ذات لون وردى .

كيمون : قلت لونا ورديا ؟ لا أعتقد أن ثمة بيوتا بهذا اللون ، هنا .

اليسافيت : وكيف لك أن تعرف ؟ أنك لم تخرج قط . تجلس طوال النهار بين الحيطان مغلقا عليك .

كيمون : (يشير من النافذة) وهذا المكان هناك ؟

اليسافيت : إنه الميدان الرئيسي . هذا كل ما في الأمر .

كيمون : كي نأتي من الميناء إلى هنا اخترقنا المدينة كلها تقريبا . والعمائر التي لقيناها كانت رصاصية اللون أو سوداء .

اليسافيت : بدت كذلك بسبب الضباب . هناك عمائر ملونة ، صفراء وزرقاء وبيضاء ووردية . (برهة صمت . تستدير إلى كيمون) أتعرف ، في تلك العمارة الوردية أقام رجل كان يحبني آنذاك . . (برهة صمت) كنت أذهب إليه بعد ظهر كل يوم وألتقي به. كنت أقف مليا أمام دكان الحلاق ، وأنتظر أمه تنصرف . كانت أمه تخرج بعد الظهر في ذات الساعة كل يوم . كنت أراها تنصرف . كانت تلبس على الدوام معطفا أسود وقبعة خضراء . هل تسمعني ؟

كيمون : أسمعك .

اليسافيت : كنت أصعد الدرجات وأجتهد ألا أحدث جلبة حتى لا يسمعني سائر السكان . لكن كان هناك من يفطن إليّ على الدوام . رجل أرمني يفتح بابه قليلا وبنظراته يتابعني . كان صديقي يدخلني شقته بسرعة . يقدم لي ملعقة من مربى السفرجل تصنعها جدته . كانت تضع فيها قرنفلا ولوزا مما يجعل طعمها لذيذًا . (برهة صمت)

كنا نجلس على أريكة عريضة مغطاة بإزار ذهبى ذى حواشى بنية اللون . كان يريد أن يأخذنى بين ذراعيه ، لكننى لم أكن أتركه يفعل ذلك . كنت ألهو بحواشى الأريكة وأعقدها ضفائر . كان يلومنى قائلا «أنت لا تحبيننى» ، «أنا أنتظرك . أحصى الساعات ، والدقائق . . .» هل تسمعنى؟

كيمون : أجل .

اليسافيت : يخيل إلى أنك ولاحتى تكترث بأن تسمعنى (برهة صمت) عندما كانت الدنيا تظلم تماماً كنا نصعد إلى السطح . كان يشير إلى بعيد ويرينى الأحياء القديمة والقلاع التى تحوطها . . هل رأيت هذه الحصون ؟

كيمون : إنها لا تبين من النافذة .

اليسافيت : كلا ، إنها لا تبين من النافذة ، بل من مكان عال ، عال جدا ، تبين فحسب ، تلك القلاع كانت فيما مضى حصون المدينة ، وأصبحت الآن سجونا .

كيمون : سجون ؟

اليسافيت : أجل ، سجون رطبة مظلمة .

كيمون : ماذا كنتما تفعلان على السطح ؟

اليسافيت : كنا ننظر إلى ما حولنا . يشير بأصبعة إلى نقطة ما ، ويقول لى «هناك» «هناك ، بعيدا ، عند طلوع الفجر ، يعدمون المحكوم عليهم بالموت رميا بالرصاص» لم أكن أفهم لماذا يصر على أن يقول لى ذلك كل ليلة ، مصوبا

أصبعه نحو الشمال . بعد ذلك تفرقت بيننا السبل وراح كل منا لحال سبيله . ثم إذا بى اقرأ ذات اسمه فى الجريدة. كان بدوره ضمن المحكوم عليهم بالموت ، وأعدم هو أيضا ذات يوم فى الفجر . أليس ذلك غريبا ؟

كيمون : ما هذا الذى تعتبرينه غريبا ؟

اليسافيت : إنك لا تتابعنى . طوال هذا الوقت أتحدث إليك ، وأنت لا تتابعنى . ما من أحد اكترث بى اكتراثا حقيقيا.

كيمون : اسمعى . . ما الذى تبغينه من تجوالك كل يوم فى الشوارع ؟ هذه النزهات تحطم أعصابك .

اليسافيت : ما من أحد اكترث بى اكتراثا حقيقيا . هل تريد أن أخبرك بما حدث لى عندما كنت صغيرة ؟ فى الثامنة من عمرى ؟

كيمون : من فضلك اهدئى . لست بحاجة أن تخبرينى بشىء . هذا فضلا عن أن وقت تناولنا الطعام قد أزف .

اليسافيت : (ماضية) عند عودتى من المدرسة كنت أجد غرفتى مرتبكة. سريرى غير مرتب كما تركته فى الصباح وأنا خارجه . ما من أحد ، ما من أحد على الإطلاق ، كان يعنى بترتيبه لى . كنت أخشى الرقاد والنوم بين الأغطية الجعدة . لأننى عثرت ذات مرة فى ثناياها على صرصارين ميتين دسهما أخى لأخافتى .

كيمون : وددت أن آكل شيئا .

اليسافيت : (يتزايد توترها) وعندما كنت فى العاشرة ، كان الجميع يخرجون بالليل ، ويتركوننى وحيدة . وفى البيت المقابل كان يسكن

بعض النسوة العجائز . لم أكن أعرف كيف أمضى وقتى ، فمضيت أرقبهن . أراقب العجائز . كانت هذه تسليتى .

كيمون : ماذا تحملين فى اللفافات ؟

اليسافيت : كانت إحداهن ذات بشرة صفراء وشعر أبيض طويل . مثل ساحرة تماماً . لم تكن تبتعد عن الشباك لحظة واحدة ، حتى خيل لى أنها مرسومة على الزجاج . ثم كانت تجىء عجوز أخرى وتوقد القنديل .

كيمون : كفى . . .

اليسافيت : وكان عندهم دولاب ذو مرآة . وكان هذا القنديل يلقى ظلالا فى المرآة، وظلالا فى كل مكان، ظلالا ضخمة، وكنت أشعر بالخوف . . .

كيمون : كفى ، كفى ، إذن ! (برهة صمت) .

اليسافيت : كنت تقول إنك جوعان . . .

كيمون : الساعة الثامنة والنصف .

اليسافيت : فى هذه اللفافة دجاجة باردة .

كيمون : هم م م . . .

اليسافيت : وجمبرى بالمايونيز وسلطة سبرجس .

كيمون : سبرجس ؟

اليسافيت : وفى اللفافة الأخرى زجاجة شمبانيا .

كيمون : قلت شمبانيا ؟ وسبرجس ؟ ولماذا كل هذه الحفاوة ؟!. . . اليسافيت ؟ (يخطو نحوها ويواجهها) تخفين عنى شيئاً !

اليسافيت : سأذهب لأضع الزهور فى الماء .

كيمون : كيف ؟ اشتريت زهورا ؟
اليسافيت : هل تروق لك ؟
كيمون : رائحتها طيبة .
اليسافيت : ورد . أهداه لى المصور .
كيمون : المصور ؟
اليسافيت : بالطبع ، أنت تعرفه ، إنه ذلك الذى يمتلك دكان التصوير تحت ، عند مدخل العمارة . أنه يسألنى دائما عنك . ويقلقه أنه لا يراك أبدا . إنه على غاية من الأدب ، ويقولون إنه يلتقط صورا ممتازة .
كيمون : بهذه السرعة أمكنك أن . . . .
اليسافيت : يقولون إنه يستخدم خدعا مبتكرة فيحصل على نتائج باهرة .
كيمون : حماسك المفاجىء هذا . . .
اليسافيت : إذا أردت فلتنزل ذات يوم إليه يلتقط لنا صورة .
كيمون : اليسافيت ، ثمة أمر تخفينه عنى . . (برهة صمت)
اليسافيت : (بهدوء) دعوته الليلة لتناول العشاء معنا .
كيمون : آه ، كلا ، كلا ، كلا ! أبدا هذا . (ينم صوته عن اليأس والأسى) .
اليسافيت : (بذات هدوئها) سيحضر بين لحظة وأخرى .
كيمون : لن نعيد الكرة . لا أحتمل أكثر من ذلك . الصيدلى ليلة أمس .
اليسافيت : وما ضيرك من ذلك ؟ ماذا فعل بك الصيدلى .

كيمون : مضيت ، تقولين إنه يذكرك بصديقك ، تعرفين من أقصد ، قاطن العمارة الوردية .

اليسافيت : أجل .. شيء ما في صوته .. وفي نظراته ...

كيمون : وليلة أول أمس صاحب المكتبة .. سأجن !

اليسافيت : آه ، أجل ، اندوني . مكتبته أكبر مكتبة هنا .

كيمون : أندوني ؟ قال لنا أن اسمه يورغو ..

اليسافيت : كلا ، كلا ، كان اسمه اندوني . اذكر جيدا . كنا لا نفترق نحن الثلاثة آنذاك . أنا وصديقي واندوني . تذكرته ما أن رأيته . سوف كنت ترى أنه سيتذكرني بدوره ، لكنك لم تترك له الفرصة . تصرفت ببشاعة تلك الليلة .

كيمون : (بعد برهة صمت) اليسافيت . تأكدي أن .. أن .. ما اسمه ؟ اندوني هذا

اليسافيت : (شاردة) أجل . أجل . اندوني . كان هذا اسمه . على الأقل كنا نعرفه بهذا الاسم آنذاك .

كيمون : أمس ، كانت أول مرة ترينه فيها ..

اليسافيت : اسمع . سيأتي المصور بين لحظة وأخرى .

كيمون : أقول لك ماعدت أحتمل .

اليسافيت : هذه المرة لن تكون مثل السابقة .

كيمون : لا أصدقك !

اليسافيت : سأفعل كل مابإستطاعتي من أجل ..

كيمون : تماما ، ستفعلين ما باستطاعتك ..

اليسافيت : أنبِّه عليك . . أريدك أن تتصرف معه بلباقة .

كيمون : مستحيل !

اليسافيت : (دامعة العينين) أستحلفك ، للمرة الأخيرة .

كيمون : أصبح هذا الأمر عذابا ! صارت حياتى عذابا !

اليسافيت : للمرة الأخيرة . .

كيمون : حسنا ، افتحى الباب .

اليسافيت : لكننى لم أسمع جرسا .

كيمون : قلت لك افتحى . إنه بالخارج . متى قلت له أن يأتى؟

اليسافيت : حوالى الثامنة والنصف .

كيمون : إنه بالخارج . يقف منتظرا أن تأتى الساعة الثامنة والنصف كى يدق الجرس . أعرف جيدا هذا الصنف من الناس .

اليسافيت : تسىء الكلام عن رجل لم تعرفه بعد .

كيمون : أعرفه جيدا . انقيم معا فى ذات البيت أم لا نقيم ؟

اليسافيت : لايفيد ذلك شيئا . إنك لم تره قط . هذا فضلا عن أننا لا نقيم فى ذات البيت . كل ما هناك أن دكانه عند مدخل العمارة .

كيمون : أقول لك ، أعرفه جيدا . أنه يقف الآن هناك وراء الباب يتسمع كل ما نقوله عنه .

اليسافيت : أوه ، يا إلهى ! بدات تنفعل من جديد دون سبب .

كيمون : الأجدر به أن يمضى منصرفا ، لكنه لن ينصرف . سينتظر حتى تأتى الساعة المحددة للزيارة . إنه عديم الحياء .

اليسافيت : كل مرة يجيء رجل هنا يتبدل حالك وتثور .

كيمون : سئمت تكرار الأمر ذاته كل مرة .

اليسافيت : ربما كان الذنب ذنب ذلك الداء اللعين الذى أصاب عينيك .

كيمون : عيناى سليمتان لاعيب فيهما . إننى أرى حتى فى الظلام أيضاً .

اليسافيت : (ملاطفة) أجل ، هذا هو الأمر ، أفهم جيدا الرعب الذى ينتابك .

كيمون : أى رعب هذا ؟ عن أى شيء تتحدثين ؟

اليسافيت : حبيبى ، تخاف أن . .

كيمون : أخاف أن . .

اليسافيت : لا أجسر على القول . أنه لأمر فظيع . .

كيمون : قولى إذن ! قولى !

اليسافيت : تخاف إنك ذات يوم ستريد أن تضيء النور . .

كيمون : حسنا ؟

اليسافيت : بينما سيكون النور مضاء . (صمت) .

كيمون : اليسافيت ؟

اليسافيت : أجل ، يا حبيبى ؟

كيمون : لماذا تصرين على هذه المهزلة ؟

اليسافيت : حبيبى ، أية مهزلة ؟

كيمون : عيناى (يدق الجرس) ليس بهما شيء على الإطلاق .

اليسافيت : الجرس ، يا حبيبى .

كيمون : لم أشعر يوما أننى أحسن حالا مما أنا عليه الآن .

اليسافيت : الأفضل أن تفتح له أنت . سيكون ذلك أكثر تشجيعا له .

كيمون : أنبه عليك مشددا أن تتركينى وشأنى .

اليسافيت : (لاهثة) أرجوك ، أرجوك افتح له . ها هو يدق الباب من جديد . ها هو (يدق الجرس) كف عن تعذيبى . . (يتبادلان النظرات . ثم تخفض اليسافيت صوتها وتقول هامسة) إننى ذاهبة لأسقى الزهر . (يبقى كيمون وحيدا . يقف مترددا بضع ثوان . ثم يذهب ويفتح الباب . يدخل المصور) .

المصور : مساء الخير . عسى ألا أكون قد أخطأت الشقة ؟

كيمون : سيادتك المصور .

المصور : أجل .

كيمون : صاحب محل التصوير عند مدخل العمارة ؟

المصور : أجل ، عند مدخل العمارة .

كيمون : إذن ، تفضل . كنا فى انتظارك .

المصور : أرجو ، ألا أسبب لكما مضايقة .

كيمون : كلا ، على الإطلاق . عندنا ضيوف على الدوام . اليسافيت وأنا نحب أن نستقبل الناس فى بيتنا . اليسافيت ! ستحضر بعد لحظة. أعتقد أنها ذهبت تغير ملابسها . (يخفض صوته فجاة وقد دبت فيه المعاناة) هل أنت مصور حقا ؟ .

المصور : بالطبع !

كيمون : ألست طبيبا ؟

المصور : طبيب ؟ كيف خطرت ببالك هذه الفكرة ؟

كيمون : هكذا . الأطباء يروقون لى . هم قوم ظرفاء بسحنهم الجادة ، وستراتهم البيضاء الطويلة . كنت أحسدهم دائما . إذن ، لست ، فلنقل ، طبيبا باطنيا .

المصور : كلا ، بالطبع .

كيمون : طبيبا نفسيا ؟

المصور : لكننى أؤكد لك . . .

كيمون : طبيب عيون ؟ قل لى ، أرجوك . طبيب عيون ؟

المصور : لكن لماذا تصر على ذلك ؟

كيمون : غير ذى جدوى أن تخفى على . سأكتشف الأمر سريعاً.

المصور : بصراحة ، لا أفهم لماذا . . .

كيمون : حسنا . أصدقك . (يشتد ميله عليه) هل يمكنك أن تخفى سرا ؟

المصور : بالطبع . . .

كيمون : (مخفضا صوته) اليسافيت (يتلفت حوله) الأمر يتعلق باليسافيت . .

المصور : حسنا ؟ (تدخل اليسافيت) .

كيمون : (بذات الصوت الخفيض) فيما بعد ، سأقول لك . .

اليسافيت : أخيرا ! خشيت ألا تأتى .

المصور : لكننى لم أتجاوز الثامنة والنصف .

اليسافيت : أجل ، لكننى خشيت .

المصور : كيف كان ممكنا ألا أجيء ؟ اغتبطت جدا بالدعوة التى وجهتها إلى .

كيمون : كانت اليسافيت تنتظرك بصبر نافذ .

المصور : (خجلا - إلى اليسافيت) ما كنت أجرؤ على تصور أن . . . .

كيمون : تشجع ، يا صديقى ، تشجع .

المصور : إن امرأة مثلك . . .

كيمون : امرأة جميلة مثلك . . .

المصور : أجل ، قطعا ، امرأة جميلة ، سوف . . سوف تنتظرنى نافذة الصبر . . . اننى اخشع وارتعد خوفا ، على أى حال أن أخيِّب ظنكما (يلتفت إلى كيمون) أنتما الاثنان. لست معتادا على أداء الزيارات ، لأننى . . كيف أقول ذلك . . لا أُدعى كثيرا . يضجر الناس عادة من صحبتى .

كيمون : غير ممكن هذا . لابد أنك مخطيء .

المصور : ليتنى كنت مخطئا . لكن للأسف ، أصبحت متأكدا من ذلك . الإحساس الوحيد الذى أبعثه فى الآخرين هو عدم الاكتراث والضجر . (بينما يتحدث يلتفت تارة إلى كيمون وتارة إلى اليسافيت . ولكن نظراته خفيضه على الدوام) بعد دقيقتين ، أو خمس دقائق على الأكثر ، لا يكون لدى أحد الرغبة فى التحدث إلى . ينسوننى ، كما لو كنت غير موجود، وإذا جرؤت واقتربت من أحد وحادثته فإن

كلمـــاتى تتـــردى فى الخـــواء . ولاشىء ، لاشىء ، يجـعلنى قادرا على أن أسـترعى الانتـباه من جـديد . وعنـدئـذ فإنـنـى انهض وأنسحب منصرفـا بلا عودة ، بلا عودة لأنهم بطبيعة الحال لا يدعوننى مرة أخرى.

(صمت)

المصـــور : صدقانى ، أننى فى هذه اللحـظة أعانى . يبدو لى من المؤلم ألما غير معقول أن أقدم على مثل هذا النوع من الاعتراف ، لكن من الأفضل ، على الأخص وأنا معكما ، أن تعرفا الأمر ابتداء بـدلا من أن تكتشفاه وحدكـما رويدا رويدا لحظة فى أثر لحظة . ما كنت أحتـمل هذا ، فأنتما على غاية – كـيف أعبر عن ذلك – علـى غاية من الظرف . أنتـمـا الاثنان ، وهذه الغـرفـة (ينظر حوله) هذا الدفء المستحب ، ما أن دخلت تذكرت : الدفـء المستحب و . . .

كـيـمـون : (يلمس ذراعه) استمر . . . .

المصـــور : وتملكتنى الرغبة فى أن أطلق لساقى العنان . أليس الأمر مضحكـا ؟ ها أنتم ترون . أليس كذلك ؟ بدأت أتكلم هراء . . . ثم . . . هنـاك سـبب آخـر يجـعل الناس يتحـاشوننى . . . وعلى الأخص ، فى الآونة الأخـيرة . . إلا أن هذا لا أجرؤ على أن أقـوله لكما . . . كـما أنه ليس بالأمر اللائق . أتكلم وأتكلم عن نفسى . منذ اللحظة التى دخلت فيها وأنا الذى أتكلم وحدى . (يقول فجأة لأليسابيث) هل أنت تتطايرين ، تتشاءمين؟

اليسافيت : أوه ، كلا . . . لم أعد كذلك . عندما كنت صغيرة كنت أخاف القطط السوداء . كانوا يقولون لى إنك إذا رأيت قطة سوداء تسير أمامك فهذا يعنى موتا ، أما الآن . فماعدت أعتقد فى هذه الأشياء .

المصور : بالطبع ، كلا ، هذه سخافات ، كل هذا الذى يقولونه عن الرقم ١٣ ، وعن يوم الجمعة ، وعن المرور من تحت سلم . . مع ذلك هناك من يؤمن بأننى . . . بأننى أجلب نحسا . ينادوننى بالحانوتى ، لأننى أرتدى على الدوام بذلة سوداء . أليس هذا مضحكاً ؟ البعض يتشاءم من اللون الأسود . أما أنا فأحبه . كما أننى لست رشيق القوام ، ولا أستطيع أن أتصور نفسى فى غير هذا الملبس . لكن ليس هذا بصحيح . إننى لا أجلب نحسا . كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟ أنا رجل بسيط . كل هذا أشاعه عنى منافسون لى فى المهنة . كان يجدر أن أوقفهم عند حدهم ، إلا أننى خائف . تنقصنى الجرأة . هذه الجرأة على وجه التحديد هو ما كان يعوزنى دائما فى حياتى . عندما فتحت محل التصوير . . . .

كيمون : حدثنا قليلا عن مهنتك .

المصور : كلا . فى الحقيقة ، تجاوزت حدود اللياقة وتماديت . . أنتما طيبان للغاية إذ تنصتان إلى كل هذا الوقت . .

كيمون : يروق لنا أن نسمعك .

المصـــــور : تريدان حقا أن أحـدثكما عن مهنتى ؟ إذن ، أصـغيا . عندما فتحت محل التـصوير ، كنت أكسب قوت يومى فحـسب . كنت أمارس المهنة مـثل كل زملائى . كنت أصـور أطفـالا ، عـرسـانا حـديثى الزواج ، جنودا ، وكنت أستـخدم كخلفـية لتصـاويرى الديكورات المألوفة الزائفـة : حـدائق مـزدهرة ، مـلاهى ، أطلال أثرية ، حتى واتتنى ذات يوم الفرصة ، الفـرصة الكبيرة ، دقت بابى . دخل محلى شخص ما .

كـيـــمـون : شخص ما ؟ أى صنف هو ؟

المصـــــور : أوه ، رجل عـــادى جـدا ، فى حـوالـى الأربعين من عمره، بغير ما خصـيصه مميزة فى مظهره ، وقال لى : أريد أن تصورنى صورة غير مألوفة . عرضت عليه بعض الأفكار ، تداولنا فيها ، لكنه فى النهاية رفضها كلها .

كـيـــمـون : حـدثتنى اليـسـافيت عن بـعض الخـدع المبـتكرة التى تستخدمها .

المصـــــور : انتظر. عن هذا الأمر بـالضبط سوف أحـدثكما . كنت أقول إذن إن افكارى لم ترق له . ومضى يطالبنى بأفكار أخرى .

كـيـــمـون : أفكار أخرى .

المصـــــور : أجل ، كان يريد صورة تصوره ميتا بميتة بشعة . تداولنا فى أوضـاع مختلفـة . فضلنـا وضـعا يصـوره ضحيـة فى حادث سيارة . ماذا أقول لكمـا . بذلت جهدا كبيرا

في ضبط المونتاج المعتاد وإتقان الرتوش ، لكن في النهاية لقيت الصورة نجاحا كبيراً . على الأخص تلك الدماء التي لطخت الوجه ، وهاتان العينان الزجاجيتان ، واليد . . أحد اليدين قد تآكلت حتى الرسغ بينما أصابع الذراع ذاتها قد تشبثت بالتربة . . .

كيمون : ياله من أمر يثير الاهتمام !

المصور : حقا ؟ تحمس الرجل وفي اليوم التالي أرسل إلى أحد معارفه أراد أن أصوره مشنوقا .

كيمون : مشنوقاً ؟

المصور : أجل ؟ مشنوقا ، وقد تدلى لسانه . ثم أرسل إليّ المشنوق زبونا آخر ، وأرسل إليّ هذا الأخير آخر ، وحتى لا أطيل عليكما ، منذ ذلك الوقت الذي اشتهر عني فيه أنني التقط هذا النوع من الصور ، إنهال عليّ الزبائن فلم يعد لدي وقت حتى لطردهم . اكتظ محلي بعملاء يريدونني أن أصورهم مشنوقين ، مخنوقين ، مطعونين ، محترقين ، مصلوبين ، لا أخفي عليكما أنني أبذل في هذا المضمار جهدا كبيرا ، ولا أنكر أنني اخفق في إرضاء زبائني أحيانا ، فكثير منهم يبالغون في طلباتهم . على سبيل المثال ، أول أمس جاءني أحد الأمريكيين .

كيمون : عندك أمريكيون أيضاً ؟

المصور : أجل . جاءني ذلك الأمريكي من أهويو . تصادف أن زار معتقل بوخينفالت في ألمانيا ، لابد أنكما سمعتما عنه ،

كما شاهد فيلما تسجيليا عنه . فلم يضع وقتا . طلب منى أن أصوره وقد مات من الجوع وسوء التغذية، لكنه كان صاحب وجه صبيانى ممتلىء لم يكن بإمكانى أن أغيره بطبيعة الحال . فكانت النتيجة مدعاة للضحك، بينما صورى أنا مأساوية وليس مضحكة .

كيمون : بوخينفالت ! أضحى الأمر مثيرا للغاية !

المصور : (بصوت مرتجف) هذا هو التعبير الصحيح ! مثير حقا مبلغ إقبال الناس على أن يصوروا فى مثل هذه الأوضاع. اعتقد أن عهد الصورة العاطفية قد انقضى إلى غير رجعة. ودون أن اتباهى أقول إننى من وضع نهاية لها . أن محلى ، على الأقل الآن هو الوحيد الذى أنتج هذا النوع من الصور ، لأن لدى سر الصنعة الذى أحرص بشدة على كتمانه . لاحظا أن زبائنى لا يتعبون فى شيء أبدا . إنهم يجلسون هادئين وادعين على الكرسى ، كما لو كانوا يجلسون لاستخراج صورة لبطاقة شخصية ، أما الباقى فيجرى كله فى المعمل .

كيمون : إذن ، لابد إنك أثريت من هذه العملية .

المصور : (بحزن) كلا ، على الإطلاق . أننى اكسب ولاشك ، ولكن ليس بالقدر الذى كان يجدر أن أكسبه ، وذلك ، كى أعود إلى النقطة التى بدأت منها حديثى ، لأن الجرأة تنقصنى. لا أقوى على أن أصل بعزيمتى إلى منتهاها ، لا أجرؤ أن أصير غنيا ، لا أجرؤ أن أصبح مشهورا ،

ولا أن أبرز أو أتميز عن الآخرين . تنقصنى الجرأة دائما. ماذا قلت لكما ؟ الجرأة . أنا جبان . . . من فضلكما ، هل أستطيع أن أشرب شيئا ؟ (برهة صمت . يمسح وجهه بمنديله - ينهض كيمون ويعد له شرابا) .

اليسافيت : استثرت اهتمامى . أريدك أن تصورنى صورة من هذا القبيل . أجل ، أريد ذلك . كيمون ! فلتنزل يوما لنلتقط صورة معا .

كيمون : فكرة رائعة !

المصور : أستمحيكما عذرا ، ولكن . . .

كيمون : ولم لا ، سوف تكون صورة مدهشة . .

المصور : لكن ، من فضلكما ، اسمعانى .

كيمون : هل تمانع فى ذلك ؟

المصور : أجل ، أمانع . إنى إنسان بدورى .

كيمون : لا أفهمك . . .

المصور : هذه الصور تجعلنى أعانى . هل تعتقد أن الأمر على هذه البساطة ؟ ما أن أتعرف بإنسان أتصوره ميتا ، هيه ؟! فى النهاية ، يستحيل الأمر فكرة متسلطة . وها انتما الآن ، تطالبانى . . . وأنتما فى شرخ الشباب ، وعلى غاية من الرقة . . . أن . .

كيمون : هيا ، دعك من السخافات . . . (يروح ويجيء كما لو كان يستلهم فكرة) أقترح أن تصورنى ، صريعا على الفراش ، بينما تكون اليسافيت . . .

المصـــور : مستحيل !

كيـمـون : مقتولة وعارية .

المصـــور : عارية !

كيـمـون : أجل ، مقتولة . وملقاة على الأرض ، عارية .

المصـــور : لن أجرؤ على ذلك ابدا ! إن جسدها . . .

كيـمـون : ماذا ؟

المصـــور : الجسد المصور يجب أن يكون جسدها هى . . .

كيـمـون : وماذا فى هذا ؟ لا أعتقد أنك تستحى ؟

المصـــور : من فضلك ، لا تصر . . . . .

كيـمـون : حسنا ، لن أصر ، عندى فكرة أفضل . . أنا على السرير رأس بلا جسد . . ورأس اليسافيت هذا الرائع ، بشعرها الأسود الطويل . . ملقى على الأرض ، كما لو كان قد قطع بمقصلة . . .

المصـــور : إنك تضعنى فى موقف صعب للغاية . .

كيـمـون : لماذا ؟ (يقترب من اليسافيت ، ويرفع وجهها) ألا ترى أنها رائعة ؟

المصـــور : بلاشك ، هى رائعة .

كيـمـون : هل رأيت من قبل بشرة أكثر بياضا من هذه . . .

كيـمـون : اقترب لحظة ، اقترب . . . مد يدك . . . تحسسها . . إنها ناعمة الملمس كالقطيفة . . . تحسسها ، لا تخف . . .

(يلمس المصور اليسافيت التى تنتفض واقفة . يضغط كيمون برفق على كتفيها ويدفعها إلى الجلوس من جديد) .

المصـــــور : من فضلك هل لى قدح آخر من الشراب ؟

كـيـــمـون : بكل سرور . . سأشرب معك . (بينما يصب الشراب ، يتبادل المصور واليسافيت نظرات سرعان ما يسحبانها ، ويشيح كل منهما بعينيه عن الآخر) إنك تشرب كثيرا . هل أنت غير سعيد فى حياتك؟

المصـــــور : أنا ؟ يمكننى أن أقول ، كلا . . . لست سعيداً . . .

كـيـــمـون : تعس أنت ؟

المصـــــور : ولا هذا . بكل تأكيد ولا هذا . . . (يجرع قدحه دفعة واحدة ، ويستجمع انفاسه) أنا فى السابعة والأربعين . . غير متزوج أكسب ما فيه الكفاية ، على الأقل ، ما يكفى مطالبى. آعيش مع شقيقاتى ، وهما أكبر منى . إحداهما لم تتزوج ، والأخرى فقدت زوجها . أصيب فى حادث أيام الاحتلال . تفهمان ما أقصد . . . نقيم فى بيت خلوى . . كل شىء على ما يرام هناك . . هدوء . . لدينا حديقة جميلة أتعهدها بالرعاية . أزرع البانسيه وعباد الشمس ، وزهورا من أصناف أخرى متنوعة . زهرة المائة ورقة ، الفانجريانا ، الزهرة الصفراء ، والورد الوحشى . . أصحو فى الصباح مبكرا ، ساعة قبل شقيقتى . أنزل إلى الحديقة ، اجلس فى مقعدى ، اشرب القهوة ، وأدخن سيجارتى الوحيدة طول اليوم . هذا شىء يعنى الكثير بالنسبة لى . فى تلك اللحظات ، أجل ، أحس أننى سعيد (صمت) .

كيمون : اليسافيت ، أعتقد أنه يجب أن تجهزى شيئا للعشاء.

(تخرج اليسافيت)

المصور : إلا أننى . . .

كيمون : (يقاطعه) اسمع ، صرفتها حتى أختلى بك . أريد أن أطلب منك طلبا .

المصور : آه ، أجل ، كنت قد بدأت تحدثنى عن . . .

كيمون : (بصوت خفيض) تماما الأمر يتعلق باليسافيت . هل يمكنك أن تسدى إلى خدمة ؟

المصور : بكل سرور !

كيمون : (يلقى نظرة نحو الباب) أتحدث إليك كرجل يتحدث إلى رجل.

المصور : بكل تأكيد !

(يقترب منه منكبا ، بصوت خفيض وحازم)

كيمون : أعطها قليلا من السعادة . . .

المصور : (وقد بوغت) اعطيها . . ماذا قلت ؟!

كيمون : (يزداد اقترابا منه) اعتقد أنها واقعة فى غرامك .

المصور : أنا ؟ كيف يمكن هذا ؟

كيمون : (ماضيا) ألم تلاحظ أنها أرتعدت عندما لمستها ؟

المصور : كلا . لا أصدقك .

كيمون : انتفضت واقفة ، وأرادت أن تولى هاربة . لكننى لم أتركها . تذكر ذلك !

المصور : أجل ، هذا صحيح . أذكره .

كيمون : ها أنت بنفسك تسلم .

المصور : (مرتعشا) إسمع : أنا فى السابعة والأربعين ، دميم الخلقة . أعرف ذلك جيدا . تظن أننى لا أعرف نفسى؟ يداى . انظر إلى يدى المريضتين ، يتصبب العرق منهما، وأظافرهما متآكلة . هل يمكن أن أروق لامرأة وأنا بهاتين اليدين ؟ كلا ، أننى لا أصدقك . . إنك بمزاحك هذا تضمر لى شرا .

كيمون : (بعناء) ألفت نظرك . ليس لدى وقت أضيعه . إنها لن تلبث أن تعود أعطها قليلا من السعادة . إنها تعسة ، تتعذب . . .

المصور : تتعذب ؟ ما الذى يعذبها ؟

كيمون : أقول لك أنها تعسة . . بالليل تنتابها الكوابيس ، تصرخ فى نومها ، وبالنهار لا تستطيع أن تبقى فى البيت لحظة. تخرج ، وتسير وتسير بلا توقف . تهيم بلا هدف فى أرجاء المدينة ، لأنها تعتقد أنها المدينة التى ولدت فيها ، بينما لم تطأ قدمها هذه المدينة من قبل .

المصور : ماذا تقول ؟

كيمون : تعذبها أفكار مستحوذة عليها . تعتقد أن كل من يحبها يحكم عليه بالإعدام ، ويموت . يعزل ويرمى بالرصاص فى معسكر التنفيذ . إنها لا تدعنى ادخل غرفتها . تخشى واهمة أن أزيح الغطاء عن سريرها ، وأدس فيه صراصير ميتة . إنها عجوز تعسة . .

المصـــور : عجوز ؟ أيه ، كلا ، إنهـا ليست عجوزا ، لا يمكن أن يقال عنها ذلك ؟

كـيــمـون : كم تعتقد عمرها ؟

المصـــور : إنها لا تكاد تبلغ الثلاثين . ماذا أقول ؟ إنها فى الخامسة والعشرين ، على الأكثر .

كـيــمـون : خـداع ! كل شىء خـداع . ألا تلاحظ الإضـاءة ؟ إننا نحيا فى شبه ظلام دائم ، بسببها .

المصـــور : هذا كذب ! اليسافيت أصبى من ذلك بكثير . . .

كـيــمـون : بشرتهـا ، هذه البشرة الرائعة ، لوكنت تعـرف ، كيف تحافظ عليهـا . . . بدهانات بشعة مخربة تنفـذ إلى دمها وتسمـمها رويدا رويدا . . وشـعرها ، شعـرها الأسود الجميل . . .

المصـــور : كلا ، لا أريد ! لن أسمع مزيدا . . .

كـيــمـون : ليس هذا شعرها . شعر اليسافيت أبيض وقد تساقط عن أجزاء كثيرة من الرأس .

المصـــور : يا للفظاعة ! . .

كـيــمـون : والأدهى من ذلك . اسمع ما هو أدهى وأمر . لما كانت تخـشى أن أهـجـرها تريد أن تفـرض علـى فكرة أننى مصاب بعمى بطىء ، وأفقد البصر رويدا رويدا . .

المصـــور : يا إلهى ! يا إلهى ! . .

كـيــمـون : حذار أنها قادمة . لابد أنك قد عرفت شيئا . (يهرب من الباب الأيسر بينما تدخل اليسافيت) .

اليسافيت : معذرة . تركتك وحدك . أعددت المائدة . ثم خرجت قليلاً إلى الشرفة . . يحلو لى أن أخرج إلى الشرفة فى مثل هذا الوقت، وأُسَرِّى عن نفسى بمتابعة حركة المرور. شعور غريب ينتاب المرء عندما يعود إلى الأماكن التى عاش فيها سنوات من قبل . يخيل إليه أن ثمة شيئًا قد تغير . ثم لا يلبث أن يخيل إليه أيضًا أن ما من شىء قد تبدل . يشبه الأمر الأحلام قليلا . هاك مثلا على ذلك ، دار السينما هذه ، خيل إلى أنها كانت على الدوام قائمة هنا ، بينما اكتشفت أمس فقط أنه لم يمض على بنائها شهر واحد . عندئذ تذكرت أن هذا العقار كانت تشغله من قبل مدرسة . . للحظة ، عاد إلىّ مخيلتى الشارع كما كان آنذاك على وجه التحديد . شريط الترام ، وعلى مبعدة مكتبة ، ثم فجأة لا شىء ، لا ترام ، ولا مكتبة ، بل عمارات جديدة ، ودار السينما . وهذا الميدان تتوسطه النافورة ومن حوله حانات ودور للهو . . إنى متأكدة من أنها لم يكن لها وجود فى ذلك الزمان . . . ومع ذلك ، تذكرنى النافورة بشىء ما . لكن ما هذا الشىء ؟ سأجده فى النهاية ، غير ممكن ألا أجده . . . (فى هذه الأثناء التى تمضى اليسافيت فى حديثها ، يكون المصور قد اقترب منها . يمد يده ببطء نحوها كما لو كان يريد أن يلمسها . ثم لا يلبث أن يسحب يده فجأة) .

المصـــور : كلا ، كلا ! مستحيل ! لا أصدق !

اليسافيت : (مشعبة) لا تصدق ؟ ما الذى لا تصدقه ؟ أوه ، ذلك الذى قاله لك عنى ، بالطبع لا تصدق . . .

المصور : كنت تعرفين إذن ، ما كان سوف يقوله لى ؟

اليسافيت : كنت أعرفه . هكذا يتكلم عنى كيمون ، دائما ، إلى كل الناس . انظر إلىَّ . انظر إلىَّ جيدا (ترفع المصباح وتقربه من وجهها) كلا أننى لا أخاف الضوء .

المصور : يا لك من امرأة جميلة ! . .

اليسافيت : قال لك أن العتمة تروق لى ، وأننى أحب الضوء الخافت ، اليس كذلك ؟ قال لك أن شعرى هذا مستعار؟ خذه بين يديك ، إذن ، ها هو ، ها هو ، خذه . . (تحل جدائلها وتجليها) .

المصور : كفى ! أصدقك . . لكن ، لماذا يفعل ذلك ؟

اليسافيت : لا أدرى . يروق له أن يذمنى . أعتقد أنها المتعة الوحيدة التى ينالها منى . شىء واحد مما قاله لك صدق فيه ، وهو أننى تعسة . . إننى فى الحق تعسة جدا . .

المصور : اليسافيت ، وحق السماء ، لا تبكى . . لا أحتمل أن أراك تبكين .

اليسافيت : أحال حياتى إلى جحيم ، وفى أعماقه لا يعيرنى التفاتا. هل تفهم ذلك ؟ هل يمكن لأحد أن يتصور كم يكرهنى؟ لكن ، كلا ، إنه ولا حتى يكرِهنى. إنه لا يكترث بى. أننى غير موجودة بالنسبة له . وإذا كان يعذبنى ، فكما لو كان يعذب قطة أو فأراً .

المصـــــور : لا تبكى ، أتوسل إليك !

اليسافيت : يقـول إننى أضايقـه ، ولهـذا اضطر إلى التغـيب طوال النهار عن البيت ، وبالليل يغلق على نفسه غرفته ويحرم على دخولها .

المصـــــور : هل يفعل ذلك بك ؟

اليسافيت : إنه يتجاهلنى . يحـتقر الحياة التى عشتـها حتى اليوم ، الفساتين التى ألبسهـا ، المدينة التى ولدت فيها ، الناس الذين عرفتهم . . .

المصـــــور : اليسافيت ، اصغى إلىّ ! . . .

اليسافيت : وعندمـا ينتابه الـضجـر ، يتفـتق ذهنه عن العـديد من الأفعال التى تبعث فى قلبى الذعر . يلبس فعلاً مطاطيا ويتسلل خلفى خلسة .

المصـــــور : إصغى إلىّ ، يجب أن أقول لك شيئا . . .

اليسافيت : وعن مـرض عينيـه ، مـاذا قال لك ؟ أننى أخـشى أنه سيصاب بالعمى ؟ أيه ، ألم يقل لك ذلك ؟

المصـــــور : أجل ، قال لى هذا . . .

اليسافيت : ومع ذلك ، إنها فكرته هو أن يتظاهر بضـعف البصر ، كى يبقى طول الوقت فى الـبيت معقـود الذراعين . أما أنا فأدعى أننى أصدقه حتى لا أضايقه .

المصـــــور : الذى لا أفـهـمه هو كـيف تواصلـين البقـاء إلى جـوار شخص مثله .

اليسافيت : أنى وحيدة ، لم يعد لى أحد . لا أعرف أين اذهب .

المصـــــور : كيف يمكن أن تقولى هذا ، بينما . . .
اليـسافـيت : لا أحد يريدنى . طردنى الجميع .
المصـــــور : ها أنا أمامك . .
اليـسافـيت : أعتقد أنك تريد أن تقول لى شيئا .
المصـــــور : أجل ، سأقوله . مـاعدت أحتمل الكتمـان . . أنا متيم بحبك . من أول لحظة رأيتك فيها ! . . .
اليـسافـيت : اسكت . ربما يسمعك .
المصـــــور : فليسمعنى . لا يهمنى . تعالى ، نرحل سويا .
اليـسافـيت : لا يمكننى أن أهجره .
المصـــــور : لماذا ؟ لماذا ؟ مادام لا يحبك ، لا يحـتاج إليك ، بينما أنا فى مسيس الحـاجة إليك . أنا بدورى تعس مثلك . فقط ، لو كنت تعرفين . . لو كنت تعـرفين ماذا حدث لى منذ أمس .
اليـسافـيت : ماذا حدث لك ؟
المصـــــور : لم يعد لى بيت . ولاعاد لى شيء ولا أحد فى الدنيا . شقيقتـاى ، كلا ، الأفضل أن أروى لك الأمر بالترتيب . . منذ قليل ، حدثتك عن حديقتى . أتذكرين ؟
اليـسافـيت : حديقة الورد ؟ أذكر ذلك . كنت تقول إن لديك العديد من أنواع الزهور .
المصـــــور : أجل . . .
اليـسافـيت : زهرة المائة ورقة ، زهرة الفانجـزيانا ، الزهرة الصفراء ، الورد الوحشى .

المصـــــور : أجل .

اليـسافـيت : وأنك كنت تسـتـيقظ مـبكرا سـاعة قـبل الآخـرين فى الصباح، وتشرب قهوتك . . .

المصـــــور : أجل ، أجل ، أجل . . .

اليـسافـيت : إنك كنت تشعر بالسعادة ؟

المصـــــور : ما عاد لشجيرات الورد وجود !

اليـسافـيت : ما عاد لها وجود ؟

المصـــــور : اقتلعتها شقيقتاى ، ليلة أمس !

اليـسافـيت : شقيقتاك ؟

المصـــــور : أجل . إنهـا قصة مـحزنة . تعـتقـد شقـيقـتاى أن فى الحديقة ، فى وسطها تماماً ، دفن أبوانا ، وأن شجيرات الورد تتـغذى من رفاتـهما . أن العـزلة ، كمـا ترين ، العزلة . . . تجلب إلى الذهن أفكارا شاذة . وقد عاشت شقيقتاى دائـما فى عزلة مريرة . كانا يكرهانى من أجل ذلك . كانا يسبانى . أحالا حيـاتى إلى جحيم . كثيرا ما كنت أعود من عملى فلا أجـد طعاما ، كانا يتركانى جائعـا . لكن ما كنت اتصور أنهـما سيـصلان إلى هذا الحد . إلى أن كـانت ليلة أمس ، وكنت على وشك أن اهجع إلى فراشى ، سمعت جلبة فجريت إلى النافذة . ورأيت مشهدا لن أنساه طول حياتى . . .

اليـسافـيت : لابد أنه كان فظيعا !

المصـــــور : (مرتعدا) كانت أختاى بقميص النوم الأبيض وقـد تهدل شعرهما الأبيض على الظهر ، يقـتلعان شجيرات الورد ويدوسانهـا بحقد شـديد . اندفعت إليهـما أمنعهـما . فرفعت صـغراهما ، الجاروف لتـضربنى . وليت هاربا كالمجنون . جريت فى الشوارع ، وقد قطعت انفاسى ، إلى أن وجدت نفسى فى الميناء . جلست على الرصيف وبكيت . لا أعرف كم من الوقت بكيت ، فأدخل ذلك السكينة إلى قلبى قليلا . بدأت شمـس الصباح تشرق، وأخذت طلائع العـمال تفد . عندئذ نهـضت ، وعدت إلى دكانى ، وفتـحته مثل كل يوم ، لكن عـقلى ماعاد يعمل . كان قد توقف .

اليسافـيت : (تربت على جبينه ملاطفة) .

المصـــــور : اليـسافـيت ، لو لم تجيـئى أنت ، وتقفين هناك أمـامى بوجهك الـوضاء ، وتوجهين إلى الدعـوة لزيارتك هذا المساء ، ما كنت أعرف مـاذا سيحدث لى (تواصل اليسافيت ملاطفته مواسية ، فتربت على وجهه . فـجأة يتعانقـان ويتبادلان قبلة عـاطفية متأججة . يدخل كيمون) .

كـيـمـون : شىء جمـيل . اليسافـيت ! اشرحى له الآن مـا حدث بالضبط ، (برهة صمت - يتبادلون النظرات) ماذا ؟ ألا تتكلمين ؟ لعلك تفضلين أن أتولى أنا الشرح ، هذه الليلة ؟ حسنا جدا . أنا واليسـافيت لا نعرف كيف نمضى أمـسياتنا ، لهـذا لدينا على الدوام زوار مدعـوون للعشـاء . أناس

ظرفاء تتعرف إليهم اليسافيت فى الشوارع ، والمحلات ، والأوتوبيسات . البعض يذكرها بمعارف قدامى مما يملأها شجنا . ندعـهم يحكون لنا عن مشاكلهم وأحـلامهم ، وإخفاقاتهم . نجعلهم يحسون كما لو كانوا فى بيوتهم . نقـدم لهم دجاجـا وجنبـريا بالمايونيـز ، واسبـرجس ، وشمبـانيا ، وتعاملهم اليسافـيت والحق يقال بمودة بالغة ولكن تأتى اللحظة التى يـجب أن نبقى فـيها وحـدنا ، وللضيافة حدودها . الوقت مر . طابت ليلتك ! (يحملق فيه المصور دون أن يحرك ساكنا) ألا تفهم؟ أقـول لك بكل وضوح أن زيارتك انتهت . لا تلجئنى إلى أن ألقى بك خارجا .

اليسافيت : (بصوت خائر) طابت ليلتك .

المصــــور : كيف ؟ وأنت أيضـاً ؟ هذا فظيع ! فظيع ! (ينظر إليـهما كـما لو كان يرى أمامه وحشين) إذن ، فقد اتيتما بى إلى هنا لتهزآ بى ؟ لتسخرا منى وتتسليا ؟ هذا مـا كانت تهدف إليه دعوتكما ؟ كى تنفضـا عن أمسيتكما الضـجر على حسابى؟ على حسابى أنا الذى لم أعرف سعادة فى حياتى ؟

اليسافيت : من فضلك ، انصرف . . . .

المصــــور : (وقد صعدت غصة إلى حلقه) وأنت ؟ ألا تقـولين شيئا ، أنت ؟ موافقة أنت ؟ تتركينى طوال هذا الوقت افتح لك قلبى . بحت من أجلك بأسرار شقيقتى وبيتى . شجيرات الورد لم يعد لها وجود . لم يعد لشىء وجود ! قلت لك كل شىء ، كل شىء ! أوه ، هذا فظيع ، فظيع .

(يندفع متخبطا ويهم بالانصراف)

اليسافيت : كلا ، لا ترحل !

(برهة صمت)

كيمون : ماذا حدث ، يا حبيبتى ؟

اليسافيت : ماعدت أحتمل أكثر من ذلك . ماعدت أحتمل .. قلت لك. ألم أقل أن الليلة سوف تكون الأخيرة ؟ (إلى المصور) خذنى معك . لا تتركنى هنا ، بعد الآن.

كيمون : اليسافيت ، هل جننت ؟

اليسافيت : لا أريد أن أبقى لحظة فى هذا البيت . انتهى كل شيء.. سأذهب معه .. إنه يحس بى . يحبنى . نحن من المدينة ذاتها ...

كيمون : دعك من السخافات . أنت لم تولدى هنا .

اليسافيت : يعرفنى وأعرفه . إنى راحلة . لا أطيق المزيد . لا أطيق.

كيمون : تجلدى ، إذن . سأفعل بدورى ما بقى لى (يندفع خارجا) .

اليسافيت : (ثائرة) دعك من التهديدات ! ماعدت تخيفنى ، سامع ؟ لا تستطيع إخافتى ! (تسمع طلقة نارية من الداخل . تطلق اليسافيت صرخة . تمسك خديها بكفيها) الطلق النارى! قال ونفذ ما قال ! الطلق النارى !

(تندفع إلى الداخل ، بينما يحاول المصور أن يمنعها) .

المصور : لا ! لا تذهبى !

(تخرج اليسافيت من اليمين . ثم تعود بعد بضع ثوان ، وقد اتخذت هيئة من يسير فى نومه) .

اليسافيت : قتل نفسه ! قتل نفسه بسببى . كان يقول لى ذلك دائما، ولم أكن أصدقه قال لى «لو فقدتك ، سينتهى كل شيء بطلق نارى» .

المصور : ربما كان مصابا فحسب .

اليسافيت : اخترقت الرصاصة قلبه . . . (يهم المصور بالدخول وقد أسقط فى يده ، لكن تند من اليسافيت صرخة) لا ! لا تدخل ! حذار أن تضع قدمك هناك !

المصور : اليسافيت ، ليس ما حدث ذنبك . لاتقع المسئولية عليك .

اليسافيت : (وقد شردت نظرتها) دماؤه سالت من فمه . دماؤه . . .

المصور : أقول لك ، ليس ما حدث ذنبك . هيا ، نخطر الشرطة . . وبعد ذلك ، سنرحل .

اليسافيت : ماذا ؟ ماذا قلت ؟

المصور : ستأتين معى . لن أتركك وحدك . أليس هذا ما كنت تريدين ؟

اليسافيت : (كما لو كانت لا تفهم) سآتى معك ؟

المصور : ستنسين كل شيء . . سترين . . .

اليسافيت : سآتى معك ؟ معك أنت ؟ معك أنت ؟ (تتبدل حالها فجأة . وتتفجر فيه ثائرة) اغرب عن وجهى ، أيها القذر المنفر !

المصور : ماذا ؟

اليسافيت : (ماضية) جرؤت أن تصدق شيئا مثل هذا ؟ أنا أرحل معك أنت ؟ أنا وأنت ؟! أنت دميم قبيح . ألم يقل لك

-ذلك أحد قط ؟ أنت عجوز ، ألم يقل لـك ذلك أحد قط ؟ ، وذلك الرجل المسجى هناك كان شابا ووسيما ! أسنانك نخر فيها السوس . يداك تثيران تقززى . (تهجم عليه) امش ! عد إلى اختيك المجنونتين ، عد إلى بيتك الكريه ، ولا تخط منه خارجا ! هذا ما تستحق أنت وأمثالك ، أنتم يا من تأتون هنا وتفسدون علينا هدؤنا . أخرج ! أخرج ! أخرج !

(يتراجع المصور مرتعبا ، ويخرج من ناحية اليسار . تبقى اليسافيت وحدها . تبدو شاحبة مجهدة . تقترب من المرآة . تتفحص وجهها بآلية . ترتب شعرها . ثم تأتى إلى الباب فى ناحية اليمين وتقف فى مواجهة الجمهور .)

اليسافيت : (بصوت خال من كل عاطفة) تستطيع أن تخرج الآن .

كيمون : (يدخل) انصرف ؟

اليسافيت : (بذات الصوت) أجل .

كيمون : مثل الآخرين ؟

اليسافيت : أجل .

كيمون : هل لقيت صعوبة فى طرده ؟

(تذهب اليسافيت ، وتجلس فى مقعد يواجه الجمهور) .

اليسافيت : كلا . انصرف دون أن يقول كلمة .

كيمون : يداك ترتعشان ، وأنت مهدمة . يجب أن يتوقف كل هذا يوما ما .

اليسافيت : (كرجع الصدى) أنت محق . سيتوقف .

(برهة صمت)

كيمون : قلت لك ، لا أريد ضيوفا يتدخلون فى أمورنا .

اليسافيت : قلت لى ذلك .

كيمون : لسنا بحاجة إليهم .

اليسافيت : كلا .

كيمون : سوف تدخلين على ذات مرة وتجدين رصاصة حقيقية قد استقرت فى قلبى .

اليسافيت : (بلهجة ناعمة) يا حبيبى . لا توجد رصاصات حقيقية . تعرف ذلك .

كيمون : تقولين ذلك ، وتبدين حزينة .

اليسافيت : لست حزينة .

كيمون : غدا ، سنجمع أمتعتنا ، وسنرحل .

اليسافيت : (كرجع الصدى) سنرحل .

كيمون : عرفت الآن خطاك ؟ هذه المدن تتشابه . اختلط عليك الأمر . . .

اليسافيت : أجل ، تتشابه . اختلط على الأمر . . .

كيمون : تسلمين بأنك لم يسبق لك المجىء إلى هنا ؟

اليسافيت : (بذات الصوت السابق) أسلم .

كيمون : مائدة العشاء جاهزة . هل أنتظرك ؟

اليسافيت : انتظرنى .

(يخرج كيمون من جهة اليمين . تبقى اليسافيت بضع لحظات بلا حراك . ثم تنهض . ترتب بعض الأشياء شاردة اللب . تجىء إلى الشباك وتتأهب لإسدال الستائر . تطل منه قليلا كما لو كان ثمة ما استرعى انتباهها) .

اليسافيت : المدينة ! (تطلق صرخة) المدينة ! المدينة تحترق ! (تولول) تحترق !

ستار

لولا أناغنوستاكى

الاستعراض

(غرفة حوائطها مكسوة بأوراق حائط عتيقة . باب ضيق مرتفع . الأثاث : سريران يذكران بتلك الأسرة الحديدية القديمة المحاطة بقضبان تحمى النائم من السقوط. أحد السريرين غير مرتب . مقعد هزاز ، ومقعد آخر خفيض . أرفف. دواليب مكدسة بالكتب. لاوجود لنافذة بالمعنى الدقيق ، إلا أن بأعلى الحائط شبه مطل من مطلات المناور ، لا تغطيه قضبان حديدية ، وله ضلفتان زجاجيتان ، تفتحان . وأسفل هذه النافذة صندوق مما يستخدم فى تعليب البضائع . على الأرض ، وعلى المنضدة ، وعلى المقعد الخفيض ، وعلى السرير غير المرتب ، سفن وطائرات كثيرة من الورق . كما يوجد كثير من الكتب والخرائط المبعثرة فى أرجاء المكان . ظلام . صمت. تبدأ دقات طبول منفردة تتصاعد فى الظلام. تعزف موسيقات عسكرية ، تارة معا ، وتارة متفرقة ، ويفد العزف من قريب أحيانا ، ومن بعيد أحيانا أخرى . صمت .

ضوء . ومع الضوء ، يسمع نفير بعيد ، كما لو كان العازف يجرب نفيره . وهناك أيضا من يتدرب على دق الطبول فى الخلفية البعيدة ذاتها . ترى زوى - وهى فى الثالثة والعشرين من عمرها - جالسة فى المقعد الهزاز ، وقد أولت الجمهور وجهها . تغزل ثوبا ، وتؤدى من أجل ذلك حركات منتظمة ، وتغنى بصوت خافت) .

زوى : من يتسلق الجبال
ويجلب لنا الوردة الصغيرة
من يدخل المغارة
وينزل البيارة
ويسأل عنها عجوزا
تجمع أعشاب البرارى .

(يدخل آرى – وهو فى السابعة عشر من عمره – مستغرقا فى التفكير ، يمسك فى يده سلسلة يلهو بها . يصعد على الصندوق ، ويلقى نظرة من النافذة . وعلى الدوام فى الخلفية يسمع الطبل والنفير . يقوم آرى بجولة فى أرجاء الغرفة لاهيا بالسلسلة . يلقى بها على المنضدة . يستلقى على الأرض ، ويشرع فى ترتيب سفنه الورقية . ويلعب بها مقلداً معركة بحرية . يرص السفن فى وضع قتال . يمسك فى يديه طائرتين ، يمررهما فوق الأسطول وهما تطلقان النار . وطوال هذا الوقت ، لاتكف زوى عن شغل الأبرة وعن الغناء ...)

زوى : من يشد الترحال إلى ديار الغربة
يحضر لنا الوردة الصغيرة
– كم يخجل القلب –
يا أيتها الأم المنكودة .
أى قلب يرثى الآن
لوردتنا الصغيرة المفقودة .
(دون أن تستدير إليه ، تواصل شغل الأبرة)
آرى ، هل نحن وحدنا ؟

آرى : (يقلد الطائرة) تززززززز . . أجل ! تززز . . .

زوى : رحل أبونا ؟

آرى : رحل . . . . تززززززز ، بوم ، بوم ، بوم ، بوم . . .
(يقلد مدفعا سريع الطلقات)

زوى : لم اسمع الباب يصطفق . ثم هناك ذلك الضجيج الوافد من الميدان . أغلق النافذة .
ما هذه الأصوات ، أبواق ؟

آري : م م م . . . (ينهض متكاسلا ، ويغلق النافذة)

زوي : وطبول ، أيه ؟ من المؤكد ، أن ثمة استعراضا سيجرى أمام بيتنا . أبمناسبة عيد من الأعياد ؟

آري : لو كنت تكترثين بالقاء نظرة إلى النتيجة ، لتبينت أنه عيد من الأعياد السنوية . .

زوي : عيد قومى ، ترفع فيه الأعلام والبيارق ، وتمر المدارس تحت الشرفات . هل تجمعت جماهير فى الميدان ؟

آري : كلا ، لم يأت أحد بعد . (يلتقط من السرير غير المرتب ثلاث كرات صغيرة . يقذف بها إلى فوق وإلى تحت ، محاولا أن يقلد لاعبى السيرك) .

زوي : لا تروق لى الاستعراضات . أتذكر عندما كنت صغيرة ، وقفت وقتا طويلا تحت الشمس ، فأصبت بوجع فى الرأس ، وتقيأت ، وكدت أموت ؟

آري : لم يكن ذلك فى استعراض ، بل كنا نستحم فى البحر . .

زوي : هل تذكر ؟

آري : كلا . كنت صغيرا جداً . ربما لم أكن قد ولدت بعد . (يحاول التحكم فى الكرات ، فلا يفلح) . .

زوي : حسنا ، لا يهم ذلك . (برهة صمت وجيزة) أى ثياب ارتدى أبونا اليوم ؟

آري : سترته الزرقاء . .

زوى : تلك التى ارتداها أمس أيضا ؟ ينقصها الزرار ! الثالث بالجزء الأسفل ، والبطانة مفكوكة الخياطة من الجوانب. كنت أنوى أن أرفوها له مبكرا هذا الصباح . . . فى الحق ، يبدو لى ، أنى رفوتها . أذكر ذلك . . .

آرى : (نجح فى النهاية أن يتقن الحركة البهلوانية) لم ترفها . كان بسترته زراران فحسب .

زوى : وهل تركته يرحل هكذا ؟ هل ارتدى صدريته الصوفية على الأقل ؟

آرى : ارتداها . .

زوى : الصفراء أم الرمادية ؟

آرى : الصفراء .

زوى : حسنا فعل . . الصفراء أكثر دفئا . بدأ الجو يميل إلى البرودة في الخارج .

آرى : وكيف تعرفين ؟

زوى : كيف أعرف ؟ ماذا تقول ؟ (طوال الحوار لم تستدر نحو آرى) .

آرى : (بعد لعبة الكرات . يستند مجهدا إلى الحائط . يضع يديه فى جيبه) كم ساء الجو هذا المساء . . .

زوى : (ماضية فى شغل الأبرة) أخبرنى بذلك أبونا ليلة أمس ، حين عودته . قال لى : «تدثرى بشالك الأسود ، فقد أقبل الخريف» ثم نفخ فى راحتيه ، وقال «يجب أن نشغل المدفأة بعد بضعة أيام» . إنه يشعر بالبرد كثيرا فى الآونة الأخيرة . طلب منى أغطية صوفية من الآن ، وكلفنى

أن أذهب إليه بشاى ساخن قبل رقاده بالليل ، ربما كان مريضا . وأنت ، ما رأيك ؟ أهو مريض ؟

آري : (يتسلق إلى النافذة ، ويفتح الزجاج) لا أعتقد ذلك .

زوي : ماذا يجرى فى الخارج ؟

آري : ليس هناك شىء بعد . . الميدان خال . .

زوي : الحوانيت مقفلة ؟

آري : مقفلة تماما . وقد أنزلت ستائرها الحديدية . .

زوي : هل يجلس أحد على الأرائك ؟

آري : أقول لك الميدان مقفر . لم يحضر أحد بعد . .

زوي : وهذه الموسيقات ، من أين تسمع ؟

آري : لابد أنها تفد من مكان بعيد . . لست قادراً أن أرى . . ولكن أينما كانوا فأنهم يقتربون . . إنى متأكد ، أن الاستعراض سيجرى هنا ، تحت .

زوي : وما الذى يجعلك متأكدا ؟

آري : (يغلق الزجاج ، لكنه لا ينزل من على الصندوق ، يستدير إلى زوى) نصبوا فى الميدان تمثالا . فى الوسط تماما . سوف يزيحون الستار - على ما يبدو - عن نصب لبطل من الأبطال فى هذه المناسبة .

زوي : أى بطل ؟ ألم تتبين الأمر ؟

آري : كلا ، إنه مغطى كله بقماش أبيض ، ولايبدو منه شىء . .

زوي : إذن ، كيف عرفت أنه تمثال ؟

آري : وأى شيء يمكن أن يكون غير ذلك ؟ لقد أقاموه على قاعدة عالية ، وشدوا حوله حبالا كى يقف خلفها الناس الذين سيأتون لحضور الاستعراض . (بفرحة مفاجئة) ضوء مشعل ، بعد قليل سيبدأون فى التوافد !

زوى : (تغنى) من يدخل المغارة .
ويتزل البيارة .
ويسأل عجوزا
تجمع أعشاب البرارى

آري : (يفتر حماسه . ينزل بخطى وئيدة ، ويقف وراء زوى) تغنين ؟

زوى : أجل . لم اتبين ذلك . كنت شاردة البال . .

آري : فيم كنت تفكرين ؟

زوى : لا أفكر - إنى أغزل . .

آري : ماذا تغزلين ؟ كلا ، لا تخبرينى . سوف أخمن ذلك وحدى . . تغزلين ثوبا لك ، شالا ؟

زوى : أخطأت التخمين .

آري : إذن ، سترة .

زوى : ولا سترة . غزلت واحدة الأسبوع الماضى .

آري : صدرية بغير أكمام .

زوى : كلا ، كلا ، كلا . فستانا بأكمله . ها هو النصف السفلى منه .

آري : على كل حال ، إنه ثوب لك . خمنت هذا على الأقل . .

زوى : خمنتـه ؟ أظن أنك سألتنى عنه أمس أيضا وأخـبرتك . كيـف ، أجل ! أنا التى أخبـرتك . لم تكتشف الأمـر وحدك . .

آرى : هل يمكن أن أراه ؟

زوى : (تريه اياه) أليس جميلا ؟

آرى : أنه رائع . نبيذى . بذلك يسـمون هذا اللون . ولكنك تغزلين ثوبا ضيقا .

زوى : إننى نحيفة جدا . .

آرى : ضيقا وطويلا .

زوى : إنى طويلة ، سيكون على مقاسى تماماً .

آرى : أنت قصيرة القامة .

زوى : لا تدرى من أمرك شيئا . تقول ذلك كى تغيظنى . تريد على الدوام أن تغيظنى . .

آرى : قصيرة وبدينة .

زوى : أنت شرير . . لن أكلمك .

آرى : ليس فى البيت مرآة كبيرة . لذلك لم ترى هيئتك كاملة قط . قصـيرة وبدينة ، هذه أنت ، دون أن تدرى ذلك (يقفز مرحا) لى أخت ممتلئة الجسم قصيرة . .

زوى : لن أكلمك مرة أخـرى . أعطنى اياه (تهم بأخذ قطعة الثوب المغزول . يقفز آرى بعيدا) .

آرى : (يغنى) قصيرة القوام ، بدينة الجسد . .
مثل سيقان الاخطبوط ساقاها .

زوى : (تطارده) كذاب ! كذاب ! أعده إلى بسرعة . .

آرى : (وهو يجرى) هذا ثوب ضيق جدا . . لا نفع منه . (يكوره، ويلقى به بعيدا وهو ماض فى الغناء) وأنفها مثل نجمة بذنب . .

(يطارد كل منهما الآخر . وفى كل مرة تفلح زوى فى الاقتراب من الفستان يكون آرى أسرع منها فى الإلقاء به بعيدا . يتدحرجان على الأرض فى النهاية . ينهض آرى ، ويدوسه بقدمه) .

زوى : اتركه ، اتركه ، اتركه .

(منذ أن شرعت تجرى وراءه مطاردة ، بدأت تسمع جلبه أناس ، وفرقة موسيقية تقترب . كما يتعالى الصخب عندئذ فى الخارج بشدة فيتنبه إليه آرى فجأة .. يتخلى عن الفستان ، ويهرع إلى النافذة بينما تنكفئ زوى على الأرض، وتنخرط فى البكاء) . .

آرى : ها هو الموكب . لقد جاءوا ! غص الميدان بهم - امتلأ تقريبا - أتسمعين ! يفدون من كل الأنحاء ، يتراصون وراء الحبال . ارتدى البعض أفضل ثيابهم . تزينوا كى يحضروا الاستعراض . على أن البعض يرتدون رث الثياب - كفى عن البكاء ، وتعالى شاهدى . أوف ! مثل طفل صغير تتصرفين . يبسطون مظلات لاتقاء الشمس . يبسطون مظلات المطر لاتقاء الشمس ، أليس ذلك مضحكا ؟ كفى عن البكاء ، إنك تثيرين أعصابى . آخرون يصنعون من ورق الصحف قبعات ، يغطون بها رؤوسهم . أما أولئك - أجل - فهم أنصح الجميع . بأربع عقد يطوون مناديلهم مثل قلنسوة ، فلا يخشون

أن تطيرها الريح . الميدان فى وسطه خـال . لم يحضر الجيش بعد ، ولا المدارس . حضر أولاد الملجأ فحسب . وهم الذين يعزفون الموسيقى . .

(يستدير ملتفتـا إلى زوى ، التى عادت للجلوس فى مكانها وتواصل شغل الأبرة عابسة الوجه . يغلق النافذة ببطء . ينزل من على الصندوق ويذهب إليها) .

آرى : هل غضبت ؟

(تجر زوى مقعدها فى دلال بعيدا عنه)

آرى : اسـمعى : سـوف أطلب من أبينا غـدا أن يشتـرى لك صوفا أزرق كى تغزلى فستانا آخر . هذا اللون قروى . ألا ترينه ؟ (صمت) حسنا ، على كل حـال ، فأنا لست عارفا لهذه الأمور . أنى رجل ، ولا أفهم فى الألوان . ولكن الحق أقول لك ، ستغزلين فـستانا أزرق . . بضعة خيوط ذهبية على الياقـة ، هيه ؟ سوف يكون جميلا . اعترفى بأن فكرتى عن الخيـوط الذهبية رائعة (صمت) لا تكلمـينى؟ حسنا وأنا بدورى سـأطبق فمـى يوما كـاملا (يعود إلى سفنه) أتسمعين ؟ يوما كـاملا . لن تخرج كلمة من شفتى . . تززز (يلعب) .

زوى : (بلهجة شريرة) عندما أجلس هنـا فى مقعـدى منكبة على إبرتى ، وتسألنى وتلح فى السـؤال فيم أفكر ، أتريد ان أن أقول لك فيم أفكر ؟

آرى : بوم ، بوم ، بوم . (يطلق النيران) .

زوى : (باللهجة ذاتها) افكركم كانت تصبح سعادتى كبيرة لو كانت لى أخت بدلا منك . لكن ليس لى أخت ، إنى سيئة الحظ للغاية . .

آرى : تزرز (انقضاض عمودى) .

زوى : هذه الغرفة فظيعة . لا أستطيع أن أراها . . سفنك وكراتك وخرائطك وكتبك ملقاة فى كل مكان . تنتابنى الرغبة فى أن أجمعها كلها وأحرقها . .

آرى : عندئذ سأشعل بدورى النار فى سلة أثوابك الصوفية . لن أحرقها تماما ، بل سأتركها مزقا محترقة ترينها وتغلين من الغيظ .

زوى : أعرفك جيدا . أنت أهل أن تفعل ذلك . أنت شرير وقذر . سريرك نتن . أنك لا ترتبه أبدا . أتعرف كيف كان سيبدو سرير أختى ؟

آرى : كرا ، كرا ، كرا . .

زوى : بأغطية من ريش ناعم ، وردية اللون ، ووسائد بيضاء ذات شرائط زرقاء . وسوف كنت أغزل لها سجادة سميكة صفراء كى تقف عليها ما أن تطأ قدماها الأرض. ما كنت سأسمح لأحد أن يدخل هنا . كنا سنظل سويا نحن الاثنان ولا ثالث لنا . كنا ستتحادث ونتحادث . . وأفضى لها بكل أسرارى .

آرى : ألديك أسرار ؟

زوى : بالطبع لدى أسرار . لكننى لن أبوح لك بها أبدا ، لأنك رجل .

آري : ولا حتى بأقل القليل منها ؟

زوي : (تهز رأسها علامة النفي) كلا .

(ينهض آري . ويشرع في الدوران حولها)

آري : إذن ، لن أخبرك أنا أيضًا بما لدى من أسرار . (ينظر إليها نظرة غامضة) وعلى سبيل المثال لن أقول لك شيئا عن المفتاح .

زوي : المفتاح ! أى مفتاح ؟

آري : (يذهب إلى الباب ، ويخلع مفتاحا من موضع مرتفع) هذا ! (يمده نحوها ، حتى يكاد يلامس وجهها) .

زوي : إنه مفتاح البيت .

آري : تماما . هو مفتاح البيت . ذات يوم ، سآخذه ، وسأخرج . (يتطلع إلى النافذة) سأمضى نازلا إلى الميناء .

زوي : وماذا ستفعل في الميناء ؟

آري : سأشاهد السفن . سأختار يوما يأتى فيه الأسطول كى أتابع معركة بحرية حقيقية . .

زوي : كيف ستعرف اليوم الذى ستجرى فيه معركة بحرية ؟

آري : سأسمع دوى المدافع . إنها تسمع من هنا . ما أن أسمعها ، سأفهم ، وأخرج . وبعد ذلك ، ربما ذهبت أتريض فى المتنزه . .

زوي : ليس ثمة متنزه .

آري : من قال لك ذلك ؟

زوى : أنا أقول لك . حين جئنا نسكن هذا البيت - أذكر ذلك جيدا - اجتزنا المدينة كلها ، ولم نصادف فى طريقنا أى منتزه .

آرى : ربما . لا يعنى ذلك شيئا . على أى حال ، لم أخبرك بالأمر الأهم . .

زوى : الأمر الأهم ؟

آرى : (بخبث وانتصار) سأذهب إلى السينما ، خلف بيتنا . سأشترى تذكرة وأدخل .

زوى : كيف تعرف أنها سينما تلك التى خلفنا . لم تحدثنى عن هذا من قبل . خبرنى كيف عرفت ؟

آرى : عرفت ذلك ، وقد اكتشفته وحدى . (يمضى فى حديثه على نحو ما سبق) منذ أسبوع ، كل ليلة فى العاشرة ، وفى الثانية عشرة، يتدفق على الميدان أناس كثيرون، جماهير غفيرة. يمرون تحت نافذتنا ، ويتفرقون فى الشوارع المحيطة . كل هؤلاء لابد أنهم يخرجون من مكان ما . وبعد أن فكرت طويلا ، فهمت أنه لا يمكن إلا أن يخرج هؤلاء كلهم من إحدى دور السينما ، التى شيدت فى الآونة الأخيرة على مقربة من هنا . لو إنك لا تنامين فى الثامنة ، سوف كنت ترينهم بدورك . لكننى أحمق إذ اجلس وأخبرك بكل هذا ، منذ الآن لن أخاطبك بكلمة . .

زوى : (وقد اكتست مسحة غامضة) إذن ، لن أقول لك بدورى عما أنوى أن افعل . . لن أخبرك شيئا عن ذلك اليوم .

آرى : أى يوم ؟

زوى : اليوم ، الذى سيخلو فيه الميدان تماما ، ويقفز ، لأن ذلك اليوم سيكون الأحد والوقت صباحا . الحوانيت مقفلة ، ومن الليلة السابقة سوف يكون باعة الفاكهة وباعة الدجاج والغجر بسجاجيدهم وباعة السميط قد انصرفوا . وسيكون الجو باردا ، ولن يأتى أحد ليجلس على الأرائك .

آرى : وعندئذ ؟ وعندئذ ؟

زوى : وعندئذ ، ماذا ؟

آرى : قلت إن اليوم سيكون الأحد والوقت صباحا . .

زوى : (بلهجة بطيئة وحافلة بالغموض) عندئذ سأفتح الباب ، وأخرج . سأطوف بالميدان ، بالميدان كله (يبطء) سأدور حوله ، سأمر بالاقفاص وعربات الكارو والأرائك والكنيسة ، ومن أمام حوانيت المصنوعات النحاسية . قدور أباريق ، طاسات ، كل الأشياء من نحاس أحمر ، لامع مثل الذهب .

(صمت . يمضى آرى إلى النافذة غارقا فى التفكير) .

آرى : ماذا يفعلون حتى يطول تأخرهم إلى هذا الحد .

زوى : هل وصل الجيش ؟

آرى : كلا ، لم يصل بعد (يتناول كراته من جديد ، ويجرب حركته فى عصبية) .

زوى : آرى . .

آرى : أجل ؟

زوى : هذا الذى قلته لك الآن . .

آرى : أجل ؟

زوى : لن أفعله . (يتوقف آرى عن رمى الكرات) لأن الميدان لا يكون خاليا بما فيه الكفاية ابدا . . إسمع . حسبت كم من الوقت يلزمنى كى أطوف بالميدان كله . ربع ساعة على الأقل لوسرت بخطوات سريعة ، ونصف ساعة ، لو سرت بخطوات وئيدة . أجريت تقديراتى والساعة فى يدى . وعندئذ ففى أثناء الربع أو النصف ساعة سيوجد على الدوام من يمر من هنا ، حتى لوكنا يوم الأحد ، حتى لو كان البرد شديدا ، والجليد يكسو كل شيء .

آرى : ربما شاب حسابك خطأ . أتريدين أن نعاود الحساب معا من جديد ؟

زوى : كلا ، متأكدة أنا من أن حساباتى صحيحة . يوجد على الدوام من يمر من هنا . إلا إذا كان الوقت ليلا ، ولكن الظلام يخيم بالليل .

آرى : تخافين الظلام ؟

زوى : أشد الخوف . ألم تدرك ذلك ؟

آرى : بلى .

زوى : خفت الظلام منذ تلك المرة التى خرجت فيها مع أبينا .

آرى : أى مرة ؟ لا أذكر . لم تحدثينى من قبل عن ذلك .

زوي : أوه ، مضى على ذلك زمن طويل ، طويل جداً ، ربما سنوات وسنوات . كان ذلك في الأيام الأولى لمجيئنا إلى هنا . تركناك أنت نائما . خرجنا سويا . كانت الريح تعصف ، والمطر ينهمر . كنا نسير ونسير ، دون أن أعرف إلى أين نحن ذاهبان . كل الشوارع بدت لي متشابهة . لم أكن أميز شيئا . كان الظلام كثيفا ، ما من ضوء في أي مكان، والبيوت كلها موصدة الأبواب، والنوافذ مغلقة دون بصيص من نور (تصدر منها تنهيدة، كما لو كانت تلتقط انفاسها . ثم تواصل الحديث) كان ابي يبحث عن شخص ما ، هذا ما فهمت . طرقنا أبواب أربعة أو خمسة منازل ، لكن لم يفتح لنا أحد . في النهاية ، وصلنا إلى بيت مطفأ الأنوار ، لم تكن بعده بيوت أخرى ولا أي شيء على الاطلاق . وقفنا . قال الأب «هنا ، سننتظره» ثم خيل لي أن المكان زاد إظلاما . ظلام دامس ، بحثت عن يده ، وجدتها وأمسكتها بشدة . لأنني كنت خائفة للغاية ، وفجأة (تمسك رقبتها) وفجأة ، خطر لي خاطر مخيف . ماذا لو لم تكن اليد التي أمسكها يد أبي . . بل . . يد شخص آخر ، مجهول ، وازداد خوفي كثيرا ، ثم رحت أرتعد خشية أن يضيء نور . وكان المطر ينهمر ، ينهمر . . (تخفي وجهها بين راحتيها) .

(برهة صمت قصيرة)

آري : لم تحدثيني عن هذا الأمر قط .

زوي : (ترفع يديها عن وجهها) كلا .

آري : (يخطو بضع خطوات) إذن ، يجب أن اخبرك أنني بدوري لن أفعل ما قلته .

زوي : لن تنزل إلى الميناء في طلب السفن ؟

آري : كلا .

زوي : والمعركة البحرية ؟

آري : كلا . ولا حتى إلى السينما سأذهب . أتعرفين لماذا ؟ لأنني في الليلة ذاتها التي فكرت في هذه الأمور أول مرة رأيت حلما .

زوي : حلم ؟ أنا لا أرى أحلاما أبدا ، لم أر حلما واحدا قط .

آري : رأيت أنني أخذت المفتاح . (يشير لها إلى المفتاح) وفتحت الباب . الباب الخارجي . (يروي حلمه بالتفصيل وبإشارات من يده) ولكن بعد خروجي من البيت لم أجد رصيفا ولا ميدانًا ، بل وجدت غرفة فسيحة مفروشة .

زوي : ما الأثاث الذي كان بها ؟

آري : كان بها مقصف ضخم ، عال ، يصل ارتفاعه إلى السقف . وفي الوسط منضدة ضيقة مستطيلة ، منضدة كبيرة جدا واثنا عشر كرسيا مرصوصة حولها . على المنضدة غطاء نبيذي اللون ، والكراسي أيضا كسيت بأغطية من ذات اللون تغطيها حتى الأرض . كما كانت هناك نافذة كبيرة تكاد تشغل الحائط بأكمله ، ويتدلى

أمامها ستار كبير نبيذى اللون . وفى أغوار الغرفة باب ذو مفتاح . ودون أن أعى كيف حدث ذلك ، فتحت هذا الباب و . . .

زوى : ويعد ؟

آري : وجدت نفسى فى غرفة أخرى تشبه الغرفة السابقة . وإن كانت الغرفة الجديدة أوسع من الأخرى بكثير ، وليس من بين أثاثها المقصف أما الحائط فكان عاريًا ومدهونًا بلون أبيض .

زوى : تعنى أن المنضدة الكبيرة والكراسى هى التى كانت موجودة فحسب .

آري : أجل ، والستار الكبير النبيذى اللون الذى كان يغطى النافذة كلها . وقبالتى هناك كان أيضا باب تدلى من قفله مفتاح .

زوى : وهل فتحته بدوره ؟

آري : فتحته ، فوجدت غرفة ثالثة ، أوسع بكثير جدا من الغرفتين السابقتين. وليس بها سوى المنضدة فى الوسط. وفى هذه المرة ، لم يكن للكراسى ذات الأغطية النبيذية وجود . كان الستار النبيذى الذى يغطى النافذة كلها فى مواجهتى وأيضا فى الأغوار الباب ، وقد دلى من قفله المفتاح. فتحته، كانت الغرفة الآن خالية ، خالية تماما ، وأوسع من الميدان مرتين . ماذا اقول ؟ بل ثلاث أو خمس مرات . لم يكن هناك سوى الستار المدلى على

النافـذة والباب ذو المفـتاح فى عمـق الغرفة - السـياب ، اتفهمين ؟

زوى : (منزعجة خائفة) كلا . . .

آرى : الا تفهـمين ؟ فى الغرفة التـالية سوف لا يكون للسـتار بدوره وجـود . ستكون النافـذة عـارية ، ومن خلفهـا سوف . . . صرخت ، واستـيقظت من نومى . تفهمين الآن ؟

زوى : كلا ، لم أفهم .

آرى : (يمسح وجهه بحركة لا إرادية) أجل . ربما كنت على حق . ليس هناك ما يرجى الفهم . . كان حلما غبيا . أجل ، الآن وأنا احكيه لك اتبين ذلك . كان مضحكا .

زوى : ولا أنت حدثتنى عن ذلك قط .

آرى : إننا لا نتبادل الحديث كثيرا ، هيه ؟ ومع ذلك ليس لكل منا سوى الآخر . لا وجود لغيرنا نحن الاثنين .

زوى : لسنا اثنين فـحسب . هناك ابونا أيضـا . نحن ثلاثة فى هذا البيت . (اخذت تحصى العقد فى مغزولها الصوفى) واحد ، اثنين ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة . . (تواصل العد وهى تتمتم) .

آرى : أجل ، ولكنه متغيب طوال النهار ، وعندما يعود يذهب توا لينام . فى بعـض الأحيـان يخـيل لى أننا نبـدو له غريبين عنه ، وأننا عبء عليه . ما رأيك ؟

زوى : خمس عـشـرة ، ست عشـرة ، سبع عشـرة ، ثمانى عشرة . . .

آري : ما رأيك ؟ إنى اسألك .

زوى : سبع وعشرين ، ثماني وعشرين – دعنى الآن – إنى مستغرقة فى العد ، ألا ترى ؟

آري : كل ليلة ، اذهب إلى غرفته ، وأنظر إليه ، وهو يتأهب للرقاد فى الفراش . أعرف أن ذلك يضايقه. آراه يحاول أن يسارع بالرقاد ، أما أنا فاتعمد ، أن أجلس وأتابعه وهو يخلع سترته ، وقميصه وسرواله . يطويها بعناية ، ثم يرتدى بيجامته . يستلقى على السرير ، ويجذب الغطاء حتى رقبته . أتابع كل شىء ، ولا أدع شيئا يفوتنى . ثم يقول لى «اطفىء النور» فأطفئه واخرج . هذا كل ما فى الأمر . إنه لا يتحدث إلى أبدا . لا يقول لى شيئا . ذات مرة وهو غائب ، استبدت بى فكرة ملحة ! شرعت أفتش غرفته . قلبتها رأسا على عقب . الادراج، الدواليب، الكومودينو ، المراتب ، الوسائد ، قلبت كل جيوبه ، حتى داخل حذائيه وخفيه المترليين رحت أنقب ، لكننى لم أجد شيئا . وهل كنت اعرف عما أبحث ؟ صورة فوتوغرافية فحسب ، احتفظت بها . لم أعدها إلى مكانها . لابد أنها صورة قديمة ؛ لأنها مصفرة الأطراف ، ويبدو فيها أبونا فى بواكير شبابه . بلحية كثيفة جالسا على صخرة ، ينظر إلى البحر . (برهة صمت) خبرينى . ألم يخطر ببالك أنه قد لا يكون أبانا ، هيه ! إنى أسألك . لما لا تجيبين ؟

(تواصل زوى العد الآن فى صمت وتتمتم شفتاها بذلك دون صوت)

آرى : هل خطرت ببالك هذه الفكرة ؟ أنا خطرت لى ، مرات عديدة ! تكلمى ، قولى شيئا . لماذا لا تتكلمين ؟ إنى أسألك (يصب فى اذنها كلامه . تحاول زوى أن تتجنبه وقد ضايقها صراخه) هيه ، إذن ، اتعرفين ما خطر ببالى أيضا ؟ حتى أنت لست أختى . ولماذا تكونين أختى؟ لايشبه أحدنا الآخر فى شىء . هل تريدين أن أحضر المرآة ونطل فيها معا؟ وفضلا عن ذلك ، انك تكبرينتى بست سنوات ، وكان لابد أن أذكرك منذ زمن سابق بكثير على زمننا الحاضر ، لأن الصغار يذكرون الكبار ، فإننى لا أذكرك مع ذلك فى ماضىً على الإطلاق . لا أذكرك وأنت فى العاشرة من عمرك ولا فى الثانية عشرة ، ولا فى الثامنة عشرة . لا أذكرك فى حياتى إلا بعد ذلك ، بعد ذلك بكثير . هل تسمعين ما أقول لك ؟ (يصيح) ألا تجيبين ؟ . . تكلمى ، تكلمى ، بالله تكلمى ! سيفقدنى عقلى هذا الصمت المخيم هنا . (يصيح بشدة ، مثل طرزان) أوآ . . (وقد وضع كفيه حول فمه مثل متوحشى الغابة . ثم يقفز فجأة نحو زوى ، ويمسك راسها) دعينى أرى ، هل كنت بنتا طيبة اليوم ؟ هل غسلت أذنيك ؟

زوى : (تجاهد للافلات من بين يديه) اتركنى !

آرى : دعينى أرى أظافرك .

زوى : احترس ! (يتعرض الثوب الذى تغزله للإفلات من يديها)

آرى : حسنا ، خبرينى عما إذا كنت قد ذاكرت الواجب الذى كلفتك به . . أيتها الكسول . فلنر ماذا حفظت من دروس الجغرافيا . كم دولة فى أمريكا الجنوبية ؟ صفر وفى آسيا ؟ صفر . ماذا تنتج شيلى ؟ . . اجيبى . . صفر ، صفر ، صفر . فلننتقل إلى مادة التاريخ . فى أى السنوات عاش نابليون الأكبر ، متى عاش روبسبير؟ كم كان عدد اللودفيكيين فى فرنسا ؟ من كان أول ملوك اليونان ؟ من قتل ابراهام لينكولن ؟ صفر ، صفر ، صفر . فلننتقل إلى الرياضيات . . (اثناء ذلك كله ، يدفع بكرسيها ، فيدور بها دورات متلاحقة عنيفة) ما هو الجذر التربيعى لثمانية ؟ صفر . قولى بسرعة كم حاصل ضرب ١٢٧ فى ٢١٣ بسرعة ، الازلت لا تعرفين النتيجة ؟ صفر ، صفر ، صفر . .

زوى : (تنفجر وقد انفلت زمامها) اتركنى ، إذن ، اتركنى ! رأسى ، رأسى الصغير يؤلمنى . . (تدفع آرى دفعة قوية ، فيقع على الأرض ، ثم ينهض واثبًا) .

آرى : سأتركك ، إذا وعدتنى بالوقوف معى لمشاهدة الاستعراض .

زوى : (باصرار) كلا ! (تعود إلى الانشغال بما تغزله) .

آرى : بعد قليل سيبدأ . أنت الخاسرة . (يكون قد ذهب إلى النافذة) ياه ، ياه . كم من البشر تجمعوا ! إنهم آتون ، آتون ، ولا آخر لهم . يتجمعون وراء الحبال وينتظرون . أعتقد

أن فرق الجيش والمدارس ستصل معا . سيفدون من كل الأنحاء . سيمتلىء الميدان . إذن ، هل ستقفين هنا تتفرجين معى ؟

زوى : (بلهجة قاطعة) لا تعجبنى الاستعراضات .

آرى : كم أنت عنيدة . أما أنا فتعجبنى . اعتقد أنها الشيء الوحيد الذى يعجبنى .

زوى : تدفعك الجماهير وتدوسك . اتذكر تلك المرة التى كادت الجماهير تدوسنى . هل تذكر ذلك ؟

آرى : لم يكن ذلك فى استعراض ، أيتها الحمقاء ! بل فى غارة . وكنا نجرى كى ندخل المخابئ . ثم هناك شيء آخر . كفى عن سؤالى فى كل وقت عما إذا كنت أذكر هذا، أو أذكر ذاك ، أنى لا أذكر شيئا . كنت صغيرا جدا . أخ ، فليبدأ الاستعراض فى النهاية ! فى المدرسة كان يوم الاستعراض أحلى أيامى . انتظرت بفارغ صبر أن أكبر وأصبح حامل علم . كنت أدعو بداخلى أن تطول قامتى ، وتصل إلى متر وثمانين ، حتى يقبلونى حاملا للعلم ، لكننى ظللت قصيرا . يا للخسارة ، أليس كذلك ؟ هيه . . انصتى ، انصتى إلى الطبول (ينظر) أنهم لازالوا بعيدين . لو كنت ذهبت إلى المدرسة الثانوية . ربما جعلوا منى قارع طبول . من يدرى . . لا يحتاج قارع الطبول قامة طويلة (يدق يديه بإيقاع على المنضدة ويصحبه بصوته) بارابا بام ، باراريابام ، باراريابام . .

سأريك شيئا (يجرى إلى سريره . ينزع اغطيته ويركع ، يجلب من تحته صندوقا ، يخرج منه ضمن أشياء أخرى قبعة مدرسية ، وبوقار يرتديه) قبعة !

زوى : أين وجدتها ؟

آرى : أحتفظ بها منذ عدة سنين . أرتديها فى الأعياد القومية.

زوى : لم أرها من قبل .

آرى : سبق أن رأيتها ، لكنك لا تذكرين . إنك لا تذكرين شيئا على الإطلاق . تذكرين فحسب ما يخصك أنت . (يدور مؤديا حركة ضارب الطبول) باراباباب ، بارابابام ، بارابابام. سرقتها عندما كنت فى المدرسة الابتدائية من أحد الكبار . . باباريبابام. . زوى ، هل أبوح لك بسر ؟ (يقترب منها . ويكاد يركع) لو كنت تريدين ، لو كنت تكترثين بى حتى قليلا ، لأمكننى أن أبوح لك بكل أسرارى . اسمعى إذن ، ذاك الذى سرقت منه القبعة ، يقيم هنا قريبًا منا . رأيته أكثر من مرة مارا بالميدان . أعنى . . أننى أكاد أكون متأكدا من أنه هو . . تنتابنى الرغبة أحيانا أن أفتح النافذة وأناديه ، لكننى لا أعرف اسمه . إنى أسميه صديقى ، هكذا أسميه ، لأننى لا أعرف اسمه الحقيقى . لاشك أنه لن يعنى حتى بالالتفات إلى ، فهو أكبر منى بكثير ، ويسبقنى فى العمر بسنوات عديدة ، ربما كان فى الثامنة والعشرين الآن . وهو طويل القامة ، مائة وثمانون ، ربما مائة وخمسة وثمانون أيضاً ، سأريك إياه يوما من الأيام . سيعجبك . إنى متأكد من ذلك .

زوى : ما من رجل يعجبنى .

آرى : وستروقين له أنت أيضا . أتعرفين ، لست دميمة على الإطلاق . عنقك جميل ، لكنك لا تكشفين عنه أبدا . لو إنك ترفعين شعرك إلى أعلى ، سيكون ذلك أفضل. أتريدين أن نجرب تسريحة شعر أخرى ؟ سوف أمشط شعرك .

زوى : لا تتهور ، وتعبث بشعرى . .

آرى : لك عينان جميلتان أيضا ، وجبين جميل . إذن ، هل تريدين أن أريك إياه مرة ؟

زوى : كلا .

آرى : (بغضب) يالك من عنيده . عنيدة وشريرة ، وعديمة الإحساس وصماء . أجل صماء . أتحدث إليك فلا تجيبين . تشبهين أباك كل الشبه . أفعل كل ما فى وسعى كى أرضيكما . صنعت لك حتى الآن أربع سلال كى تضعى فيها مغزولاتك الصوفية ، وما من واحد منها أعجبك . هل تعرفين كم هو صعب أن تجدلى سلالا ؟ أنها تدمى أصابعى . ومن أبى أعانى ذات العناء أيضا . مهما فعلت لا يعيرنى اهتماما . هل تريدين أن تعرفى ماذا حدث هذا الصباح ؟ دخلت غرفته . وقفت كعادتى وراءه ، ومضيت أرقبه وهو يتأهب للخروج . لم يكلمنى ، تظاهرت بأننى لم أكن موجودا . وفى النهاية، قلت له «سوف يجرى استعراض اليوم» لم ينبس بكلمة . اخذ

صدريتـه الصوفـية الصـفراء وارتداها. قلت لـه بصوت أعلى «سـيجرى هنا فـى الميدان» (صـمت . ثم بصوت عـال) «أحـضروا التـمثـال!» ارتدى سـترته . بقـيت خطوتان ويخـرج من الـبـاب ، وعندئذ انتـابتنى دون أن أدرى السـبب نوبة من الـبكاء ، ورحت أولول ، جـرجـرت نفـسى على الأرض . صمت «سـيـجرى اسـتعـراض» صحت من جديد «سـيجرى استعـراض» !.. ومضيت ازحف وازحف نحـوه ، حتى سـمعت البـاب يغلق ، وخطواته تنزل السلم ..

زوى : يا للعـــار ، أن يبكـى رجل فى سنك . ويزحـف على الأرض .. إنك تملأنى تقززا .

آري : أعرف ذلك . أنى أثيـر تقززك .. أنا مـثير للتـقزز .. لماذا أنا دميـم ، هيه ؟ (يتناول مرآة) أنا قصـير القـامة ، وأحمق .. غليظ الشفتين .. (يمسك بهما ، ويشدهما على نحو مضحك) غليظ الأنف .. (يأتى حركـات بقسمات وجـهه) ضيق العينين ، مسطح الشعر ..

(بينما يمضى فى التلاعب بقسـمات وجهـه أمام المرآة ، تفـد نغمات مـقطوعة موسيقية عسكرية (من أغوار المسرح وتشرع زوى فى الغناء) .

زوى : من يدخل المغارة
ويتزل البيارة
ويسأل عجوزا
تجمع أعشاب البرارى .

(تشتد نغمات الموسيقى ، فيرهف آرى سمعه)

من يشد الترحال إلى ديار الغربةَ

يحضر لنا الوردة الصغيرة

(يضيع البيت الأخير تحت وطأة الموسيقات القوية ، ويكون آرى قد اندفع إلى النافذة)

آرى : (فرحا ومتحمسا) زوى ، جاءوا ! هاهم ! امتلأ الميدان ، ألم أقل لك ؟ سنرى كل شىء من هنا . المدارس قادمة ! المدارس ! يرتدى التلاميذ قمصانا صفراء . الفتيان فى المقدمة والفتيات من خلفهم . . واحد ، اثنين ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، ثمانية ، عشرة ، اثنتى عشرة ! اثنتى عشرة يكونون تشكيلات من اثنى عشر فردا . والجيش ! (يقفز ، يرقص عند النافذة ، ينظر فى كل الاتجاهات) يا لمظاهر الأبهة التي يبدو عليها ! لم أر حللا جميلة مثل هذه قط ! . . . خضراء ، برتقالية ، سوداء ، زرقاء . . ها هى فرقة الحرس تأتي الآن . لاشك أنها فرقة الحرس ، يمتطى أفرادها جميعا جيادا سوداء ، وتلمع خوذاتهم فى الشمس ، فتبهر العيون . وفى المقدمة جوادٌ أبيض . يمسك راكبه سيفا مشرعا عاليا ، سيفا ضخما بمقبض أصفر ، أوه ، يا إلهى ، هل تبصر عيناى جيدا ، أنه صديقى ! أجل ، إنه هو ! لا يرتدى شيئا على رأسه وقد طال شعره ، وتدلى على قفاه . هذا ما جعلنى لا اتعرف عليه عند الوهلة الأولى .

أما الآن ، وقد مضى يتقدم موليا لى وجهه ، فإنى أتعرف عليه . أجل ، أنه هو يا زوى .. يا اختى الصغيرة الطيبة تعالى ، انظرى إليه ، أتوسل إليك .

(يفتح النافذة) هيه ، أيها الصديق ! (يلوح بيديه) .

(يتدفق الصخب إلى داخل الغرفة ، ويملأها)

زوى : (تصيح) أغلق النافذة ! تعرف أن الضجيج يضايقنى .

(لا يسمعها آرى . يتابع دقات الطبول)

آرى : تارابابام ، تارابابام ...

زوى : (تسد اذنيها) اغلقها ! أغلقها .

(سكون مفاجيء . بينما يواصل آرى ترديد بارابابام فيتردى صوته فى الفراغ . يصمت بعد ذلك . تنزل زوى يديها من على أذنيها وتستدير دهشة)

زوى : ما عاد يسمع شيء . توقفوا عن العزف ؟

آرى : أجل .

زوى : ماذا يفعلون الآن ؟

آرى : تسمروا فجأة فى أماكنهم .

زوى : لماذا ؟

آرى : يبدو أن ثمة ما سيحدث . ربما سيزيحون الستار عن التمثال . حفل إزاحة الستار الذى حدثتك عنه . يطوى الناس مظلاتهم . يطوونها جميعا .

زوى : لم تعد الشمس طالعة ؟

آرى : بل هى طالعة . ولكن يبدو أنهم يريدون أن يدققوا النظر . انتظرى .

(يتحرك بضع خطوات إلى اليمين ملتصقا بالحائط . ويطل بسارا) شيء ما يجيء من ناحية الكنيسة ، لأن الجميع يتطلعون ويحاولون المضى إلى هناك .. آخ ، لو كان بإمكانى أن أرى . لابد أن الأمر على غاية من الأهمية ، لأنهم يتدافعون ، ويتعجل كل منم أن يرى قبل الآخر . مر واحد من تحت الحبال . وآخر ، وآخر .. هاه ! يردونهم من حيث أتوا ، هؤلاء الاذكياء يفرضون عليهم أن يقفوا مع الآخرين . الكشافة - لاشك أنهم كشافة - يدفعون بهم إلى الوراء - لم أكن قد تنبهت إلى وجودهم من قبل (بفرحة منبهرة) زوى ! إنهم فتيان الكشافة بعصيهم وسراويلهم القصيرة ...

زوى : كشافة مثل أولئك الذين يخرجون يوم الجمعة الحزينة ؟

آرى : مثلهم تماما !

زوى : هل يمسك كل منهم بيد الآخر فى شكل سلسلة ممتدة ؟

آرى : بالضبط هذا ما يفعلون ، كى يمنعوا الناس من اختراق الحبال . لا يتحرك أحد من جديد . إنهم يحملقون فحسب ، يحملقون .. (بانفعال شديد) ولكن بالله ماذا يرقبون . (وقد استبدت به الدهشة) يا إلهى ! كلاب .

زوى : كلاب ؟

آرى : أجل .. ما الذى جاءوا بالكلاب من أجله فى الاستعراض ؟ يتزايد عددها بلا نهاية . بلغت المائة على الأقل . يجرونها إلى وسط الميدان . ويرصونها

متلاصـقة ، بعضها إلى جـوار بعض . . لم أر من قبل شيئاً من هذا القبيل قط! (إلى اخته) بالله تعالى وانظرى . . دعى شغل الأبرة ولو مـرة: وتعالى شاهدى بنفسك شـيئا . . إنها تلهث ، وقـد تدلت السنتهـا خارج أشداقـها. (يقلد كلبا يلهث) أتعرفين ماذا تشبه الـكلاب وهى متلاصقة هكذا؟ كرة رقطاء ضخمـة . مازال الناس يتطلعون نحو الكنيسة . ترى ما الذى سيبين؟ . . انتظرى . . .

زوى : ما الخطب ؟ ماذا ترى ؟

آرى : لا أتبين المشهد جيداً. . إنهم يحضرون شيئاً من جديد . يشـبه عربـة كارو (غير واثق مما يقول) عربـة كارو مـسورة بقضبان خشبية تحتل جوانبها الأربعة وسقفها . بدا طرف من العربة فحسب ، ثم أوقفوها .

(يسمع وقع حوافر جياد مكتوم)

زوى : ماذا كان هذا ؟

آرى : فـرقة الحـرس . يتقـدمون بجـيادهم نحـو هناك . هذا بالطبع إذا كانوا الحـراس فعلا . . مـاعدت متـأكدا من شيء . لا أميِّز ستراتهم . .

(تعود حوافر الجياد إلى إيقاعاتها)

زوى : (بصوت تشوبه بعض الغرابة) قل ، ما الذى يجرى الآن؟

آرى : انتظرى . . من جـديد يتـدافع هؤلاء الناس ويريدون أن يتـسللوا من تحت الحبـال . . مهـلا - مهلا . . هـيه ، أنت ، يا سـيد ، يا من تلبس سـترة من جلد المـاعز ،

أين تذهب . ارجع ، ارجع . وأنت أيتها البدينة التى تريدين أن تقفى فى الصدارة . وأنت ، وأنت أيضا ، هيا . بسرعة عودا إلى مكانيكما .. هاه! إن فتيان الكشافة يعرفون عملهم . بدأت عربة الكارو تتدحرج . على عجلاتها ، وتتقدم ببطء . ظهرت كاملة - لا أرى جيدا - يعوقنى أولئك الذين على الجياد عن الرؤية . إنها ليست عربة كارو ! .. (يستدير نحو اخته وقد استبدت به الدهشة) زوى ! أنه قفص ، قفص مستطيل ضيق مثبت على عجل ، ولابد أن ما بداخله حيوانات ، لأنها تتقافز وتتشبث بالقضبان .. (تثور إعصابه) مرة أخرى هؤلاء الخيالة ! أنها ، أنها ، بشرا ! زوى ! أنهم يحملون بشرا فى القفص!

زوى : (تتسلق إلى النافذة . تطل بدورها إلى الخارج الآن) يا للجماهير الغفيرة التى احتشدت !

آرى : هناك ! هناك حيث أشير إليك ..

زوى : يتوافد الناس إلى الميدان .. الكلاب .. أرنى الكلاب .

آرى : رأيت القفص؟

زوى : أين ؟ أين ؟ لا أراه ..

آرى : هناك ، هناك ، وسط الجياد .

زوى : جياد سوداء ! هل أحصيتها ؟

آرى : (غاضبا) شاهدى ما أريك . ما الذى ترينه وسط الجياد؟

زوى : قفصا . وبداخله بشر .

آرى : هل رأيت مثل هذا قط ؟
زوى : أنهم عراة .. الكلاب .. أريد أن أرى الكلاب ..
آرى : أناس مسنون .
زوى : بشعور مسترسلة .
آرى : يتسلقون القضبان .
زوى : يحاولون القفز خارجه .
آرى : هزيلون مثل هياكل عظمية .
زوى : إنهم مجانين ، مجانين . يجلبون مجانين إلى الميدان.
آرى : حذار .. حذار .. كفى عن المشاهدة !
(تجاهد زوى للافلات منه)
زوى : دعنى . أريد أن أرى (يتمها آرى) ما الخطب ؟ ما الخطب؟ .
آرى : هذا فظيع ! .. ألم تلاحظى شيئاً ؟
زوى : كلا ! خبرنى سريعاً ، خبرنى ..
آرى : أولئك داخل القفص كلهم مشوهون، مبتورة أطرافهم ، مقطعة أعضاؤهم البعض بلا ساقين ، والبعض بلا ذراعين .. وواحد بلا رأس ، يا إلهى ! لا أخطىء ، إنه بلا رأس .. ومع ذلك فإن رقبته تتلوى ..
زوى : (بخوف طاغ) اغلق النافذة ، بسرعة ، أغلقها !
آرى : ليسوا كلهم شيوخاً ، هناك أطفال بينهم .. ها هو من يحمل طفلا ، ويرفعه عاليا .. آه ! ...
زوى : ماذا ؟ ماذا جرى ؟
آرى : وجهه مشوه ، محروق ...

(يتعالى ضجيج الجماهير)

زوى : (تصم اذنيها) أغلق النافذة .. أغلقها ! ..

(لا يحرك آرى ساكنا . يطبق السكون . ثم لا يلبث سريعا أن يعلو الصخب هادرا) .

زوى : (بلهجة بطيئة ، خائفة ، ولكن لا تخلو من فضول سقيم) ماذا كان هذا الصخب ؟

آرى : هجم الناس ومزقوا الحبال، وتدفقوا على الميدان .. لكنهم لا يتركون لشأنهم .. إنهم يدفعون إلى الوراء ، ويضربون ، يضربهم الكشافة بالحبال الممزقة ، كما ترجل الخيالة من على جيادهم ، وراحوا يهوون عليهم بهرواتهم . يمسك أحدهم بامرأة من شعرها . يلقى بها أرضا ، ويركلها فى وجهها .. (يكاد يبكى) .

زوى : (بخوف طاغ) ابتعد عن النافذة .. ابتعد بسرعة .. (برهة صمت) قل ، ماذا ترى؟

آرى : (يختنق نحيبه ، ويقول بصوت فاتر) عاد الهدوء من جديد . عاد الجميع إلى أماكنهم . خلا الميدان فى وسطه . لم يبق هناك سوى الكلاب والتمثال . وحتى اولئك الذين بداخل القفص لا يحركون ساكنا .. صد .. صديقى .. ذلك .. ذلك الذى قلت لك أنه ترك شعره مرسلا ، يقترب من التمثال . يصفق بيديه .. يلتفت الجميع من جديد نحو الكنيسة . يحضرون شخصاً . يجرونه من يديه ، لأنه غير قادر على السير بمفرده ، فهو لا يرى (يعاود الاندماج فى

الوصف ، ويمتلىء صوته بالمعاناة) وجهه مغطى بقطعة من القماش ، ولهذا فإنهم يقودونه ، يتعثر فى كل خطوة ، ويصوب الجميع أنظارهم إليه .

(يطلق صرخة)

زوى : ما الخطب ؟ ماذا رأيت ؟

آرى : إنى خائف . .

زوى : (ترتعد بصوت خافت) مم تخاف ؟

آرى : هذا الرجل . .

زوى : أفصح ، أفصح . .

آرى : يرتدى سترة زرقاء ومن تحتها صدرية صوفية صفراء . .

(تتسلق زوى)

زوى : إفتح النافذة . أريد أن أتبين الأمر . .

آرى : انتظرى . .

(يتبادلان النظرات)

زوى : (تسأله بصوت خافت) أهو أبونا ؟

آرى : وما شأنه بما يجرى فى الميدان ؟

زوى : لم يخبرنا بأنه سيحضر الاستعراض .

(برهة صمت . يعود آرى بخطوات بطيئة إلى النافذة)

آرى : الآن ، يزيحون النقاب عن وجهه !

(صمت طويل ، بينما يمضيان فى التطلع إلى الخارج معا)

زوى : ليس هو . . .

آرى : إنه غريب ! التبس علينا الأمر بسبب ثيابه .

زوى : هل تعرفه ؟

آرى : كلا . أراه لأول مرة .

زوى : ياللشحوب البادى عليه . وجهه أشد بياضا من قطعة القماش التى كانت تغطيه .

آرى : انظر ! إنه مغلول اليدين . .

زوى : والقدمين أيضا !

آرى : هذا ما يجعله يتخبط فى مشيته هكذا . . ماذا سيفعلون به؟

زوى : ها هم يزيحون النقاب عن التمثال ! يزيحون عنه النقاب!

آرى : ليس تمثالا !

زوى : كلا ، ليس تمثالا . . ما هو ؟ خبرنى ما هو ؟

آرى : إنها مشنقة . . كلا ، ليست مشنقة . أنها مقصلة . مثل تلك التى عرفتها الثورة الفرنسية . أتذكرين ذلك فى كتاب التاريخ . . (ينزل ينتزع كتابا ، ويقلب صفحاته بحثا عن الصورة ، كى يتأكد مما يقول)

زوى : آرى . هذا ، هذا الرجل ذو الشعر المرسل ، يمسك به. ويضعه هناك . هناك ، يا آرى ! سوف يعدمونه . . جعلوه يركع حتى يقطعوا رأسه . . (يهجم آرى على النافذة) ولا يقول الناس شيئا . . افتح النافذة ، صح ، أفعل شيئا . . .

(يفتح آرى النافذة ، تائها ، يتدفق الصخب إلى الغرفة)

آري : هيه ، أنتم يا من هناك ! .. أيه ! ..

زوي : لا يسمعون !

آري : ينصرفون .. يتركون الميدان ويختبئون . ألا ترين ؟ يطاردونهم على الجياد ، يطلقون عليهم النار .. هيه ، لا تنصرفوا ! سوف يقتلونه !

(يكاد يبكي ، بينما يسمع صخب ووقع سنابك الجياد)

آري : وجهه ملطخ بالدماء !

زوي : آري ، الكلاب ! إنهم يطلقون عليه الكلاب ، الكلاب كلها انقضت عليه ، تمزقه أربا أربا ...

آري : ماعدت أرى شيئا .. لا أميز الأشياء.

زوي : إنها تفترسه !

آري : ماعدت أرى شيئا . لا أميز الأشياء .

زوي : آري ، ابتعد ! ابتعد من النافذة .. ذلك الرجل ذو الشعر المرسل ينظر إلينا ..

آري : أجل . ينظر إلينا . رآنا ...

زوي : يشير للآخرين .. سيأتون إلى هنا ، سيأتون ! ينظر الآخرون إلينا بدورهم ! إنهم قادمون .. آري ، إنهم قادمون .. لا تصعدوا ، لا ... (تتراجع) . (آري ، كما لو كان يفيق إلى نفسه ، ينظر فيما حوله)

زوي : يصعدون السلم .. سيحطمون الباب .. (تتراجع) أنهم قادمون .. قادمون .. قادمون ...

آري : (يهجم على الباب . يسند إليها ظهره ، يصرخ مولولا) كلا ، كلا ، كلا !

زوي : (ماضية فى التراجع كما لو كانت دمية آلية ، مادة ذراعيها أمامها كما لو كانت بذلك تحمي نفسها) .

زوي : كلا ، كلا ، كلا !

(تعلو موسيقات عسكرية متصرة على صخب الجموع ، إلى أن تغطيها تماما . ولحظة أن تصل الموسيقى إلى أعلى قممها تنقطع فجأة . ويعم الظلام) .

ستار

انجلوس تيرزاكيس

السيد المطاع

الشخصيات

- لامبروس بيليكاس
- مارينا
- مانوس
- زمارو
- صوت براكاس

---

* في ضيعة بيليكاس
* الوقت الحاضـــــر

(غرفة نوم. رحيبة، ثمينة الأثاث. يبدو عليها ذلك الرخاء الذى تميزت به بيوت أثرياء الأقاليم فيما مضى. السرير إلى اليمين عريض ومزدوج. إلى اليسار المدفأة ثم باب وفى الأغوار نافذة عريضة وإلى جوارها باب شرفة. الضلفتان الخشبيتان مغلقتان. الوقت ليل. ومن فتحات النافذة وباب الشرفة يتسلل ضوء القمر. المسرح معتم وخال.

تمضى بضع لحظات. ثم يسمع قفل الباب الصدىء يئن بصعوبة. يفتح الباب ببطء وتردد، ومع حركة الانفتاح يسقط على خشبة المسرح ضوء مصباح أصفر. نرى الآن غرفة ظلت مغلقة منذ أمد، ربما سنوات عديدة، التراب يغطى الارجاء والساعة الموضوعة على منضدة صغيرة قد توقفت عقاربها. كل ذلك يظهر أن الغرفة قد ظلت مهجورة. ومع ذلك فكل شيء على غاية من النظام. كل قطعة من الأثاث فى مكانها والسرير مرتب الغطاء.

تدخل زمارو، الخادمة العجوز، ممسكة بالمصباح عالياً، ويدخل معها مانوس وهو شاب فى العشرين من عمره تقريباً، هزيل وتبدو عليه دلائل المرض. يسيران على أطراف أصابعهما وقد كتما أنفاسهما. يتوقفان ما أن يخطوا إلى الداخل بضع خطوات.)

مانوس : (هامساً، وقد تغشاه خوف مبهم وانتابه حزن ورهشة) إذن . . . هى هنا.

زمارو : (بذات اللهجة تقريبا) هى هنا. (برهة صمت)

مانوس : (وقد جال ببصره فيما حوله) أجل . . . أذكره . . . السرير . . الدولاب . . . الساعة . . . متوقفة. أليس كذلك ؟

زمارو : متوقفه. لم يدخل أحد هنا منذ أحد عشر عاما.

مـــــانوس : متوقفة . وعلى أى وقت ؟ . . . الشـانية عشرة الا ربعا (يزداد صوته انخفاضا ، وبعناء) أكان هذا هو الوقت ؟

زمــــــارو : أى وقت ؟

مـــــانوس : عندما . . . لفظت أنفاسها .

زمــــــارو : كـلا . كان الوقت يقـتـرب من الحـادية عشـرة . لكن الساعة مضت تعمل بعد ذلك .

مـــــانوس : هاهى . . هاهى . . المرآة ! إنى اذكرهـا واقفة أمامـها ، تمشط شعرها . أكانت فارعة القامة ، أيه ؟

زمــــــارو : هم . . . كلا ، متوسطة .

مـــــانوس : أذكرها طويلة . كنت صغيرا . لكن . . كان لها ذراعان أبيضـان ، ناصعـا البياض ، وشـعرها أسـود ، حالك السواد .

زمــــــارو : أجل ، هكذا كانت . وأنت كم تشبهها !

مـــــانوس : كلا ، كانت جميلة. أذكر ذلك . (برهة صمت قصيرة) آه ، هاهى الشرفـة ! منهـا كنت أشاهـد الحقـول . كانت بعد أن تفـرغ من إلباسى ثيابـى ، تطلب منى أن أخرج إلى الشـرفة حـتى ترتب شـعرها هى الأخـرى . كنت أجرى وأرى حبات الزيتـون ، وسنابل القمح ، والجبال البعيدة . .

زمــــــارو : هيه ، فلننصرف الآن ، بسلام .

مـــــانوس : كنت اسمعـها تغنى فى الغرفة بصوت خـفيض . كانت تغنى دائما بصوت خفيض وهى تمشط شعرها .

زمـــــارو : كيف تذكرها وقد مضى كل ذلك الوقت الطويل! (تجفف دمعة وهى تمضى منصرفة).

مـــــانوس : (يتقدم إلى الأمام خطوة، ويجيل بصره حوله فى نشوة روحية . يهمس بصوت خفيض يكاد لا يسمعه غيره) أماه ! . . . .

زمـــــارو : فلننصرف الآن . ضوءالصباح يبين من ثنايا خشب النافذة ، مهما كان خفيضا . ولورآنا السيد . . .

مـــــانوس : (الذى لم يسمع ما قيل . بعاطفة مناجية) تعالى ، نفتح باب الشرفة يازمارو!

زمـــــارو : (وقد استبد بها الخوف) باب الشرفة؟! أتمزح يا مهجة قلبى؟! السيد يجلس تحت فى الفناء مع زوجى. هل تريد أن يشنقنا، أنا وهو؟

مـــــانوس : (وقد انتابه انزعاج مفاجىء) هل أبى تحت؟

زمـــــارو : بالطبع هو تحت، يسوى الحساب مع زوجى. أن براكاس يقدم له تقريرا عما أصاب الزيتون من جفاف . كان المحصول هذا العام ضئيلاً ، ومنذ أيام يخشى زوجى هذه اللحظة .

مـــــانوس : (يرهف السمع) أجل . . . أصواتهما مسموعة .

زمـــــارو : السيد صارم . لا يتقبل أعذارا. أنت تعرفه .

مـــــانوس : خفّضى ضوء المصباح أكثر من ذلك . (يخفضه بنفسه)

زمـــــارو : لن يجدى ذلك شيئا. أقول لك من الأفضل أن ننصرف. هل تصورت ما الذى سيصيبنى ، أنا المرأة المسكينة ، لو دار بخلد أبيك أننى قد فتحت لك هذه

الغرفـة ؟ هل تعرف ماذا يعنى أحـد عشر عامـاً ؟ أحد عشر عـاماً كاملة لم يأت بك إلى الضيعـة ، بينما كنتم ذات يوم تقضون هنا الصيف كله . . . هل تعرف لماذا ؟

مـــانوس : لماذا ؟

زمـــارو : حتى لا تطلب أن تدخل هذه الغـرفة . ها أن أقول لك السبب ، طالما أنك لا تعرفه !

مـــانوس : إذن . . . كان من الأفضل أن يبيع البيت . فما الجدوى أن يكون ملكنا ولا نجيء إليه ؟

زمـــارو : ليس السيد من أولئك الذين يبيعون أملاكهم . إنه يعشق ملكية الضياع .

مـــانوس : ها هو صوته ، صوته يعلو .

زمـــارو : يالكارثتى وخراب بيتى ! (تهم بالمضى إلى الباب)

مـــانوس : انتظرى ، فقد سكت .

زمـــارو : فلننصرف ، بربك ! فلننصرف .

مـــانوس : (متوسلا) لم العجلة . . طالما أقول لك أنه قد سكت ؟! ثم من يدرى ، لو كنت سأرى هذه الغرفة مرة أخرى ، ومـتى ؟! . تعـرفين أننى جئـت وليس فى قلبى طوال الطريق سوى هذه اللهفة الخفية ؟

زمـــارو : أعرف ذلك. أنت إنسان مختلف عنه ، يا مهجة قلبى . أنت تشبه المرحومة .

مـــانوس : تعتقدين ذلك ؟

زمـــــارو : أجل . أذكرها - طيب الله ثـراها - واذكركم بكت عند ما قرر السيد أن يزوجنى إلى ناظر عزبته براكاس .

مـــــانوس : لم تكن تريديته ، أنت ؟

زمـــــارو : كلا ، يا مهجة قلبى . لا أنكر أنه رجل شريف ، لكنه نزق شديد الغـضب عنيد . كيف أعـبر لك عن ذلك ؟ وهو قاس ، قلبه مثل الصخر أيضا .

مـــــانوس : لكن ماذا كان موقف أبى من زواجك ؟

زمـــــارو : قال «فلتكف الدموع» «لقد قررت» هذا ما قاله .

مـــــانوس : إذن . . (يتنهد) فلنتصرف . (نظرة أخيرة على ما حوله) السرير ... الدولاب ... الساعة ... لن تـدور الساعة أبدا ... فلنتصرف ، آلا زال بالدولاب شىء من فساتينها ؟

زمـــــارو : لابد أن به فساتينها . فلم يفتحه أحد منذ ذلك الحين .

مـــــانوس : هذا أحسن ، أحسن . . .

زمـــــارو : فلنتصرف الآن . حان وقت العشاء .

مـــــانوس : (وقد مضى يجيل بصره فيما حوله) آخ ! لازال الوقت مبكراً . . .

زمـــــارو : كلا ، كلا . أقول لـك فلنتصرف . ربما أتى إليكم بعد العشاء ضيف أيضا .

مـــــانوس : ضيف ، هنا ، فى الريف ؟

زمـــــارو : بجوارنا . السيدة مارينا فتـحت بيتها منذ بضعة أيام . أنها على الدوام أول من يحضر إلى هنا . .

مـــــانوس : مارينا ... أجل ... أذكر هذا الاسم . صـبية حسناء مع أمها العجوز . . .

زمـــــارو : الأم مـاتت . أما مـارينا فلم تنـل السنين من جـمالهـا كثيرا.

مـــانوس : كانت تنـاديني أحيانا ، في الـصباح ، من شـرفتـها . وكانت تضحك ، دائما تضحك . لابد أنها قد تزوجت الآن ، أية ؟ . . . بعد أحد عشر عاماً ! . . .

زمـــــارو : كلا . ظلت دون زواج . هيا بنا .

مـــانوس : هيا .

لامبروس بيليكاس : (داخلا على حين غرة) لحظة واحدة !

زمـــــارو : يا أيها السيد المسيح ! (يكاد المصباح أن يقع من يدها)

بيـليـكاس : (بابتسامة رضاء) مهلك . . . انتبهى إلى المصباح !

(صمت جليدى . بيليكاس رجل في العقد الخامس من عمره ، شعره وخطه الشيب . يتقدم على المسرح ثم يقف دون أن يتلفت حوله . يستدير إلى ابنه الذى لا يرفع عينيه نحوه)

زمـــــارو : (وضعت المصباح جانبا وشبكت أصابعها) سامحنى أيها السيد !

بيـليـكاس : (إلى ابنه ، مشير إليها) أناس مخلصون ! . . . وكنت أقول أن عندى أناسا مخلصين ! (يبتسم ، ولكن سورة غضبه بادية) .

زمـــــارو : سـيـدى، أذنبت . . . ليس الذنـب ذنب الولد . . . أنا الذى فتحت له .

مـــانوس : أبى ! . . .

بيـليـكاس : اسكت ! (إلى زمارو) اخرجى . . انزلى وقـابلى براكاس وقولى له : (فتحت لابن السيد الغرفة المغلقة . الغرفة التى كان قد حرمها علينا) قولى له هذا ، وهو يعرف ماذا سيفعل .

زمـــــارو : (مرتعشة) لزوجى ؟ أقول ذلك لزوجى ؟!

بيـليـكاس : أجــل ، براكاس مخلص . وهــو أيضا رجــل ، يعرف ما يجب أن يفعل . اذهبى .

زمـــــارو : (ترسم علامة الصليب) يا أيها السيد المسيح! (تتصرف منهارة) .

بيـليـكاس : (بعد برهة صمت ، ينظر إلى ابنه مبتسما . هادىء الصوت) إذن ، كنت تريد أن تراها .

مـــــانوس : (بصوت خائر) أجل .

بيـليـكاس : (يستجوبه بصوت خال من التأثر ، وقد بدا عليه عدم الاكتراث) هل انتابتك هذه الرغبة فجـــأة ، أم كنت مـن الأصــل تريد ذلك ؟

مـــــانوس : من الأصل كنت أريد ذلك .

بيـليـكاس : هل مضى وقت طويل على دخولكما الغرفة ؟

مـــــانوس : كلا .

بيـليـكاس : و . . . كيف وجدتها ؟ أكنت تذكرها ؟

مـــــانوس : كنت أذكرها .

بيـليـكاس : (يجلس) يهـمنى أن أعـرف انطبـاعك : مـا الذى كنت تذكره ، كيف كانت تبدو لك فى أحلامك - إنك كنت تحلم بها ولاشك . . .

مـــــانوس : أجل ، كنت أحلم بها .

بيـليـكاس : فى أحلامك ، هل كـانت تبدو لك أفضل مما وجـدتها عليه ، أم أسوأ ؟ أكبر أم أصغر ؟

مـــــانوس : (جائلا النظر فيما حوله) اكبر . . ولكن ليس بهذا الجمال.

بيليكاس : (مقطبا) آه . . .

مانوس : اقصد . . . لم أكن أتصورها حية إلى هذا الحد .

بيليكاس : (ساخرا) حية . . أهكذا تصف غرفة امرأة ميتة !

مانوس : بالنسبة لى ، هى ليست ميتة .

بيليكاس : (فجأة ، يخبط بيده ، رافعا صوته) كلام سخيف ! سخيف ! إذ يصدر من ابن بيليكاس .

مانوس : صدقنى ، لم أعرف أننى سأغضبك .

بيليكاس : (الذى يخطو بضع خطوات . بهدوء ولكنه هدوء متكلف) حسنا ، حسنا ، لم تغضبنى . . أسأت الفهم فحسب . أجلس (يضع يديه على كتفيه) .

مانوس : (منزعجا) أجلس ؟

بيليكاس : أجل .

مانوس : هنا ، فى هذه الغرفة ؟

بيليكاس : ولم لا ؟ أنها غرفة مثل سائر الغرف الأخرى . وأريد أن نتكلم .

مانوس : نحن الاثنان ؟

بيليكاس : (ابتسامة مضيئة) نحن ، طبعا ! السنا أبا وابنا ؟

مانوس : نحن كذلك .

بيليكاس : وماعدت أعتبرك صبيا الآن . يجب أن تعرف ذلك . لقد تجاوزت العشرين . إذن ، فأنت رجل !

مانوس : (يجلس)

بيـليـكاس : هكذا ، حسنا . لكن الضوء هنا جد معتم . ولا تعجبنى الأضواء المعـتمـة . كمـا أن هذا المصبـاح يتصاعـد منه الدخان . (يصلحه) الأفضل أن أفـتح الضلفة الخشبـية. هناك قمر بالخارج . (ينذرع المسرح ويفتح النافذة) حسنا ، انظر هذا الضـوء ! كأننا بالنهـار . (يفتح باب الشرفة أيضا) ليلة صافـية ، وضاءة النجـوم . هذا أفضل . سـيكون الجو غدا جميلا للصيد . (من باب الشرفة ، يطل مناديا) براكاس !

صوت رجل: (من الخارج) أجل ، يا سيدى .

بيـليـكاس : لاتنس أن توقظنى قبيل الفجر .

الصـــوت : حسنا ، يا سيدى .

بيـليـكاس : ونظف البنادق . لا أريد أن تطيش منى طلقـة واحدة ! سأكون رائق المزاج غدا .

الصـــوت : إنى أنظفها ، يا سيدى .

بيـليـكاس : (تاركا باب الشرفة مفتوحا ، إلى مانوس) فليدخل هنا بعض الهواء حتى ينقى الجو . (نازلا) سوف تأتى غدا معى ، للصيد ؟

مـــــانوس : لا أعرف .

بيـليـكاس : لا تقل لا أعـرف . إمـا أجل وإمـا لا . هكذا يجـيب الرجال .

مـــــانوس : إذن ، كلا .

بيـليـكاس : (مبتسما) أفزعتك مـرة أخرى ، أراهن على ذلك . لكن هذه طبيعة صوتى. فلا يجب أن تفزع . (برقة) والآن ، هل أصارحك بشىء ؟ وددت كثيرا أن تأتى غدا إلى الصيد .

مـــانوس : ماذا أفعل ، يا أبى . ليس الذنب ذنبى .

بيـليـكاس : ماذا يعنى هذا الكلام ؟

مـــانوس : لا يعجبنى الصيد . هذا هو الأمر .

بيـليـكاس : (غير راض . بجفاء) حسنا . فلننتقل إلى موضوع آخر . (برهة من الارتباك . ثم يقول) قلت لك من قبل أننى سأتكلم إليك كرجل يتكلم إلى رجل . إذن ، باختصار : إن مستقبلك يقلقنى .

مـــانوس : مستقبلى ؟

بيـليـكاس : لم تفكر فى الأمر بعد . وإنى لأعجب من ذلك . ربما كنت تتغافل ، أو ربما كنت تعتمد على الثروة التى سأخلفها لك مستقبلا .

مـــانوس : لم تدر بخلدى أفكار من هذا القبيل قط ؟

بيـليـكاس : ومع ذلك يجب أن تفكر فى الأمر ! هذه هى المشكلة . ما دام لا يفكر المرء فى أمر ، فهذا يعنى أن هذا الأمر لا يشغله . أنت تعرف أنك ستجد ثروة بانتظارك ، ولهذا فإنك لا تفكر فى شىء . ومع ذلك ، فقد جاهدت بكل الطرق منذ أن كنت صغيرا ، كى أفسد عليك مثل هذا التفكير . أردتك رجلا مقداما مكافحا فى الحياة ، تبنى وحدك دعائمك ، مثلما كنت أنا . أردتك أن تكون ابنا لبيليكاس حقا .

مـــانوس : إنى سأعمل .

بيليكاس : ستعمل ، ستعمل ! أعرفك أنك ستعمل . لكن المسألة هي كيف . أن النملة بدورها تعمل . لكنى لا أريدك نملة. هل رأيتنى ؟ أنى أشدد قبضتى فيشعر بى الجميع . أمضى فى المقدمة فيتبعنى الآخرون . هذا هو السر فى الحياة : ألا تكون واحدا من كثيرين ، بل أن تكون الواحد المتفرد .

مانوس : هذا . . . ليس بإمكان أى واحد .

بيليكاس : (بحماس) لكن أنت لست أى واحد ! لا أريد أن تكون أى واحد . أنت ابن لاميروس بيليكاس . إفهم ذلك جيداً !

مانوس : سأبذل قصارى جهدى .

بيليكاس : (يطبق قبضتيه) إننى إزاء كلامك هذا وفتورك ، كأننى أسمع أمك .

مانوس : (يجيل النظر فيما حوله) أمى ! . . .

بيليكاس : هذا الطبع بالنسبة لأمك كان يناسبها ، فقد كانت امرأة . وربما كان هذا خصلتها الحميدة الوحيدة . ولكن أنت ، أنت ابنى! . . . (يضعه خطوات) حسنا. ربما كان الجو هنا فى هذه الغرفة هو الذى لا يناسبك . أراك تنظر فيما حولك مرتعبا ، وتخفض صوتك (ابتسامة ساخرة) غرفة امرأة ميتة ، أيه ؟ لكننى كنت أريدك حتى هنا فى هذه الغرفة رجلا ، بل وهنا على الأخص . وانى تعمدت أن أبقيك هنا . أردت أن أشفيك من مخافك .

ولو كان بإمكانى لأخذتك أيضا إلى المقابر لتمضى الليل فيها . إن تنفتح جراحك وينزف منها الدم الأسود ، ويتخفف قلبك . ويصبح طائرا خفاق الجناحين مثل قلبى !

مانوس : أبى . . . ربما حان الوقت لأن ننزل العشاء سيبرد .

بيليكاس : أهذا ما لديك أن تقوله لى ؟ حسنا . إنى إلى الرعد أتكلم . دائما كنت أخشى هذا . أنت روح نسائية . ياللعنة ! . . . (يمضى بضع خطوات . وأمام باب الشرفة يقف . يطل إلى تحت) : يا براكاس ! مع من تتحدث ؟

صوت براكاس: جاء إليك ضيوف ، يا سيدى .

بيليكاس : ضيوف ؟ من ؟

صوت براكاس: السيدة مارينا ، جارتنا .

بيليكاس : (مغتبطا) مارينا ؟ حسنا . سأنزل (يعود إلى الداخل) هيا بنا الآن . مرة أخرى ، سنعاود الحديث فى الموضوع .

مانوس : (ينهض ، بينما يمضى أبوه إلى الباب ويهم بالخروج) لحظة واحدة ، يا أبى .

بيليكاس : ماذا تريد ؟

مانوس : هل . . . يضايقك أن أطلب منك طلبا ؟

بيليكاس : أى طلب ؟

مانوس : هناك فى ذلك الدولاب، لازالت توجد على ما أعتقد بعض الأشياء المتعلقة بأمى . . .

بيليكاس : لا أعرف . وماذا تطلب إذن ؟

مانوس : هل . . . تستاء لو . . . أخذت شيئا من متعلقاتها ؟

بيليكاس : وماذا ستفعل بما تأخذ ؟
مانوس : لاشيء . . سأحتفظ به تذكاراً !
بيليكاس : (بينما يدقق النظر فيه جيداً) إيه ، ياللعقل المريض ، وكم من سخافات تصدر عنه ! تذكار ، إيه ، أهتك يا فتى ، كبر جسمك ، وصرت رجلا ، ولازلت على أفكارك الصبيانية ! . . .
مانوس : (مخفضا عينيه) لا أعرف . . لا أستطيع أن أقول لك . . ليس بمقدروك أن تفهم .
بيليكاس : (يقترب منه . وجها لوجه) أن أفهم ؟ ما الذى يجب على أن أفهمه ، ياولد ! أتعتقد أننى لا أعرف ماذا تحيك من أفكار بداخلك ؟ تقول لنفسك «أعرف كيف أحب ، أما أنت فلا تعرف . أنت لم تحب أمى قط» .
مانوس : لم أقل هذا .
بيليكاس : وهذا هو السيء فى الأمر ! لم تقله ! لو كنت قد قلته لكنت رجلا ابن رجل ، لكنت ابنى . ولكنك تفكر ، وتدع الفكرة تغلى بداخلك ، فحسب . وهذا ما أتقزز منه !
مانوس : سامحنى .
بيليكاس : كلا . إنى لا أسامحك . لا أسامحك ، لأننى كنت أود أن تجاهر بافكارك ، وعندئذ كنت سأقول لك بدورى إنك مخطىء إذ تعتقد أننى لم أحب أمك . أحببتها قدر ما أعرف كيف أحب ، دون تحبيب ودون ثرثرة ،

أحبـبتها كـرجل ! أحبيـتها كـما يجب أن يحب الرجل امرأة : أحببتها مدركا لقوتى محوطا إياها برعايتى !

مــــانوس : ربما كنت تشفق عليها فحسب .

بيـليـكاس : هراء ! كنت أشفق عليـها بطبيعة الحـال . المرأة مخلوق ضعيف . ويجب أن تكون مـخلوقا ضعيفـا . وإلاَّ فما المعنى من وجود الرجل ؟ ولا يجـدر أن تقف في حياته عقبة ، حيـة كانت أو ميتة ! (ضحكة مارينا فى الخارج تخترق الليل وتتدحرج صافية رقراقة) .

مــــانوس : لم تقف أمى عقبة فى طريقك .

بيـليـكاس : ولهذا أحببتها . هيا بنا !

مــــانوس : وثمة شىء آخر . . .

بيـليـكاس : ما هو أيضا ؟

مــــانوس : إلى هذه الغـرفة ، هنا ، لم تأت بى زمـارو . أنا الذى أكرهتها على ذلك .

بيـليـكاس : لا يعنينى هذا .

مــــانوس : كـلا ، يجب أن أقـول لك . . . إنهـا لـم تكن تريد . اضطررتها إلى المجىء ، رغمًا عنها .

بيـليـكاس : قلت لك ، لا يعنينى هذا .

مــــانوس : لا يجب أن تعاقبها ، يا أبى .

(طلقة فى البستان ، وصرخة)

مــــانوس : (وقد سرت البرودة فى عظامه) ما هذا ؟

بيليكاس : (وقد بدا عليه قليل من الاضطراب) طلقة بندقية . لابد أن براكاس يجرب البندقية المزدوجة الطلقات (يمضى إلى باب الشرفة ويطل منها) . ماذا يجرى هناك ؟

صوت براكاس : لاشىء ، لا شىء ، يا سيدى . مجرد خطأ .

بيليكاس : هل أصيب أحد ؟

صوت براكاس : كلا .

مانوس : (مرتعشا) ثمة من يبكى . . .

بيليكاس : (صوب الخارج) من الذى يبكى؟

صوت براكاس : لا أحد . أنها زمارو .

بيليكاس : ولماذا تبكى ؟

صوت براكاس: فزعت . مسها رشاش من طلقات البندقية .

مانوس : آخ ، إنه أصابها !

بيليكاس : اسكت . كفى هراء .

مانوس : (يطل خارجا) زمارو ! كلمينى ! . . . هل أصبت ؟

صوت زمارو : (منتحبة) كلا ، يا سيدى . مجرد جرح فى الساق .

صوت براكاس : خدش . مجرد خدش (يقهقه ضاحكا)

مانوس : يا إلهى ، يا إلهى . سأذهب لأراها . (يندفع خارجا من جهة اليسار) .

بيليكاس : (ينظر إليه وهو يمضى خارجا . يهز رأسه . ثم يدخل بخطى وئيدة ، يغلق الضلف الخشبية لباب الشرفة . يضىء المسرح الآن نور المصباح والقمر الوافد من النافذة . فى هذه الأثناء تدخل من اليسار بلاجلية امرأة تقف بالقرب من الباب وتمضى ناظرة إلى بيليكاس . يستدير فيراها . بشراسة :) من هناك؟ (صمت . يدقق النظر إليها . ويقترب منها خطوة) من هناك ؟

مـــــارينـا : (تلقى الوشاح من على رأسها) .

بيـليـكاس : (وقد أضاء وجهه) مارينا ! . . .

مـــــارينـا : أجل ، أنا . لم تتعرف على ، من أول نظرة .

بيـليـكاس : كانت عيناى مبهورتين بضوء القمر . ثم إن الانتقال إلى هذه الظلمة هنا فجأة . . .

مـــــارينـا : الظلمة وفوات السنين .

بيـليـكاس : السنين . . كلا ! ماذا تعنى ثمانى أو عشر سنوات !

مـــــارينـا : إنها إحدى عشرة سنة .

بيـليـكاس : فتلكن إحدى عشرة ! من كان مثلك لا يصبح عجوزا ، يا مارينا . ولا من كان مثلى . . لكن كيف صعدت إلى هنا؟ ليس هذا بالمكان المناسب . فلننزل .

مـــــارينـا : صعدت لأقول لك عن زمارو . أصابها براكاس بجراح .

بيـليـكاس : أصابها ؟ هذه دعابة ! منذ هنيهة سألتها ، فقالت . . .

مـــــارينـا : أصابها فى ساقها .

بيـليـكاس : خطأ . كـان يجرب البندقـية ذات الطلقـات المزدوجة . أتعرفين ؟ أريد أن أخرج غـدا للصيد ، لأستعـيد قليلا من الأيام الخوالى .

مـــــارينـا : أنت ، تستعد الأيام الخوالى ؟ . . .

بيـليـكاس : (ضاحكا) أجل . لماذا ؟ يبدو لك الأمر غريبا ؟

مـــــارينـا : رأيت ابنك .

بيـليـكاس : (مكتئبا) آه !

مـــــارينـا : أنه لا يشبهك .

بيليكاس : (مجفلا) وكيف تعرفين ذلك ؟

مارينا : أريد أن أقول ملامح وجهه لا تشبه ملامحك .

بيليكاس : ملامح الوجه لا تعنيني ، كثيراً ، كما تعرفين . ولكن متى سنحت لك فرصة رؤيته ؟ . . . إنه كان هنا في هذه الغرفة منذ لحظة .

مارينا : التقينا عند الباب الخارجي . بينما كنت قادمة كان هو يمضي خارجا . رأيته برهة في ضوء القمر . كان أشعث الشعر مضطربا ، نظرته معتمة ، وكان يجري .

بيليكاس : أجل ، سمع طلقة البندقية وتملكه الجزع من أجل زمارو. إنه عاطفي بعض الشيء . وهذا لا يعجبني .

مارينا : رأيته برهة قصيرة ، وخيل لي أنني أرى هيليني .

بيليكاس : على اسوأ الفروض ، ربما تشبه ملامحه ملامح أمه أيضا. ولكن ليس لهذا الأمر أهمية .

مارينا : كان لقاؤه مفاجأة لي ، حتى أنني بقيت - صدقني - لحظة فاقدة النطق ، كما لو كنت أرى هيليني عند باب غرفة المائدة . اتذكر ؟

بيليكاس : (بجفاء) هيا ، هيا !

مارينا : ارتسم على وجهه ذات التعبير . . تعبير الهلع والألم . . .

بيليكاس : أوف ، حسنا !

مارينا : الذى ارتسم على وجه هيليني عندما فتحت الباب فجأة وبغتت بوجودى بين ذراعيك .

(صمت)

بيليكاس : (الذى جال فى ارجاء الغرفة دورة أودورتين) حسنا . دعك من ذلك الآن . أنى لأدهش من تلذذك باسترجاع مثل هذه الذكريات ! . . .

مارينا : آه ، تعرف ، أننى لا أحب أبدا أن أتذكر الماضى . لست من تلك النسوة اللاتى يعشقن ذلك . . لكن فى بعض الأحيان ، رغما عن إرادة المرء . . . ثم لا تنظر إلى نفسك . أنت سافرت وغيرت أجواء وبيئات ومعارف وطرائق حياة . أما أنا فبقيت هنا وانحصرت فى إطار الحياة ذاتها التى كنت أعيشها من قبل . أحد عشر عاما وحياتى على وتيرة واحدة .

بيليكاس : (سائرا) فى النهاية ، وحدك أردت ذلك . كان باستطاعتك أن تتزوجى أفضل زواج .

مارينا : (تنظر إليه بطرف عينها وإن كان صوتها قد أحكم كى ينم عن عدم الاكتراث). أجل ، هذا يجب أن يقال .

بيليكاس : (متوقفا عن السير) إذن ، ماذا تقولين ؟ هل ننزل الآن ؟

مارينا : ننزل ؟ هل ثمة ما يدعوك إلى العجلة ؟

بيليكاس : كلا . ولكن . . هل تجدين هذا المكان جميلا لنتجاذب فيه أطراف الحديث ؟

مارينا : (تثبت نظراتها فى عينيه) هل تجده أنت قبيحا ؟

بيليكاس : يعنى . . . (مقطبا جبينه فجاة) ماذا تقصدين ؟ هل مر بخاطرك . . أننى خائف ؟ (ضحكة عالية) .

مارينا : لم أقل ذلك . . .

بيليكاس : من المضحك على أى حال أن تكونى قد فكرت فى ذلك . لا أنكر أن أحد عشر عاما شيء لا يستهان به ، ولكنها ليست بالكافية أن ينسى لاميروس بيليكاس أحداً ! إيه ، مارينا ! . . . لم يرهب بيليكاس الأحياء قط ، فهل يخاف الآن من الأشباح ؟!

مارينا : وهل تستطيع أن تصارع الأشباح ، أنت ؟ باستطاعتك أن تتصرف مع الرجل الحى التصرف الذى يناسب المقام، وأن تحمله على الركوع لك .

بيليكاس : (يقف أمامها) كما لو كنت لا أعرفك ، يا مارينا . كما لو كنت قد تغيرت عن ذلك قبل .

مارينا : تعتقد ذلك؟

بيليكاس : لست متأكدا .

مارينا : وددت أن تفكر ، من الأقوى منا نحن الاثنين ؟ أنت الذى رحلت ، أم أنا التى بقيت ؟

بيليكاس : إنى لم أرحل هاربا - أعرف ماذا تريدين أن تقولى ! - رحلت لأن ثمة حياة أكثر رحابة كانت تدعونى إليها . كانت لدى طاقات جياشة بداخلى ، رسالة على الوفاء بها ، نداء يشدنى إليه . كان على أن أحقق ما خلقت من أجله .

مارينا : أن تصبح قويا ، يشار إليك بالبنان ، مسموع الكلمة . . أن تظفر بالثراء والسلطة . . هذا هو النداء الذى شدك إليه .

بيـليـكاس : هل تذكـرين ؟ كـانت هذه مبـادئى . كنت أنت أيضـا تحبينها وتدفعيننى إلى تحقيقها .

مـــــارينـا : وبقيت أنا أجتر الماضى .

بيـليـكاس : سوف يكون غريبا أن تتهـميننى الآن . لم تكن مصائرنا معقـودة بعضها ببعض . كـان لك طريقك ، وكان لى طريقى . ولم يكن الطريقان يسيران متحاذيين .

مـــــارينـا : لقد أردتهما أنت غير متحاذيين !

بيـليـكاس : (بحمية) ذات الشىء من جديد ؟ ذات الشىء من جديد ؟ تكلمنا فى هذا الأمر العديد من المرات ، مللت من تكرار ما قلته لـك . مضت أحد عشر عـاما ، لكننى لم أنس ما قـلت . رفيـقة لروحى أحس بك يا مـارينا ، لأنك تشبهيننى . إن روحك قد انتـشت بنفسها ، مثل روحى التى انتشت بنفـسها أيضـا . رفيقة لحـياتى أحس بك ! أنت تشبهيننى أكثر مما كان يجب .

مـــــارينـا : هل كان ذلك شعورك منذ أن كنت أعزب ؟

بيـليـكاس : منذ ذلك الحين ، ولاشك .

مـــــارينـا : ولم يجعلك الزواج تغير من رأيك ؟

بيـليـكاس : كلا .

مـــــارينـا : ولهذا أيضًا فقد ظللت رفيقة روحك حتى بعد زواجك . رفيقة وفية ، ألم أكن يالامبروس ؟ لم أحمل لك ضغنا من أجل إقصائك لى .

بيليكاس : أى إقصاء لك ! طالما شرحت لك الأمر ، شرحته لك برجولة . هل تنسين ذلك الآن ؟

مارينا : كلا ، إننى لا أنسى أبدا . وها هو الدليل على ذلك !

بيليكاس : ماذا ؟

مارينا : ها أنا ذا . هل تزحزحت قيد أنملة ؟ هل خطوت خطوة أبعد من مصيرى الذى شققته لى ؟ بقيت وفية ليس لصحبتك فحسب بل ولذكراك أيضا . لم أتزوج .

بيليكاس : (يساوره الشك) أمن أجل ذلك لم تتزوجى ؟

مارينا : (ساخرة) ألم تكن تعرف ؟!

بيليكاس : كلا ، ولكننى . . . كنت أقول . . .

مارينا : أنه لم يكن باستطاعتى ذلك !

بيليكاس : لم أقل شيئا مثل هذا . بالطبع كنت تستطيعين . ولكن أقول لك الحق ، كنت أعرف طبعك . . كنت على الدوام صعبة الإرضاء ، امرأة - كيف يمكن أن نقول ذلك - صعبة المراس ! . . .

مارينا : متعبة .

بيليكاس : (ضاحكا) قليلا . . . (صمت)

مارينا : (تجلس) إذن ، فهذا ما كنت تعتقده . . . وإنى فى الحق مشوقة لأن أعرف : هل لازلت تعتقد ذلك فى ، إلى الآن ؟

بيليكاس : لا أعرف . لم أفكر فى الأمر .

مـــــارينـا : بالطبع ، سوف كان الأمر يبدو غريبا لو كنت قد فكرت. أكانت ثمة أشياء كثيـرة استحوذت على اهتمامك ، وأنت فى زحمة صعودك إلى القمة ، يا لامبروس ؟

بيـليـكاس : أجل ، أعـترف بأنه كـان ثمـة أشيـاء كـثيـرة . طوال سنوات، خـمس، أو ست ، أو ربما سبع ، عـشت فى حالة من الحمى المتصلة .

مـــــارينـا : أنت قوى واسع الثراء.

بيـليـكاس : واسع الثراء ، وعليّ أن أفى ، بصـلاحياتى . لست نكرة من النكرات بل متفـرد الشخصيـة أنا . أفرض سيطرتى فيحس الجميع بوجودى . وإن تصادف أن تخلفت افتقدوا مكانى . ألا تعتقدين أن هذا شيئ جدير بالاعتبار؟

مـــــارينـا : بالطبع هذا على الأخص حلمك . وهو ليس بالأمر القليل .

بيـليـكاس : ماذا يعنى ذلك ؟

مـــــارينـا : أن يحقق كل امرىء حلمه .

بيـليـكاس : أصبت القول .

مـــــانوس : (داخلا من اليسار) أبى . . . (يرى مارينا) أوه ! معذرة . . .

بيـليـكاس : (بكياسة) تعال ، تـعال ، ماذا تريد ؟ لا تـخجل ، ألا تذكر السيدة ؟

مـــــارينـا : (تنهض مرحبة به) أنا مارينا . عندما كنت صغيرا كنت أومئ إليك من شرفـتى كل صباح . وكنت تأتى إلى بسـتانى لتأكـل الفراولة . أنك لا تذكـر بالطبع ، ليس بإمكانك أن تذكر .

مـــانوس : كيف ! أذكر .

مـــارينـا : حقا ؟

بيـليـكاس : والآن ، فيما كنت تريدنى ؟

مـــانوس : أرجو معذرتى ، فلم أكن أعرف .. رأيت أنك تأخرت فى النزول فجئت أسألك .

بيـليـكاس : حسنا ، اذهب .. سأحضر حالا ..

(يخرج مانوس . تتابعه مارينا بنظراتها)

مـــارينـا : حقا ، إنه يشبهها .

بيـليـكاس : (باصرار) لا أعرف ، هذا ما سوف ترى .

مـــارينـا : آه ..

بيـليـكاس : (مكتئبا) لم أفقد كل أمل بعد . سأواصل جهادى . وربما فى النهاية ، كسبته .

مـــارينـا : معنى هذا أنك لست واثقا تماماً ...

بيـليـكاس : بل أنى لكذلك ، يجب أن أكون كذلك ! ألا تعتقدين ؟ أليس صحيحا أن الابن يشب على شاكلة أبيه ؟ إنه ولى عهدى الطبيعى .

مـــارينـا : مهما يكن ...

بيـليـكاس : إن به بعض نقاط الضعف ، ربما بسبب السن ، لا أنكر ذلك . (وقد ثارت ثائرته) اسمعى ! أتعرفين ماذا جاء يفعل الآن هنا ؟

مـــارينـا : ماذا ؟

بيليكاس : جاء يرى الغرفة من جديد ، غرفة أمه . كما لو كان ثمة ما يشده إليها !

مارينا : آه !

بيليكاس : لكن مهلك ، فقد عملت لكل شيء حسابا . أحد عشر عاما كاملة أقصيته بعيدا عن كل ما يذكره بها . طوال أحد عشر عاما لم آت به إلى هذا البيت .

مارينا : آه ، هذا هو السبب .

بيليكاس : أجل ، غيرنا من محل إقامتنا ، ومن الناس المحيطين بنا ، ومن عاداتنا . فى أثينا حيث عاش ، كانت الحياة أكثر رحابة وجرأة ، وليس لها زخم حياة الأقاليم المغلقة .

مارينا : ربما ، وجب ألا تأتى به إلى هنا ابدا .

بيليكاس : هذا ما كنت سأفعله ! ولكن صحته التى اعتلت . . .

مارينا : آه . . .

بيليكاس : أجل . ليس الأمر جد جسيم ، لحسن الحظ . مجرد خلل صغير فى الغدد . أوصى الأطباء بالإقامة فى الريف .

مارينا : أيه ، وهل اقتصر الريف على هنا ؟

بيليكاس : آه ، حقا ، ولكن مهلك . سوف ترين . فقد عملت على أن أجمع بين «المتعة والفائدة» وقد كان أسلوبى على الدوام ألا أترك شيئا يضيع ، فقررت فجأة أن آتى به إلى هنا كى أنتهى .

مارينا : وما الذى أردت أن تنتهى منه ؟

بيليكاس : أن أنتهى من ذكراه عن أمه . كنت أخشى وأرتاب من أننى كلما أقصيته عنها تماماً ، كلما كمن فى قلبه شىء مثل شجن ، أو أمنية غير متحققة ، أو ربما أيضا مجرد فضول يتحول مع الوقت إلى حنين .

مارينا : وبناء على ذلك ؟

بيليكاس : لم أكن مخطئا . فبداخله اختبأ ضعف من هذا القبيل. كنت قد أوصيت براكاس أن يغلق هذه الغرفة . ولكن الشيطان أراد أن يكون المفتاح فى حوزة زوجة براكاس. وهى التى فتحت له ، وإن كان الفتى والحق يقال قد لجأ بنفسه إلى إكراهها على ذلك .

مارينا : أيه ، هذا أفضل إذن ! هكذا ستعجل بالانتهاء من الأمر .

بيليكاس : (بقلق) أجل . لا أعرف .. ! أرجو ذلك .. لكن موقفه هذه الليلة لم يعجبنى، أعترف بذلك .

مارينا : خل عنك! إن ذكرى أمه بعيدة، حلم من أحلام الصبا. أما صورة الأب ، فعلى العكس من ذلك تماماً ، هى صورته الحية ، الماثلة أمامه يوميًا ، والتى ستملأه إعجابًا بها ، لأنه ولاشك معجب بك ومفتون .

بيليكاس : (متشائما) لست أدرى . . .

مارينا : (بحيوية) مستحيل ! لا تقل ذلك لأننى لا أسلم به . كيف لم تجبره على الإعجاب بك ؟

بيليكاس : أجبره ؟ وهل تعتقدين أن الإعجاب من تلك الأشياء التى يمكن أن تسقى بالقطارة ؟

مـــــارينـا : هذا ممكن بالنسبة للإعجاب . إن الحب وحده هو الشيء الذى لا يحمل عليه المرء جبرا .

بيـليـكاس : (بعنف وعصبية) آه ، هذه هى المسألة ! إننى لا أريد ابنى أن يعجب بى فحسب ، بل أريده أن يحبنى أيضا!

مـــــارينـا : (تنهض ، بوقار) إذن ، انفض يدك من الأمـر يالامبـروس بيليكاس . إنك خسرت اللعبة .

بيـليـكاس : (دهشا ، ينهض واقفا) لماذا ؟

مـــــارينـا : لأن الحب ليس تحت إمرتك .

بيـليـكاس : (يضحك ضحكا أجوف) ليس حقا ؟

مـــــارينـا : كلا .

بيـليـكاس : أنت تقولين ذلك ؟

مـــــارينـا : أنا التى أعرف ذلك جيدا ، أعرفه أكثر من أى شيء آخر .

بيـليـكاس : معنى ذلك . . إنك تتعارضين مع نفسك . .

مـــــارينـا : ليس ثمـة تعـارض مع نفـسى . هـل خـيل إليك أننى أحبك؟

بيـليـكاس : أنت لا تحبيننى الآن ، ولكن فيما مضى .

مـــــارينـا : ولا فيما مضى .

بيـليـكاس : كيف ! (فجأة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة) أعرف . . إنها ضغائنك القديمة . لقد ندمت على مافات .

مـــــارينـا : على الاطلاق . كنت فى التاسعة والعـشرين من عمرى أقرأ كتـاب نفسى جيدا ، وذلك قدر مـا أقرأه الآن وقد بلغت الأربعين . . إننى لم أحبك قط . لم أحبك قط !

بيليكاس : قط ، ومع ذلك فعلت كل ما بوسعك لتفرقى بينى وبين هيلينى ، ومن أجلى بقيت عانسا.

مارينا : أنت تقول ذلك ، أما أنا فلا أقوله . وهل تعتقد أن المرأة تجاهد لتظفر برجل ؛ لأنها تحبه فحسب ؟

بيليكاس : كلا ، بالطبع . إنها تصارع أيضا اغتناما لفرصة ، لكن أنت أرفع من ذلك .

مارينا : إنها تجاهد من أجل متعة النصر أيضا . لقد أشرت أنت إلى ذلك منذ قليل، عندما قلت: «إن روحك يا مارينا ، منتشية بنفسها» .

بيليكاس : (شاحبا) آه . .

مارينا : أرأيت أنك كنت على حق عندما قلت ذلك ؟ إننا متشابهان نحن الاثنان ، أكثر مما يجب .

بيليكاس : هيه . . . (يبتسم ساخرا) ولماذا بقيت عانسا ؟ . .

مارينا : لأنه لم تعد بى رغبة فى الزواج . ملأتنى الحياة بالتقزز.

بيليكاس : أرأيت ؟ أرأيت ؟

مارينا : لقد حطمتنى الهزيمة . لابد أنك تفهم ، أنت ، ماذا تعنى «الهزيمة» ، أنت يا من تشبهنى .

بيليكاس : (يجلس مجهدا) لأول مرة ، أسمع هذا .

مارينا : لو كنت جديرا بأن تحب ، ما كنت لتنتظر حتى تسمع ذلك ، سوف كنت تشعر به فى داخلك .

بيليكاس : (مفكرا) حسنا ، ولماذا . . . إذن حتى بعد زواجى . . .

مــــــارينـا : تقصـد لماذا بقيـت عشيـقة لك : أليس هذا مـا تريد أن تقـول ؟ إن هذا بالضـبط مـا كـان يـجب أن يجـعلك تتشكك فى الأمر . بقيـت لأننى لم أكن قد فقدت كل أمل بعد . كنت لازلت أعتقـد أننى سأظفر بك . كنت أعتقد ذلك بإصرار .

بيـليـكاس : إلى هذا الحد كنت تعتبرينه نصرا مبينا أن تستحوذى على . . .

مــــــارينـا : كنت أعتبره نـصرا مبينا لذاتيتى ، وترضيـة قيمة لأُثرتى الشخصية .

بيـليـكاس : (ينظر إليها مذعورا) آه ، يالك من امرأة مخيفة ، يا مارينا ! الآن ، أشعر بك . . تبعثين الرعب فى أعماقى.

مــــــارينـا : خسرت تلك المعركة آنذاك ، لكن يبدو أننى أعوض الآن بعض ما خـسرت . (تشهق بعمق) هذه اللحظة انتظرتهـا أحد عشر عاما !

(صمت)

بيـليـكاس : (ينهض) فليكن ، مـاحدث قـد حـدث . لست ، كمـا تعـرفين ، من أولئك الذين يقـفون أمـام أشبـاح أو.من أولئك الذين ينظرون إلى الخلف . فلنتزل . (يمضى متجها نحو الباب . فجأة بإصـرار وعصبية) ولكن حب ابنى ، لن يقوى أحـد أن يزلزل منه . لن يقوى أحـد على ذلك ، فمـا بالك بامرأة ميتة ؟ سترين أننى سأظفر به !

مــــــارينـا : إنه أملك الأخير ، لا أستطيع أن أقول شيئاً .

بيليكاس : (مرتابا) ولماذا هو «أملى الأخير» ؟

مارينا : لأنك بلغت ، ياالامبروس ، السن التى تضحى فيه القوة غير كافية . أخذ يستيقظ فى أعماقك حنين إلى الحب ، ويتغشاك الضعف الإنسانى بدورك . آن الأوان لذلك .

بيليكاس : فليكن هذا هو الوضع .

مارينا : آه ، أجل ! أن لم تكسب هذا الحب ، ضعت . جرداء ستكون شيخوختك ، ولن يكون لديك ما يدفىء ذكرياتك .

بيليكاس : أنت مخطئة . أنانيتك قد ضللتك : تعرفين جيداً أن هناك من أحبنى .

مارينا : من ؟

بيليكاس : (مشيرا إلى الفراش) صاحبة هذا الفراش .

مارينا : (مبتسمة) تعنى أنك كنت سيدها المطاع .

بيليكاس : اطاعتنى باختيارها ، لأنها أحبت ذلك . كانت امرأة بحق . إنه شىء ليس بإمكانك أن تحسيه .

مارينا : ويكفيك هذا ؟

بيليكاس : ولم لا ؟ إن ذكراها تدخل الراحة إلى قلبى . كرست نفسها من أجلى ، وظلت وفية لى . لا أدرى ، يقولون أيضا إن إخلاصها لى قد زاد عن الحد ، بل وإنها قد ضحت بنفسها من أجلى . صارت عشبا عند مواطىء قدمى .

مارينا : وقد كان هذا هو السبب أيضا الذى جعلك تختارها زوجة لك . . .

بيليكاس : أجل ، كان نكران الذات أبرز خصالها .

مارينا : وقد ظلت صامتة ، منسحقة تحت ثقل طموحك الجامح.

بيليكاس : أعتقد إلى حد نسيان ذاتها .

مارينا : ولكن كياننا النسائى المهمل ينتقم لنفسه إن عاجلا أو آجلا.

بيليكاس : ماذا تريدين أن تقولى ؟

مارينا : أن هيلينى دفعت فى النهاية ثمن اختناقها هذا تحت وطأتك .

بيليكاس : وكيف ذلك ؟

مارينا : دفعت الثمن من راحة بالها . لم يطل بها العمر على أى حال حتى تتنبه أنت إلى الأمر ، ثم إنك كنت آنذاك غائبا منذ شهور فى اثينا . ولكن لو كانت امتدت بها الأيام قليلا . لو كانت مضت تحت وطأة الخيانة . . .

بيليكاس : (منتفضا) الخيانة ؟! . .

مارينا : أجل ، لأن هذا الأمر على أقل تقدير يعتبر خيانة .

بيليكاس : (يستدير نحوها . ويقترب منها كما لو لم يكن يسمع جيدا) هل تعنين ما تقولين ، أم إنك فقدت صوابك ؟

مارينا : أفهم بطبيعة الحال أن الأمر يثير عواطفك ، ولكن بعد كل هذه السنين .

بيليكاس : (يمسك برسغيها) عن أية خيانة تتحدثين ؟ هل تقدرين ما تنطقين به ؟ . . . أرجوك انتبهى إلى ما تقولين !

مـــارينـا : (تتراجع بضع خطوات وتنظر إليه) عجبا ، وما الذى يجعلك تتأثر بقولى إلى هذا الحد ؟

بيـليـكاس : اسمعى ! لا أريد مزاحا . قلت قولا جسيما ، لا أعرف ما إذا كنت قد نطقت به عمدا أم زل لسانك . لكننى أصر على أن تقدمى لى إيضاحا . وإنى لفى الانتظار .

مـــارينـا : ها أنت قد اكتسيت من جديد بطابع السيد الذى يصدر الأوامر فيطاع ! . .

بيـليـكاس : أجل . تكلمى !

مـــارينـا : ما كنت أتصور ، أصدقك القول ، إن الأمر كان سيضايقك إلى هذا الحد . أعتقد أنك أسمى من هذه الصغائر .

بيـليـكاس : تكلمى ! تكلمى !

مـــارينـا : أيه ، ماذا تريدنى أن أقول لك ؟ هل تعتقد أن فتح القبور شيئاً جميلاً ؟

بيـليـكاس : (ثائراً) إذا كانت تخفى سرا وبيلا فأننى على استعداد أن افتحها بأظافرى ! تكلمى !

مـــارينـا : إنك تلوى يدى ، ألا تحس ذلك ؟

بيـليـكاس : لا أدرى . (يتركها فجأة) إذن ، عجلى بما عندك قبل أن ينفد صبرى . (يشبك يديه . صمت . ينظر إليها محملقا) والآن ! (فجأة ، يطلق ضحكة شرسة) هيا ، تكلمى ، أفصحى عن أكذوبتك الحمقاء ، انفثى سمك الثعبانى ! لأنك وأنت فى صوابك لا تصدقين بطبيعة الحال أن لامبروس

بيليكاس سيتردى فى شباك غيرتك ووشايتك الدنيئة التى تفح بها شهوة الانتقام فى أذنيك . لا يمكن لصوابك أن يصدق أننى سأضحى لعبة بين يديك ! تكلمى . سألهو كثيرا وأنا استمع إليك .

مـــــارينـا : (رابطة الجاش) كنت أنتظر هذا ، وكنت مترددة ، أنت ترى ذلك . ليس من السـهل أن تصـدقنى ، وقـد جـاءت الأمـور على ما جـاءت عليـه . . . ولكن هذا شيء لا يهمنى أيضا . ليس ثمة مـا أكسبه فى هذه المسألة . . . فلننصرف .

بيـليـكاس : (يقطع عليها الطريق بشراسة) كلا ! قول مثل هذا يلقى به فى وجه لامـبروس بيليكاس ، لايبـقى قائله بغـير أن يدفع الثمن . هل ستفسرين ما قلت ، أم تدفعين الثمن ؟

مـــــارينـا : دعك من الكلام الطنان ، فهو لا يعنى شيئا . وكفى ما وصلنا إليه . فلننصرف من هنا ، أقول لك .

بيـليـكاس : (يقبض على يدها) للمرة الأخيرة ، أقول لك : تكلمى !

(وجها لوجه . يحملق كل منهما فى الآخر)

مـــــارينـا : (يبطء ، وبدهشة) عجبا . . . لم أكن أتصور . . .

بيـليـكاس : (مهددا) ماعدت أستطيع الانتظار !

مـــــارينـا : (مكملة لفكرتها) أجل ، هذا هو الأمـــر . . . لا يمكن أن يكون غـير ذلك . . . جـرحت أنانيتك ، ولهـذا فقـد ثارت ثائرتك .

بيـليـكاس : هل ستتكلمين ؟

مــــارينـا : (تطلق ضحكة عصبية) حقا ، سوف يكون باعثا على الجنون أن يتـصـور المرء الأمـر الآخـر . . . سنين عـديدة ، وزوجتك على قيد الحياة ، لم تحبـها . أهملتها ، ملقيا بها فى أحد الأركان ، ناسيـا ما إذا كان لها وجود ، لم تنظر إليها قط كإنسان حي . كـانت شيئا من ممتلكاتك . والآن ، فـجأة ، تظهـر كل هذا الاهتـمام بهـا ! . . . ولكن الذى يعنيك بطبيعـة الحال هو شرف الاسم . . . إنهـا ، على أسوأ الأحـوال ، كانت زوجـة لامبـروس بيليكاس ! . . .

بيـليـكاس : اللعنة عليك ! (يلوى يدها . تطلق صرخة وينحنى جسدها رغما عنها . تنتفض واقفة بحركة ضارية) .

مــــارينـا : آه ، هذا هو الأمـر إذن ! عنـوة ! . . . حـسنا ، أنت الذى أردت ذلك . . . (كـما لو كـانت تبصق الكلام فى وجـهـه) اعلم ، إذن ، مادمت تتعطش إلى معرفته . اعلم بالأمر بعد ثمانية عشر عاما : إن زوجتك قد خدعتك .

بيـليـكاس : (ينتفض كما لو كان قد صفع) كفى !

مــــارينـا : كلا ! لن أكف الآن . سوف أتكلم . سوف أصيح بما أريد أن أقول . إنه حقى أنا ! لا يمكنـك ابدا أن تنتزعه منى . لقد دفأته فى صدرى وربيته ثمـانية عشر عاما كاملة ، كى أستطيع أن أقذف به فى وجهك عملاقا ، كى يسحقك ! أنه ابنى أنا هذا السر ، أرضعـته لبنى . ما الذى كنت تظنه ، يا بـيليكـاس ، أنه ليس لـى أنا بدورى ابن ؟ لـى وهو

أقوى من أبيه ، طالما أنه يقتله . آه ، هنا ! انظر إليه ! إنه يزنك بنظرته ، يدينك بلا رحمة ويطعنك في القلب طعنة نجلاء . هكذا الأبناء ، وهو ابنك أنت !

بيليكاس : (يمسك بكتفيها ، وبصوت مختنق) كفى ، لا تصيحى !

مارينا : كنت في العشرين من عمرى ، يا بيليكاس ، وانقضت ثمانية عشر عاما أخرى ، الآن . ثمانية عشرعاما كنت أنت تسود مطاعا ، أما أنا فكنت أنتظر . كم هو عذب أن تنتظر .

بيليكاس : (يجلسها على الكرسى عنوة . يغلق الباب ويعود . وقد كز على ناجزيه . بصوت اخرس) تكلمى الآن .

مارينا : ماذا أقول ؟

بيليكاس : (بقسوة) التفاصيل .

مارينا : لست مدينة لك بذلك . يمكننى أن أحتفظ بها لنفسى ، وأستمتع بعذابك المؤبد . وهذا يكفينى الآن .

بيليكاس : أيتها الشيطانة !

مارينا : أرأيت أن ثمة من هو أقوى منك أيضا .

بيليكاس : لن تخرجى من هنا حية !

مارينا : وأنت ماذا ستكسب من ذلك ؟ هل ستزيد معرفتك شيئا؟ ثم يجب أن تعرف أن الحياة بالنسبة لى قد انتهت. كانت بانتظار هذه اللحظة فحسب كى تصل إلى ختامها. سعدت بالخطوة الأخيرة . بلغت أعلى مراتب الفرحة التى لم يبلغها سوى قلة . ومن أجل ذلك ، فأنى اشكر الله الذى خلقنى .

بيـليـكاس : عليك اللعنة ! سأرغمك على الكلام . . .

مـــــارينـا : كيف ؟ بآلة التعذيب ؟ وددت أن تجرب هذا حتى يكون لى الحق أيضا فى أن أشفق عليك .

بيـليـكاس : هيا ، إننى أتركك ، تكلمى فحسب .

مـــــارينـا : ماذا ؟ هل تطلب التفاهم ؟

بيـليـكاس : أجل ، التـفـاهم ، مـا تريدينه ، فـحـسب عـجلى بما عندك .

مـــــارينـا : كنت دائما واثقة من أنك ستنهار يوما . يكفى أن تهب فى وجـهك قـوة أخـرى ، أشد بأسـا . هذا مـا كـان يستـهوينى ، كى ألعب معك لعبـة الحب . ويقولون إن الحب كـراهيـة عـذبة . إنك لم تمنحـنى قط لحظة حب أشهى من هذه اللحظة .

بيـليـكاس : (يجلس ويمسك رأسه بين يديه) اللعنة ، كم سيطول تعذيبك لى !

مـــــارينـا : يكفينى هذا ، لى أنا أيضا كبريائى . والآن ، قلت إنك تريد التـفاصيل ، خـذها ، وهى على أى حال لـيست بالكثيرة . . .

بيـليـكاس : (يهب واقفا) انتظرى ! كلمـة واحدة ، قـبل كل شىء ، أعطنى اسمه . من هو ؟

مـــــارينـا : (تنظر إليه وقد استغرقها التفكير) من هو ؟ . . .

بيـليـكاس : أجل ، من ؟ خبرينى بسرعة !

مـــــارينـا : وماذا يجدى ذلك ؟

بيـليـكاس : آه ! تتوهمين ذلك ؟

مــــارينـا : آخ ، ياللك من طفل صغيـر ، يابيليكاس ! كنت أعرف على الدوام إنك فى أعـماقك طفل ، طفل قـاس غيـر مروض . هل تعتقد أن الانتقام يشفى غليلا ؟

بيـليـكاس : هذا شأنى أنا .

مــــارينـا : وماذا سـتكسب من هذا ؟ ما الذى سـتطفئـه ، يا شقى الحظ ؟ أهى الفـحمـة التى كانت تحـرق قلبك ، قلبك الذى مزقه الجرح ؟

بيـليـكاس : (يصم اذنيه) ياللعنة ، فقط لو لـم أكن قد سمعت .

مــــارينـا : إذن ، لا تسألنى .

بيـليـكاس : وحق أى اله تعبدين ، خبريـنى . هل تعتقدين أن الأمر بهذه السهـولة ؟ ألا ترين أننى أهوى لحظة بعد أخرى . خبرينى ، إذن ، خبرينى !

مــــارينـا : بماذا أبدأ ؟

بيـليـكاس : باسم الرجل !

مــــارينـا : كى تأمر بـراكاس بأن يقتلـه ، إيه ؟ فات الأوان الآن . أنه قد مات .

بيـليـكاس : (مستاء) هو بدوره ؟

مــــارينـا : هو بدوره .

بيـليـكاس : (منهارا) إذن . من كان ؟

مــــارينـا : مضى على الأمر ثمـانية عشر عـاما . . حدث ذلك فى هذا المكان ذاته . . فى بيتك هذا . . جئت بعد زواجك لتقضى الصـيف بصحبة هيلينى . ولكن فجـأة جرفتك

إحدى حماقتك المعتادة . هجرتها وسافرت إلى اثينا . غبت مدة طويلة ، الصيف بأسره تقريبا . . .

بيليكاس : أجل ، دعاني إلى هناك عمل جليل . ارسيت آنذاك الدعائم الأولى لثرائي . اشتريت سفينتين وبجسارة أرسلتهما إلى البحر يمخران عبابه . كنا في الحرب العالمية.

مارينا : كنا في الحرب العالمية . بعد بضعة أيام من سفرك ، عاد ابن عمي ناسوس من الجبهة مصابا ، يعاني المرض . . .

بيليكاس : (ينظر إليها متألما .. بصوت أجوف) آه . . .

مارينا : لم تكن إصابته خطيرة ، لكن مرضه كان أشد . كان يعاني من داء الصدر .

(صمت)

بيليكاس : (بصوت مبحوح) وبعد ؟

مارينا : جاء يقيم في الريف ، هنا في بيتنا . التأم جرحه رويدا رويدا كما أخذ يشفى من مرضه . كنا نضع له مقعدا ليجلس في الشرفة وقت الظهيرة . كان يقرأ ويتطلع إلى الحقول ويحلم . كان ناسوس روحا حالمة ، وفتى وسيما . . .

بيليكاس : (ينهض على مهل . مرتعشا) إذن . . . كان هو ؟!

مارينا : بطبيعة الحال ، بدأ الأمر بالشفقة ، وبمشاعر رقيقة مبهمة . كان هو يكتب أشعارا وكانت هيليني مغرمة بالأغاني ، فكانت تطلب منه أن يقرأها لها ، وكانا يقرآنها معا . .

بيـليـكاس : (متخبط الخطى ، يصم اذنيه) اسكتى ! . . اسكتى !

مـــــارينـا : هكذا بدا الأمر . وبعد ذلك . . بعد ذلك دون أن يتبين الاثنان الأمر ، وجدا نفسيهما ينزلان المنحدر العذب .

بيـليـكاس : (يهوى فجاة بقبضته على المنضدة) يا للعنة !

مـــــارينـا : إنى امـرأة ، وأشعـر ذات الشـعور . أهمـلتهـا ، ولم تمنحـهـا لحظة حب واحـدة ! أن الأرواح الـتى تنتظر ، يجب أن تعلم ذلك ، اكثر عطشا من غيرها .

بيـليـكاس : (وقد اطبق قبضتيه) يا أيها القدر الأســود ! لم أعرف بالأمر إلا الآن ! . .

مـــــارينـا : أجل ، الآن . . لحـسن الحظ ، إنـك لم تعـرف به إلا الآن .

بيـليـكاس : «لحـسن الحظ» تقـولين «لحـسن الحظ» ! ياربى والهى ! والآن ، أين أضـرب ضربـتى ؟ هرب الاثنان . اخـتبـأ الرعـديدان تحت بلاط القـبر مـثل الديدان . لا حـدود لسـورة غـضبى وتقـززى ! . . «لحـسن الحظ» تقـولين «لحسن الحظ» تنحازين إلى صـفهما . . (فجاة ، متوحشا) ايتها الغول ! أنت التى دفـعتهما إلى ذلك . الآن . . . الآن يتـضـح لى كل شيء : فـعلـت ذلك ، من أجل عقـابى . . من أجل الانتقـام منى . أين كانت عـيناى حتى الآن ! . . لك ، إذن أنا مدين !

مـــــارينـا : كذب هذا !

بيليكاس : (يهجم عليها ، ثائرا) لا تقولى لى شيئا ! لا تتكلمى ! لا تنبسي ببنت شفة ! . . إنى أتعرف عليك فى هذه الفعلة السوداء ، الشيطانية . كنت تحفرين لى الهوة ، تنخرين فى دعائمى ، بينما كنت أصارع هناك بعيدا صاعدا حر الروح منتشيا . ايتها الساحرة الشريرة سأغرقك فى دمائك واختقك ! (يمسك بها . يتصارعون برهة) .

مارينا : أجننت ؟ . . ياالامبروس ! ثب إلى رشدك . . إنك تكتم انفاسى . . . (دقات على الباب . يتركها) .

بيليكاس : (بصوت مبحوح) من بالباب ؟

مانوس : (من الخارج) أنا . .

بيليكاس : ليس الآن !

(تنهض مارينا بعناء من على الأرض . بخطوات متخبطة يجوب بيليكاس ارجاء المسرح مثل حيوان ضرب على رأسه . بدا الآن تائها وصار صوته مكتئبا) مهما بحثت عنهما . . لن أجدهما مهما بحثت . . أفلتا منى . من بين يدى أفلتا . . اختبآ تحت التراب . . (يتنهد بحرقة) آه ! (يضع يده على عينيه) هكذا عميت عيناى . . . (يجول ببصره فى ارجاء الغرفة ثم فجأة) وربما كان ما حدث قد حدث هنا . . فى هذه الغرفة ! . . هذا رائع!

مارينا : (برباطة جاش ورنة احتقار خفيفة) اعتقدت أنك على قدر أكبر من رجاحة العقل .

بيليكاس : (يتوقف . ويستدير) ألا زلت هنا ؟

مارينا : (ثابتة الجنان) أنت بحاجة إلى الآن .

بيليكاس : بحاجة إليك ؟

مارينا : منذ الآن فصاعدا أنت بحاجة إلى عون ، يالامبروس . لأول مرة فى حياتك يتألم جسمك . لقد جرحت .

بيليكاس : (مهدما ، يمضى بخطواته المتخبطة ويلقى بنفسه على كرسى ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع) هكذا اذن . . . هكذا . . . ظننت أننى القوى المتفرد بينما الآخرون كانوا يضحكون من حولى .

مارينا : كلا . أخذ الاثنان سرهما إلى القبر . وأنا الثالثة التى أعرفه ، لم أتكلم .

بيليكاس : آه . . . (متألما من جديد) ولكن ما الجدوى ! . . الوحشة باقية . . (كما لو كان يحادث نفسه) إذن حتى هى لم تحبنى . . .

مارينا : حتى هى .

بيليكاس : لا أحد . (بعد هنيهة ، يعود إلى دائرة عذاباته المعنوية) اللعنة . . . ومن رجل مريض !

مارينا : لا أعرف ما لو كانت قادرة أن تحب زوجا عجوزا . إن غرامها المذكور قد تولد عن الشفقة ، وهذا ما جعلها تزل . أعتقد أنها ما كانت تريد أن تخونك . .

بيليكاس : (كما لو كان لا يفهم) آه . . . (يجيل النظر حوله من جديد) كيف بدأت هذه الغرفة تكتسب لنفسها روحا ، وأخذت تدب فيها الحياة ! . . (إلى مارينا دون أن ينظر إليها) قلت أنه كان رجلا حالما . . .

مارينا : أجل ، من يدرى ، ربماكان ذلك أيضاً لإحساسه بدنو الموت .

بيليكاس : وكان فتى وسيما .. ومريضا ..

مارينا : أجل ، كان كذلك .

بيليكاس : (فجأة، تزداد حيويته) و ... كم من السنوات ، تقولين أنها ، قد مضت ؟

مارينا : ثمانية عشر أو عشرون عاماً .

بيليكاس : ابنى .. هل تذكرين .. هل كان آنذاك ، وقد ولد ؟

مارينا : (قلقة) الولد ، كلا !

بيليكاس : (يتنهد بارتياح) هذا أفضل .. على الأقل لم تصب الابن خيانتها .

مارينا : كلا ، لم يكن الابن .. قد ولد بعد !

بيليكاس : مضت إذن ثمانية عشر أو عشرون عاما ... (تدب فيه حيوية مفاجئة .. ينظر إليها) ثمانية عشر أم عشرون عاما؟

مارينا : لا أعرف على وجه التحديد ...

بيليكاس : (محاولا أن يقدح زناد فكره) سأحاول أن أتذكر .. مضت عشرون عاما.

مارينا : وما الجدوى من ذلك ؟

بيليكاس : اسكتى ! أريد أن أعرف كل شيء . مضت .. أجل ، عشرون عاما ... عند عودتى من أثينا سمعتها تعلننى بالنبأ السار . (متهكما) ياله من شيء رائع شرف المرأة! إنها أوضحت لى على وجه التحديد . الوقت الذى تلقت منى بذرة ابنى .

مارينا : (صاخبة) أوه ! هيا ، دعك من هذا .

بيليكاس : (يتزايد انفعالا ، رويدا رويدا) فى تلك الآونة تماماً ، أفهمت ؟ ما من شىء جعلها تحجم ، ما من شىء جعلها تتردد . ولا حتى خفقات الوليد الجديدالذى كان يتشكل فى أحشائها .

مارينا : وما ادراك . ربما لم تكن قد أحست به بعد . . .

بيليكاس : كيف ؟ أتظنين هذا ؟ عدت إلى هنا من أثينا وقد دخل الخريف . ربما كان ذلك فى سبتمبر . ومانوس ولد فى يونيه . .

مارينا : (وقد استبد بها القلق) حسنا ! حسنا ، ليس لهذه الأمور من معنى . . .

بيليكاس : (فجاة ، يقفز كما لو كان قد أكل نباتا حريفا) أوه ! . . . (يمسك برأسه) يا إلهى !

مارينا : ماذا ؟

بيليكاس : اسكتى ! . . انتظرى ! . . (يتهدم) ياللخاطر الذى ومض فى عقلى ! . . . لكن ، كلا . . . مستحيل ! (ينقض عليها ويمسك بكتفيها) قولى لى إنه كذب !

مارينا : عما تتكلم . . يالامبروس ! . . . هل جننت ؟

بيليكاس : (يزلزل كيانها ، ثم يتخلى عنها) أجل . . . أجل . . إننى فى طريقى إلى الجنون . . أحس بعقلى يتخبط . . . كلا ، كلا ، يا الهى . .

مارينا : (مقتربة منه) ثب إلى رشدك . . اجلس . . إننى لا أفهمك.

بيليكاس : (بعنف شديد) تفهمين ! ولكنك تضحكين على . تضحكين على الآن أيضا كما كنت تضحكين قديما . كلكم ضحكتم على . أنت والـلذان ماتا ، وابنـ . . . آخ ! (يضع يده على فمه) أواه ، يا إلهى الرحمة ، اجبنى ! . . .

مارينا : كفى ، ياالامبروس ، اسكت ! سوف يسمعونك .

بيليكاس : (بألم شديد ، جائلا فى ارجاء المكان متخبطا) من أسأل ؟ أين لى أن أعرف ؟ لكننى سأعرف ، يجب أن أعرف ! وإلا فالحياة تضحى مستحيلة . . . (امامها) أواه ، أيتها الغول ! لقد حطمتنى .

مارينا : وما الذى قلت لك ؟ لم أقل شيئا .

بيليكاس : لم تقولى لى . لكن يجب أن تقولى لى . ستقولين لى . مثل هذا العذاب لا يجب أن تتركيه فى فؤادى . منذا الذى أسأل أن لم أسألك أنت ! . . من ! (يطبق قبضتيه وينظر فيما حوله) من ؟ تلك التى رحلت ، هناك ؟ الميتة ؟ آخ ! لو كنت أقدر فحسب . . (تعلق نظرته بالدولاب ، فيهجم عليه . يمسك بمقبضه الصغير ويجذبه بقوة عمياء . ويفتح الدولاب ، يتلف القفل . ضحكة خشنة) ها ! . . . ها هى ! ها هى بأكملها ! . . إنى أمسك بها (يدس يديه ويحتضن فساتينها المعلقة . ينتزعها خارجا . يحتضنها بوله ثم يلقى بها ارضا ويدوسها بقدميه) انها هنا ! . . . جسدها الدافىء . . رائحته الفواحة . . . وإنى أدوس عليه ! أدوس عليه ! . . . (يطأ الفساتين المبعثرة على الأرض بخطوات رقصة متخبطة شرسة) .

مـــــارينـا : انتظر بربك انتظر ! إصغ إلى . . .

بيـليـكاس : أجل ،أجل ، هـا أنا أصـــغى إليـك . هذا مـــا أريده بدورى! وما الذى أطلب أكثر من ذلك ؟ قولى لى .

مـــــارينـا : ماذا تريد أن أقول لك ، مادمت لا أعرف .

بيـليـكاس : (يمسك بها من جديد) قولى لى ، قولى لى !

مـــــارينـا : لا أعرف ، أقول لك !

بيـليـكاس : أليس لك قلب ؟ إليس فى عـروقك دمـاء ! أليس لك جـســد ؟ أى ثعـبان كـنت أضم العـديد من المرات إلى صدرى ؟ ماذا تطلبين أكثـر من ذلك كى تشفقى على ؟ فليقف انتقامك عن هذا الحد . تكلمى .

مـــــارينـا : أحس بمعـاناتك ، ياالامـبـروس ، وأتعـاطف مـعك . ولكنى لا أعرف شيئا عن ذلك الذى تسأل عنه ! . . .

بيـليـكاس : (يخر راكعا على قدميه) هيا ، هيا . . أرجوك ، إنى أتوسل إليك ، وأقـبل قدميك . . . مـا الذى تريدين أكـثر من ذلك ! انظرى إلى : كنت لامبروس بيليكاس ! أما الآن فلست شيئا ، مجرد مخلوق تعس ، لست الآن شيئا . إنى أستجـدى سكينتى الذليلة البائسة . كل مـخلوقات هذا الوجود تنعم بسكينـتها ، أما أنا فلن يعـرف جفناى طعم النوم بعد الآن ، لن أذوق لقمـة هنيئة ، لن أسند رأسى إلى وسادتى خلى البال . أبدا . أنظرى إلى. آخ ! إنسان خرب ، هذا أنا . موحش وحشة مريرة.

مـــــارينـا : انهض ، انهض . أقـسم بروحى المقدسـة أننى لم أكن أريد ذلك !

بيـليـكاس : (ينهض بعناء ، وقد اثقلت الشيخوخة كاهله) لم تكن تريدينه لكنه حدث . . وبفـعلك حدث . انـهار الصرح الـشامخ . وداعا أيتها الآمـال والأحلام الذهبية . كنت أرفع رأسى عاليـا ، فى كبرياء ، والسـحب وتداعب جبـينى . أما الآن فقد مُـرِّغت فى التراب . آخ ! التراب أليم ، وفى إصرار يحتفظ بسره المخيف . . .

مـــــارينـا : أشفق عليك ، ياالامبـروس بيليكاس . أقسم بالله الذى بدأت أومن به أننى أشفق عليك .

بيـليـكاس : آخ ! إنك لا تشفقين على بما فيه الكفاية .

مـــــارينـا : إشفـاقى عليك كـبير ، فـقد ضـاع منك وقت الحب ، وفات الأوان كثيرا .

بيـليـكاس : إنك لا تشفـقين على . لو كنت تشفـقين ، لتكلمت ، وقلت لى .

مـــــارينـا : لا أعرف أن أقول عن ذلك شيـئا . ما من أحد فى هذا العالم بإمكانه أن يجيبك على كل ما تسأل .

بيـليـكاس : (يجر قدميه) وهل يجب إذن أن امضى حـاملا هذا العناء طوال مـا بقى من حيـاتى ؟ . . . (يقف أمام السرير . يميل ويجلس عليـه . ويمسك فى رفق بالوسادة . ويمتلىء صوته برقـة الاستجداء) أصغى إلى أنت ، أنت يا من جُرْتُ عليك ، وظلمتك . . ماعدت اضمـر لك ضغنا . أنصتى إلى . . . ترين أننى فى مسيس الحاجـة إلى هذا الابن لأتكأ عليه سنوات عمرى

الباقيات ، سنوات الشيخوخة الموحشة . أنصتى إلى . إنى لا أريد أن أنتزعه منك . ما من أحد بقادر على ذلك . ولكن أنا ؟ هل أبقى بلا ولد ؟ أترضين أنت بذلك ؟ . . .

مـــاريـنـا : كف عن ذلك ، أستحلفك بالله ! كف .

بيـليـكاس : أوه ! شفاه القبر هذه الرخامية الباردة ، أين أجد حرارة تجعلها تلين فتتحرك ناطقة بالكلمة الوحيدة ! . . .

مـــاريـنـا : (متراجعة ، وقد استبدت بها دهشة عميقة) هذا . . هذا لم أكن قد تصورته ! . . .

بيـليـكاس : (يمضى فى ملاطفة الوسادة بحنان) خبرينى ، إذن . . . ألا تريدين ؟ . . . كلا ؟ . . . ألم تغفرى لى بعد ؟ . . . ألم تغفرى لى ؟ . . . كنت ذات قلب طيب . . عامر بالحنان . . وكان حبى لك فى محله .

مـــاريـنـا : (تراجعت إلى الباب ، وقد استبدت بها الدهشة العميقة) هذه إذن ما انتهت إليه الأمور ! . . . (تأخذ المصباح . وعلى مهل وبلاجلبة ، وقد تسمرت عيناها على السرير ، تخرج) .

بيـليـكاس : انظرى ! أصبحنا وحدنا . الآن ؟ . . . الآن ، ستخبرينني ؟ . . تعالى ، ارقدى إلى جوارى . . . فلنضّجع لنستريح ، كلانا . قطعنا طريقا طويلا ، اتكئى إلى ذراعى . . . أوه ! ما أعذب الإحساس بثقلك . لم أشعر به من قبل قط . . . والقمر ! . . . انظرى إلى القمر ! . . . كنت تحبينه . (بكاء عميق) لماذا لم تعلميني أن أحبه أنا أيضا .

ستار

اندرياس اندونياديس

آدم وفانيسا

الشخصيات

آدم
فانيسا
رجل مجهول

زمن المسرحية : اليوم

المشهد : « حجرة فى شقة صغيرة . تستخدم كصالة ومكتب . فى أحد أركان الحجرة عدة وسائد وبيك – آب . وفى ركن آخر منضدة مرتفعة تستخدم كمكتب بكل لوازمه المألوفة . الحائط الذى يربط ركنى الحجرة حاجز زجاجى . ثمة باب يؤدى إلى حجرة النوم ، وبجواره باب آخر يقود إلى المطبخ . أمام الباب المؤدى إلى حجرة النوم اثنان أو ثلاث سلال مما يستخدم فى الرحلات ، وشبكة بها زجاجات .

ترتدى فانيسا ملابس مناسبة للرحلات . وتجلس على أحد الوسائد تستمع إلى مقطوعة موسيقية هادئة ، وتشخص ببصرها إلى الخارج . تفد جلبة خطوات ويسمع صوت مفتاح يدار فى الباب . ثم يدخل آدم . يقرئ فانيسا سلاما مقتضبا ، وينشغل بنفض المطر عن معطفه . تتطلع اليه فانيسا بنظرات مفعمة بالحب دون أن تجيب» .

آدم : سلام . لماذا لا تجيبين ؟

فانيسا : أهلا . كنت منشغله بالمطر .

آدم : (يخلع معطفه) أجل . . أفسد المطر ما خططناه ! .

فانيسا : فكرنا كثيرا فى هذه الرحلة (تنهض وتأخذ معطفه وكوفيته) أليس كذلك ؟

آدم : حقا . كنت تقولين لى أن نكف عن أخذ الأمر مأخذ الجد ، وكنت أسخر من قولك هذا .

فانيسا : (تحاول الابتسام) أجل . كنت تسخف بى . ولكن ها هو الجو يمطر ، فلا نخرج إلى الرحلة .

(تخرج حاملة معطف آدم وكوفيته)

آدم : (يبحث عن سجائر . ينادى) فـانيـسا ، هلا أحـضـرت لى السجائر ، من فضلك . إنها فى معطفى .

(يقترب من البيك - آب ، ويوقف الاسطوانه . تدخل فانيسا)

فـانيـسـا : هل غيرت نوع سجائرك ؟

آدم : كـلا . لم أجـد السجـائر التى آلفـهـا فى المنطقـة ، فاشتريت غيرها .

فـانيـسـا : إذا كنت تريد من سجائرك فلدى منها . . . .

آدم : لا يهم . تعالى خذى واحدة من هذه .

(يشعل كل منها سجارة واقفين . تنظر إليه فانيسا) هل جرى شىء ؟

فـانيـسـا : ولكن هذا التغيير يقلقنى . . . .

آدم : (مرحا) ستدبر الأمور ، أليـس كذلك ؟ سأسـاعدك فى إعداد شىء للغذاء وسنستمع إلى موسيقى . وسوف . .

فـانيـسـا : ياله من جو سىء .

آدم : متى تجمعت كل هذه الغيوم ؟ هل تعتقدين أن . . . .

فـانيـسـا : أن الجو تعمد أن يفسد يومنا ؟ لماذا أوقفت البيك-آب ؟

آدم : كانت الأنغام شجنية للغاية .

فـانيـسـا : ما الذى تفـضله (تعود إلى أبيك - أب ، وبلـهجـة تداخلهـا بعض السخرية) بالتأكيد ، شىء لا يثير الشجن . .

آدم : شىء ما يجـرى من ناحيتك . يخـيل للمرء أنك على وشك البكاء .

فانيسا : دعك من الهزل .....

آدم : بالعكس . إننى ، بكل بساطة ، أحاول أن أشخص حالتك ...

فانيسا : ليست حالتي بحاجة إلى ذلك ..

آدم : لماذا ؟ إنى أعتقد العكس . لا أرى سببا كى تكونى فى هذه الحالة . كناقد أعددنا رحلة إلى الريف . بالأمس فحسب ، كنا نتحدث عن الطريق إلى هناك والقرية التى سنـزل بها ..... الشطائر والمشروبات التى سنأخذها معنا ، واليوم المريح الذى كنا سننعم بقضائه .. والآن ؟

فانيسا : أنت على حق . كنا سنقضى يوما مختلفا عن ايامنا الرتيبة . وخارجا عن .. أنت تعرف ، يا آدم ، أن كلينا بحاجة ملحة إلى الراحة . توترت أعصابنا إلى حد سيء . ألم تتنبه إلى ذلك ؟ كم من مرة تشاجرنا هذه الآونة الأخيرة ؟ بالطبع كان يدب الشجار بيننا لأسباب واهية ومع ذلك كان كل منا يناول الآخر كلاما غير لائق . أعتقد أن هذا بدوره سبب من أسباب توتر اعصابنا ، واضحينا نتصيد الفرص للتناحر . اليس الأمر كذلك ؟ الا توافقنى على ما أقول ، يا آدم؟ والآن ، ينهمر المطر . ضاعت هذه الفرصة أيضا ،

ونحن نتحدث عن الرحلة . كنت تقول إننا لن نفوتها مهما كانت الأسباب (بسخرية) نسينا وعود الآحاد . ومع ذلك . كان الجو يبشر بيوم من أيام الصيف . آدم . . لماذا لا تتكلم ؟

آدم : استمع إليك . أنت على حق فى بعض الأشياء . . .

فانيسا : بل فى كل شىء . . . .

آدم : دعك من الإصرار والتشبث بالرأى . . . .

فانيسا : لماذا ؟ فيما لا توافقنى عليه ؟

آدم : فى مسألة السأم . تحدثت عن أسباب لعدم التوافق . وعرضت واحداً من هذه الاسباب . السأم من الحياة اليومية . تململك من حياة كل يوم . هذا موضوع السأم . . . .

فانيسا : (بعد تفكير) أجل . . . .

آدم : حقا ، لا أعتقد أن الأمر يقتصر على السأم . . .

فانيسا : إذن ، ما الذى يجعل عدم التوافق يدب بيننا غير ذلك ؟

آدم : نحن .

فانيسا : ماذا تعنى ؟

آدم : شىء التوى بداخلنا ، منذ قرابة شهرين . . . .

فانيسا : منذ قرابة شهرين !

آدم : أجل . . . بالطبع مررنا بمرحلة صعبة ، تركت بصماتها . . .

فانيسا : و . . . . ؟

آدم : يخيل لى أن الجراح لم تلتئم . نستخدم من أجل ذلك شتى الحيل . نتظاهر بأشياء حتى نؤكد لأنفسنا أن ما من أمر حدث منذ شهرين . ولكن دون جدوى . .

فانيسا : دون جدوى ؟ لم تقول ذلك ؟ لماذا تبخس من جهدى الذى أبذله ، وجهدك الذى تبذله أنت بالطبع ؟ تعلم جيداً أن حياتى لم تكن على هذا الحال من قبل . . تعرف أننى حاولت أن انصاع لمنوال حياتك ، أن أتجاوب معك . كل يوم حاولت أن أصبح آدما آخر ، صورة طبق الأصل منك . .

آدم : وما الجدوى من ذلك . . . . .

فانيسا : أكان الأفضل أن أفعل مثلك وأختط لنفسى نهجا خاصا لحياتى ؟ أكان من الأفضل أن أضيع ليالى بأكملها منزوية فى أركان مبهمة ؟ هذا ، لمجرد أنك مررت بمرحلة سيئة فى حياتك ؟ أكان من الأفضل أن أنسحب من وجودك ؟ أكانت هذه هى المساعدة التى أسديها لك فى لحظاتك الصعبة ؟

آدم : فانيسا ، ليس . . . .

فـــانيـــســـا : (غير متمالكة لنفسها) تريدنى أن أختفى من حياتك ؟ أن أمحى ؟ انزويت فـى هذه الغـرفـة ، وظـلـلت أنتظرك أغلقت على نفسى بابى واختليت بذكـريات حـبنا ، محاولة أن أزعم لنفسى أننى لم أنخدع ، من المستحيل أن نكون فد عشنا كل هذه اللحظات الحـبيبة ، لحظات الصـدق تلك ، ويكون كـل ذلك قـد اندثر ، وامحى الآن وخلصت إلـى أنك كنت تحـبنـى ، وأنك سـوف تعود . سوف تعود فى اللحظة التى تفيق فيها وتريد أن تجد نفسك هنا ، فلماذا لا تجدنى ؟ . . . وبقيت دناى كلهـا كـما كـانت عليـه . . هيـه . . . أى شيء من متـعلقاتك الشـخصيـة قدر له البـقاء هنا إن عـمدا أو مـصادفـة . . صحـيفـة ، علبة سـجائر ، قطعـة من ملابسك الداخـلية ، مادبجـته من كتـاباتك وقليل من الموسيـقى . كثيراً مـامر أصدقاؤنـا للاطمئنان علينا ، فكنت أنتحل لغيابك الأعذار . كنت أقول لهم طرا له ظرف بالغ الأهمية وأبتسم بسذاجة وأنا أعتذر عن قبول دعواتهم للخروج فى نزهة أو ارتياد أحدى دور السينما

آدم : كنت فترة صعبة . . . .

فـــانيـــســـا : وقد اجتزناها .

آدم : لا جدوى من كلامك ، يا فانيسا . لماذا تقولين أننا اجتزناها ؟ لماذا نداب في هذه الآونة الأخيرة على تلمس أسباب للشجار ؟ لماذا أمضى أقاوم وأرفض منذ شهرين ؟ لماذا نبدد ليالينا ، وأنت تتشبثين بالانتظار ؟ لماذا أحاول أن أبدع بيئة جديدة للحياة ؟ لماذا يتحاشى كل منا الأخر ؟ لماذا لم أعد أشعر بما كنت أشعر به في حبنا من قبل ؟

فانيسا : آدم ....

آدم : إنى إعترف . مهما كان الأمر مأساويا ، لكنى به اعترف . فى لقاءاتنا التى أضحت نادرة ماعدت أشعر بما كنت به من قبل فى لقاءاتنا السابقة .

فانيسا : آدم . .

آدم : أزداد تقززا من نفسى ، لأننى اتخلى عنك كل مرة وأنت فى ذروة معاناتك . ومع ذلك . فإن الجراح ، والرضوض التى تخلفت عن الأحداث المعروفة التى جرت منذ شهرين تضغط على وتلح ألا أحس بالارتياح معك .... فقط ، لوكنت استطيع أن . . .

فانيسا : أنت قوى . . ستنجح ولكن لا تتحدث هكذا . . لا تنشر الغسيل القذر .

آدم : لست سمجا ، وأنت تعرفين ذلك . وفى الكلام ، لا

أتدنى . بل بكل بساطة أحدثك فحسب بصراحة ، كى تدركى أنها ليست رتابة الحياة اليومية السبب فيما أصاب أعصابنا من توتر ، أو ربما بعبارة أدق ليست هى وحدها السبب فيما أصابنا . . . .

فانيسا : ومع ذلك ، فإننى أحبك ، يا آدم . . . .

آدم : أعرف ذلك ، يا فانيسا (يتوقف شارد البال ، يبحث عن سجائره يشعل سيجارة . ويدعوها إلى التدخين) هل تريدين سيجارة ؟

فانيسا : كلا ، شكراً . .

آدم : يجب أن أثوب إلى نفسى .

فانيسا : تثوب إلى نفسك . .

آدم : فليكن . . . (صمت)

فانيسا : لماذا لا تتحدث ؟

آدم : هل يلزم أن نقول شيئا أخرى ؟

فانيسا : أجل ، يا آدم . . يلزم ذلك . . (تلتفت إلى النافذة الزجاجية) لم يتوقف المطر ، بعد . . . يمكننا أن نواصل الحديث ، إذن . .

آدم : هلا توقفنا قليلا ، للاستراحة . . .

فانيسا : استراحة ؟

أدم : أجل ، كجملة اعتراضية فى حديثنا . . .

فانيسا : هل تعتقد أنه لاغناء عن ذلك ؟

آدم : سأدير بعض الموسيقى الآن .

فـــانيـــســـا : كما تشاء . هل تشعر بالجوع ؟ تريد أن تتناول شيئا ؟

آدم : هيه . فلنر مــاذا أعددت للرحلة . (تمضى فـانيسـا إلى سلة المأكولات ، بينما يضع آدم اسطوانة ذات نغمات مرحة) هل تروق لك هذه المقطوعة ؟

فـــانيـــســـا : لا تتفق مع الجو ، إلا إذا كانت تروق لك جداً . . .

آدم : حسنا ، حسنا (يوقف الإسطوانة . ويبحث عن غيرها ، جالسا على الوسائد)

فـــانيـــســـا : (تقترب منه ، حاملة شطيرتين . تجلس إلى جواره) هل تعجبك هذه الشطائر ؟

(يتخلى آدم عن سيجارته)

آدم : فلأذق طعمها نحن ، أولا . هيه . . لذيذة . . هيه . لذيذة جداً . . .

فـــانيـــســـا : أيها العنيد ، يامن لن ينصلح حالك .

آدم : لماذا ؟ لماذا ؟ (يكون وجه فانيسـا شديد الاقتراب من وجـهه . يتنبه إلى ذلك ، .....)

فـــانيـــســـا : (تبتعد عنه) هل وجدت مقطوعة موسيقية مناسبة ؟

آدم : أجل . . أجل . . موسيقى تتحدث عن المطر .

فـــانيـــســـا : (بابتهاج) شاطر . إنها (تجد مشقـة فى تذكر اسم المقطوعة) إنها . . . لا تخبرنى باسـم المقطوعة . . (ترفـع يدها إلى جبينها) (مبتهجة) "حكايات المطر" !

آدم : شاطره . أهنئك (يضحكان)

فـــانيـــســـا : ما الذى جعلنى أنسى اسم هذه المقطوعة . إننى اذكرها كما أذكر المناسبة التى سمعتها فيها . .

آدم : أهو الاسم مانسيته فقط ؟ !

فـــانيـــســـا : لا تسخر منى . هيا اذن ، فلنسمعها . (يضع آدم الإسطوانة .. على البيك-آب . يفرغ من الشطيرة . يعلو صوت المقطوعة فيتبادلان النظر)

آدم : أتذكرين ؟

فـــانيـــســـا : هيه . . . .

آدم : سنة مضت . . عندما تعارفنا . . .

فـــانيـــســـا : تماماً . .

آدم : كـان الجـو يمطر . . وأنا كنت أحـاول بيع منتـجـات إحدى الشركات .

فـــانيـــســـا : هيه . كنت موزع منتجـات . . . وطرقت الباب كى تسأل لو كنت أحتاج إلى أدوات تجميل - مساحيق للوجه .

آدم : أجل ، كنت آنذاك أحاول أن أحـصل على توكيل تلك الشركة . . .

فـــانيـــســـا : (تجول ببصرها فى أرجاء الغرفة،كما لو كانت تعاين المسرح)فتحت لك ، كانـت ثيابك تقطر مطراً . عندمـا فرغت من كـلامك عن سلعتك دعوتك إلى قـدح من الشراب ، فقبلت . وجلسنا فى هذا المكان هناك نتبادل أطراف الحديث .

آدم : كما لو كان كل منا يعرف الآخر منذ قديم . . .

فانيسا : أجل ، أنت على حق . مضينا نتحدث بألفة عن مشكلاتنا . وكان ثمة ما يجمع بيننا ، وهو العزلة . كان قد مضى عام آنذاك على فقدى لأنجيلوس .

آدم : فانيسا ، كفى عن هذا الحديث . لن يعود عليك بالنفع أن . . . . .

فانيسا : إنه لا يضرنى ، كما أن ثمة مبرراً لذلك . . .

آدم : ما هو ؟

فانيسا : سوف ترى . حالا . مضت حياتى رتيبة . لحظات سقيمة فى جو من الغرابة ، مختنقة فى مربع مكانى. على أن الكارثة (تقترب) بعد عام قررت أن أرحل . ولكنك دخلت ، وسألتنى ما لو كنت بحاجة إلى مساحيق لوجهى . وتحدثنا فأعتقدت أن الحياة تبدأ مرحلة جديدة . آدم ، هل تفهمنى ؟

آدم : فانيسا ، ما الذى تريدين الوصول إليه ؟

فانيسا : إلى ما أنا بحاجة إليه ، لأن ماض يأخذ بخناقك . وتخاف منه .

آدم : فانيسا ، دعك من الحماقة . . . .

فانيسا : كلا ، يا آدم . أعرف ما أقول . .

آدم : هل تمزحين إذن ؟

فـــانيـــســـا : لا أمزح على الإطلاق ، بل إنـنى لم أكن جادة فيـما أقـول قدر مـا أنا الآن . أنت علـى حق ، إذ تـريـد الرحيل . كنت على الدوام تهوى التغيير . ألم تخبرنى بكافة الأعـمال التى تقلدتها فى سنوات عـمرك ؟ ألم تحدثنى عن كل النساء اللاتى عرفتهن ؟ لماذا إذن سوف يتغير طبعك ، الآن ؟ هذا مستحيل . .

آدم : ليس هذا هو السبب ، يا فانيسا . تعرفين جيدا ، أننى لم أعر ماضـيك اكتراثا قط . كمـا أن ماضى أنا ليس بأفضل من ماضيك . . أننا نرى من نحب على ما هم عليـه فحـسب . نراهم بكل عـيوبهم . واخـفاقـات حيـاتهم . أنه لسوف يكون شيـئاً مضحكاً حـقا ، أن تتطلَّب المثالية فى هؤلاء فحسب . ولكن مع ذلك . .

فـــانيـــســـا : ماذا ؟

آدم : (يتراجع عما كان سوف يقول) لا يستحـق الأمر أن نعاود الموضوع ذاته .

فـــانيـــســـا : ولم لا ؟ على الأقل ، يجب أن نعـرف السـبب الذى نفترق على أساسه .

(يشعل كل منهما سيجارة ويجلسان . يتوقف الحاكى . تطفئه فانيسا) فاتنا أن نستمع إلى الأغنية .

آدم : فلنستمع إليها ، إذن .

فـانيـسـا : لا يحتاج الأمر إلى موسيقى تصويرية . أفضل أن تبقى الدراما بلا زخارف غير مجدية . . .

آدم : لا تجعلى من نفسك مثار سخرية . معذرة ، لم أكن أريد أن أوجه إليك إهانة . . .

فـانيـسـا : لا تعر الأمر اكتراثا . . فى كثير من الأحيان كانت أعصابى تثور ووجهت إليك بدورى الشتائم . هل تذكر ذلك ؟

آدم : لا يستاهل الأمر ، الآن ، أن يكشف كل منا عن صغائر الآخر ، ونتحدث عن عيوبنا . . .

فـانيـسـا : حسنا ، حسنا . . توقفنا إذن عند " هم معنا " أليس كذلك ؟

آدم : أعترف بشخصيتى البشعة وبطباعى السيئة . أعترف بتقلبى وميلى إلى التغيير . ولكن ليس هذا ما فى الأمر . هناك ما حدث منذ شهرين . . .

فـانيـسـا : (ضاحكة فى عصبية) ألم أكن أعرف ذلك ؟

آدم : اعتقد أنه كان مجرد كابوس عابر ، حلم مزعج سرعان ما سوف يمضى إلى حاله ، وأعود لأكون آدمك القديم . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . ومضى الكابوس يستحوذ على أفكارى كلها . .

فـانيـسـا : (ضاحكة فى عصبية) تتلمس أعذارا ، أعذارا فحسب . .

آدم : اعتذارا ؟ . . (مواصلا حديثه) أقول لك كوابيس . . أتسمعين ؟ كنت أشعر بأننى مدان وأعرف أننى لست آثما . . . كل يوم كنت أقرر أن أعود إلى ما كنت عليه فى الأيام الخوالى ، ولكن ما من شيء حدث . وعندما قررت فى النهاية أن أواجهك ، اعتقدت أننى سوف أقدر . وكل ليلة كنت أطارحك فيها الغرام ، لبثت أضغط على نفسى موهما إياها أن ما من شيء يحدث ، ولكن كل هذا كان بلا جدوى . عندما كنت أتحاسب مع ضميرى على ما كان يحدث ، كان عقلى يتوقف ويصاب بالشلل ، وجسدى يسرى فيه خدر . . وأنت كنت تطلبين منى حبا ، لم يكن له وجود . .

فانيسا : ولماذا ؟

آدم : لأننى لا أحبك . . . .

فانيسا : (مزمجرة مولولة) كيف ، ولماذا ؟

آدم : (بقوة) لا يوجد تفسير . . هذا ما كنت أشعر به ، فحسب .

فانيسا : (تقترب منه وترفع يدها كى تصفعه) لماذا ؟ ألا أروق لك ؟

آدم : لك أن تفهمى الأمر على ما تشائين .

(يخطف يديها ويمسك بهما . ويواجه كل منهما بالآخر) أجل . . أجل . . .

فـانيـسـا : (تحاول الإفلات من قبضته) ماذا فعلت أنا ؟ لماذا لا أروق لك ؟ هل كنت تريدنى أن أتشبه بالعاهرات ؟ هل تريد أن أكون عاهرة ؟ ماذا تريد ؟ .

آدم : أنت تجعلين من نفسك اضحوكة . . .

فـانيـسـا : سبق أن قلت لى ذلك . أجل ، إذن ، فأنا أضحوكة . وسوف أضحى عاهرة . . تريد ذلك ، أليس كذلك ؟

آدم : (بصوت اقوى) أنت مجنونة .

أنت مجنونة . . (تنظر اليه فـانيسا بلوثه . ثم تهوى واقعة إلى الأرض . يحاول آدم أن يجعلها تتمالك نفسها . ثم فى النهاية يجرى إلى المطبخ ، ويعود حاملا كوبا من الماء . تجرعه فتفيق إلى ما حولها) .

فـانيـسـا : آدم . . أشكرك . . . .

آدم : هل أنت على ما يرام ؟

فـانيـسـا : ليس بى شىء . أنا بخيـر . . وأنت بخيـر . . وكلنا بخير . . هل أنهض ؟

آدم : أتستطيعين ؟

فـانيـسـا : بعونك ، استطيع بالطبع . (يعاونها آدم على النهوض . ثم يمضى الهوينا إلى النافذة وينظر وراء الزجاج) توقف . توقف المطر . . هل سترحل ، يا آدم ؟

آدم : كلا . . (تلتفت إليه فانيسا وتنظر إليه نظرات تكاد تكون سعيدة) . كلا ، لن أرحل قبل أن تستردّى عافيتك . .

فانيسا : ولكننى .. بخير .. إسمعنى .. بعد ما حدث أشعر أننى كنت مضحكة ..

آدم : اسكتى !

فانيسا : لهذا يجب أن نفعل شيئا ، كى ينمحى من ذاكرتينا هذا المشهد السمج . هل تريد ذلك ؟

آدم : فانيسا ، أنت مريضة ...

فانيسا : لا تشرع من جديد فى توجيه الاهانات إلى ، يا آدم . إنى على خير ما يرام ... وأريد أن ننفصل على نحو متحضر قدر الامكان .. بلا مآس ونوبات هستيرية .. وأنت بدورك تفضل ذلك .. أعرف ، ولهذا ، انتظر ... (تضع يدها وراء كتفها وتحاول أن تفك ازرار ردائها الخلفية .)

آدم : فانيسا ، ماذا تفعلين ؟

فانيسا : لا تنزعج (تضحك) لأ أنوى أن أحتفظ بها مؤدية أمامك رقصة الاستريبتير (تمكنت من فض أزرار ردائها) وإنما أنوى أن أغير ملابسى ، كى نفترق على أكرم نحو يستطيع زوجان أن يفترقا عليه . أقصد على نحو أرستقراطى . هل يروق لك ذلك ؟

آدم : فانيسا أرجوك .. (بغضب) لا تخلعى ملابسك أمامى ...

فـانيـسـا : (ضاحكة) حسنا ، حسنا ، يا آدم . .

(تستدير وتمضى متجهة إلى غرفة النوم . تتمهل عند بابها ، وتتحدث إليه بلهجة جادة لا تخلو من اضطراب) فقـط ، أعد شيئا نشـربه ودعك من سحنتك الجهـمة هذه . . أرجوك . . لا أستطيع أن أراك تنظر إلى هكذا . . ولا أريد أن أبكى أمامك . . يا آدم . .

(تدخل الغرفة . يشعل آدم سيجارة ويجمع الاشياء من الأرض . ثم يجلس على الوسائد . ويضع اسطوانة " حكاية المطر " على البيك آب ، ويجهز الكاسان) .

فـانيـسـا : (من غرفة النوم) آدم . . لماذا أدرت " حكايات المطر " ؟ المطر توقف ، بالخارج . (تضحك) وحكايتنا نحن انتهت .

آدم : لا تضحكى ، يا فانيسا . . .

فـانيـسـا : (تدخل مرتدية ثوبا من ثياب السهرة . وتحمل معطف آدم وكوفيته) آدم ! (بلهجة من تثار لنفسها) هل أعجبك ؟

آدم : لماذا تعاودين المهزلة ، يا فانيسا ؟ لماذا ؟

فـانيـسـا : ولكن . . يا آدم ، أننا نفترق ، بلا مآس . هذا كل ما فى الأمر (تغير من لهجتها) إنك لم تحبنى ؟ هل أعجبك ؟ أروق لك ؟

آدم : أجل . وعلى الدوام كنت تروقين لى ، وأعجب بك . ولكن ما هذا الذى تتأبطينه ؟

فانيسا : ما تراه بالضبط (بنبرة سخرية) حذارى إذا ما رحلت . لا أريدك أن تقفل راجعا بعد خمس دقائق ، لانني إذا ما عدت لن أتركك ترحل من جديد . استوفيت فرصة كافية كي تتخذ قرارك هذه الآونة الأخيرة !

آدم : فانيسا ، ما الذى تحاولين قوله ؟

فانيسا : (بلهجة تنشف) أننا نفترق .. وسنظل صديقين ..

آدم : ما الذى يلجئك إلى هذا الهزل ؟

فانيسا : إننى أهزل . ولكن ما الذى يجعلك لازلت تستبقى هذه الموسيقى ؟ (تمضى إلى البيك-آب وتوقفه) إذن ؟ سوف .. سوف ترحل ؟

آدم : (مستاء من استفزازها) أجل .. احتملتك بما فيه الكفاية .. ألا تعتقدين ذلك ؟

فانيسا : (بسخرية) وماذا أفعل ؟ الدور المسند إلى يحتم على ذلك (تناوله معطفه وكوفيته . فيرتديهما بسرعة . وباضطراب يتوجه إلى الباب ، يفتحه .. ولكنه يتلكأ فى الخرق) .

آدم : (بنزعة إلى العاطفية) سلاما ، يا فانيسا .

(يخطو خطوة أو خطوتين إلى الأمام) .

فانيسا : سلاما . لا داعي أن تقبلنى !

(يدقق آدم النظر إليها) آدم ! . . لماذا ينادونك ، يا آدم ؟

آدم : لا أحد يناديني . . أنت وحدك تهتفين بهذا الإسم .
أن إسمي . . . . . .

فـانيـسـا : (تقاطعه بإيماءه من يدها) لم يعد لذلك بعد الآن معنى . . .
سلاما . . . يا آدم . .

(يخرج آدم من الحجرة . تقترب فانيسا من الباب الزجاجي . وتراقب ساكنة ما يحدث بالخارج . ثم تعود بعد قليل إلى الحاكي وتديره وتنكب على الاستماع إلى " حكايات المطر " . يفد وقع خطوات تصعد درجات السلم ، فتجري بلهفة ورجاء إلى الباب . وتفتح) .

فـانيـسـا : آدم ، يا حبيبي . . (عند عتبة الباب يقف رجل مجهول يرتدي معطفا ويحمل في يده حقيبة . وإذ تراه فانيسا تدير له ظهرها وتغطي وجهها بيديها . ويند من شفتيها صوت مغمغم باليأس والأسى) .

الرجل المجهول : (مرتبكا من وقع المفاجأة) معذرة ، هل أخفتك ؟
(يراها تفقد توازنها فيلقي بحقيبته ويهرع إليها ويمسك بها كي يتفادى سقوطها) ماذا حدث ؟

فـانيـسـا : (بهستيرية) اتركني . .
(تفلت منه وتجري إلى الحائط الزجاجي . تسند إليه ظهرها وتحملق في الرجل بنظرات ملؤها الرعب . ولكن ما يلبث التعبير أن يتغير على قسماتها . وتسأله بصوت أنثوي)
ماذا تريد ؟

الرجل المجهول : (مرتبكا ازاء سلوكها الغريب تجاهه) تعرفين . . أنا مستخدم بشركة لأدوات التجميل (تضحك فانيسا) وكنت على وشك أن أطرق بابك لأسألك ما هى أدوات التجميل التى تستعملينها . وذلك من أجل دراسة تجريها الشركة . . شيء من قبيل الإحصاءات ، كما تعرفين . (يتوقف عن الكلام ، وهو يراها تضحك وتضحك بشدة وعصبية . غاضبا .) ما الذى ترينه مضحكا ؟ لماذا كنت تولولين فى البداية ، والآن صرت تضحكين ببلاهة ؟ على أى حال ، ما الذى جرى لك ؟ بالله ، خبرينى ما الذى جرى لك ؟

فانيسا : (بهدوء) تريد أن تعرف ماذا جرى لى ؟

الرجل المجهول : (باهتمام) أجل ، أجل . .

فانيسا : إذن . . تفضل بالجلوس (يهم الرجل المجهول بخلع معطفه فتقبل فانيسا راضية لتعاونه ، وهى تبتسم له) ما الشراب الذى تفضله ؟

الرجل المجهول : (وقد زايلته الرهبة) كونياك ! . . .

فانيسا : (مقتربة من الحاكى) سأجلب لك الشراب ، ولكن دعنى أولاً أغير الموسيقى .

الرجل المجهول : وما السبب ؟ أنها موسيقى طيبة .

فانيسا : هل تروق لك ؟

الرجل المجهول : أجل . كما تروق لك أنت أيضا ، يا آنستى . . .

فانيسا : إسمى فانيسا . وأنت بلا شك اسمك آدم . . (يقترب كل منهما من الآخر ببطء . وقبل أن يتعانقا .. تخفت الإضاءة)

ستار

يورغوس سكورتيس

هموم الآخرين

الشخصيات

ماجدة
اليكوس

(المكان مكدس بالأشياء ويبدو عليه الإهمال . تقوم ماجدة - وهى فى الأربعين من عمرها ، عصبية ، غير معتنية بمظهرها - بكى الملابس . من الغرفة الداخلية يسمع بكاء طفل . تترك المكواة بسرعة وتجرى إلى الداخل . يتوقف البكاء . تعود ماجدة حاملة الطفل فى حضنها ، وتهدهده . تضم الطفل إلى صدرها بذراع ، وتحاول أن تمضى فى كى الملابس بيدها الأخرى . وفجأة تتذكر شيئا . فتترك المكواة ، وتعكف على البحث من حولها ، ترفع الأشياء وتنظر تحتها . تعثر على منبه . تحاول ملأه بقلق ، وتجرى إلى المطبخ - الذى يبدو للعيان - وهى تحمل الطفل والمنبه . تحاول أن تفتح باب المطبخ ، فتضع الطفل فى الحوض ثم تعود إلى حمله ، تبحث عن مكان تضع فيه المنبه . وفى النهاية تلقى به فوق كومة من الثياب . تشعل الموقد ، وتتناول قدرا تضعه على النار ، ثم تجرى إلى المكواة ، وتضعها فى وضع عمودى حتى لا تحرق الثوب المكوى . تعود إلى المطبخ ، وتقلب ما فى القدر من طعام . ترش عليه بعض الملح . كل ذلك والطفل فى حضنها ، وقد بدا عليها القلق .

يرن التليفون . تحاول بجنون أن تعثر عليه لكنها لا تجده . يرن التليفون أربع مرات ثم يكف . تكتئب ويزداد قلقها . وفجأة يتغير مسلكها . تقبل الطفل ، وتهدهده ، وتلاعبه ، وتبتسم له ، وتحمله إلى الغرفة الداخلية) .

يرن التليفون من جديد .. تأتى ماجدة من الداخل ، وهى تجرى بدون الطفل . ولكن ما أن تهم بالبحث عن التليفون حتى يتعالى بكاء الطفل ، فتتوقف ، ولا تعرف إلى أين تذهب أولا . وفى النهاية تعود إلى غرفة الطفل . فيكف البكاء . ثم تعود ماجدة مسرعة للرد على التليفون . ولكنه الآن وبعد أن رن خمس رنات يتوقف ... يتابعها الإحباط ، وتدور حول نفسها فى حركات هوجاء . توشك على البكاء ، وهى تخاطب الطفل . وفجأة تجرى إلى المطبخ ، ترفع غطاء القدر . تلسع يدها ، فتلقى بالغطاء إلى الأرض ، وتضع أصبعها فى فمها ... تترك القدر بغير غطاء وتجرى إلى مقدمة المسرح تبحث عن شيء ، وهى تحمل الطفل فى حضنها ، واضعة إصبعها فى فمها . تركل أشياء مختلفة تلتقى بها فى طريقها . تعثر مصادفة على أحد المجلات ، فتقلب صفحاتها بقدمها العارية ، وتشاهد الصور فى هدوء . تجد أمامها المذياع فتفتحه بغير مبالاة ، وتواصل البحث ... يقدم المذياع برنامج لربات البيوت ، ولكن ما يقال فيه يخالف تماما كل ما تفعله ماجدة . تأخذ الطفل إلى الغرفة الداخلية .

يفتح باب الشقة فى هدوء بمفتاح ، ويدخل اليكوس زوجها وهو فى الخمسين يبدو عليه أنه موظف متحفظ خجول ... يغلق الباب برفق ، ويتأمل الفوضى الضاربة أطنابها فى البيت . يبدو عليه القلق بدوره . ولكن قلقه تختلف مظاهره عن قلق ماجدة . فإذا كانت هذه عصبية الحركات ، فإنه على العكس ساكن الإيماءات ... ويبدو عليه أن ثمة شيئا داخلياً يعذبه ، مشكلة ما تعكس على قسمات وجهه حزنا عميقاً ... يقف عند الباب فى حالة من اليأس ...

تأتى ماجدة ، بدون الطفل ، ولا زالت تدس إصبعها فى فمها ، وتواصل البحث . ويمنعها استغراقها من أن ترى زوجها فوراً . وفجأة ، تتذكر المكواة . تجرى وتنزعها من (البريزة) ثم تهرول إلى المطبخ وإلى القدر ... وفى طريقها إلى هناك تلمح اليكوس . ولكنها لا تتوقف تتكلم إليه وهى مارة به .

ماجدة : آخ ! . .

اليكوس : سلاما ، يا ماجدة . . .

ماجدة : (من الآن فصاعدا ستتكلم إلى اليكوس دون توقف ودون أن تعيره التفاتا . وسيكون حديثها ناضحا بالمعاناة ، مثلما يبدو على حركاتها . وستتحرك بلا انقطاع ، وتؤدى عدة أعمال ، دون أن تنجز أيا منها ، تترك عملا لتجرى إلى غيره ، وذلك كما كان حالها قبل أن يأتى اليكوس)

سلاما . الطفل ليس فى حالة طيبة اليوم . إنه دائب البكاء . يبدو لى أنه عصبى المزاج . لا استطيع أن افهم كيف يكون الأطفال عصبيّى المزاج . هذه المخلوقات الصغيرة كيف يكونون عصبيين .

(لا زال المذياع يبث إرساله . يقف اليكوس متوترا متصلب القوام كما لو لم يكن فى بيته . ويغلق المذياع بحركة صريحة . ولكن ماجدة لا تنتبه حتى إلى ذلك ...)

الأولاد يشبهونك ، على ما يبدو . الولد الكبير انفلت عياره . ما عاد بإمكانه أن تتحدث إليه . يثور . تقول له " يا بنى لا تصح . الزم هدوءك . لا تجدى الأعصاب الثائرة الإنسان فى شىء " لكنه يزداد صخبا ، ويكسر الأكواب .

(يحاول اليكوس أن يخلى مقعدا تكدست عليها أشياء ، كى يجلس ... تواصل ماجدة انشغالاتها فى كى الملابس ، والمطبخ ، وغير ذلك) .

السيكوس : هل كسر كوبا آخر ؟

ماجدة : لا أعرف كيف يحدث هذا ... أجل ... هل أنت متعب ؟ ... جائع ؟ ... لحظة واحدة ... بعد لحظة أفرغ .

السيكوس : اجلسى إلى جوارى ، قليلاً .

ماجدة : إنى قادمة ... لحظة واحدة ... (تضع كويس المكواة) هل وضعت ملحا فى الطعام ؟

السيكوس : ماذا ؟

ماجدة : ملحا . أقول ملحا . أجل وضعت . ولكن حتى لو لم أكن قد وضعت ، ضع أنت ، إذا أردت ، أليس كذلك ؟ قال الولد الكبير أنه لن يأتى لتناول الغداء . أنه على موعد . هو مدعو للغداء . فى الآونة الأخيرة، يدعونه للغداء كثيرا . تلدهم ، تربيهم ، تشقى من أجل أن يكبروا، وفجأة يقولون لك "أنا مدعو للغداء" وهوب ، تفقدهم ألم نفقد ماريا بهذه الطريقة ؟ بينما كانت تؤنسنى ، وتضحك لى ، وتلعب معى ، صاحت بى فجأة " إنى راحلة " أين وجدت نيقوس ؟ متى كلمته ؟ متى رتبا أمورهما معا ؟ متى تزوجا ؟ راحت هى الأخرى ... (تشرع فى كى بعض ملابسه الداخلية) ملابسك الداخلية تتسخ كثيرا .. لا يضيرنى أنا ذلك ،

ولكن من أجل صالحك ، يجب أن تذهب إلى طبيب ، كي يعطيك علاجا للبواسير .

السيكوس : ليس الأمر بذى أهمية . إلقى عنك كل هذا .. وتعالى اجلسى معى قليلا !

ماجدة : أنت تقول لى ذلك ... تقدمت بنا السن ، ويجب أن نكون أكثر حذرا . أقول لك يجب أن ترتدى سراويل داخلية من الصوف ، لكنك تتصرف كصبى ، وتلبس سراويل داخلية قصيرة ، تختارها زرقاء اللون . (تضحك) سراويل داخلية قصيرة ، سراويل داخلية قصيرة ، ولكن عليك أن تهتم بالبواسير ...

السيكوس : (يبدو عليه على الدوام أن لديه ما يريد أن يقوله لها) ماجدة ...

ماجدة : الطفل دائب البكاء .. وددت أن أعرف ما الذى يريده ببكائه .

السيكوس : ماجدة ... أريد أن أقول لك شيئا .

ماجدة : الأكل ... (تجرى إلى الطبخ ، تقلب الطعام ، تلسع يداها الاثنتان ، تحاول أن تختبر مذاق الطعام ، تلسع شفتاها . توجه إلى زوجها بعض الإيماءات كى يرفع المكواة عن السروال . لا يفهم اليكوس ما تقصده . يلتهب فمها . تجرى ممسكة بالملعقة الكبيرة فى يدها ، ترفع المكواة ، تتساقط بعض قطرات من الصلصة على الملابس البيضاء . ينتابها اليأس . تقذف الملعقة إلى المطبخ . تتناول أحد الملابس البيضاء تبصق عليه ، تدعكه ... تثبط همتها ... تلقى به) .

السيكوس : (برقة وحياء) لا يهم ذلك .. قلت لك أن تستأجرى خادمة لمساعدتك ..

ماجدة : لماذا تقول لى ذلك ؟ (تنخرط فى لهجة احتجاج) ألا أجيد عمل البيت ؟ ألا يعجبك الطعام ؟ ألأننى وسخت هذا السروال ؟..

السيكوس : كلا ! كلا ! ليس هذا هو السبب ، بل أقصد كى لا ترهقى نفسك ... كل هذه السنين تفنين نفسك هنا ... آن الأوان أن تكفى .. اجلسى إلى قليلا .

ماجدة : (تسترد اعصابها . تذهب إلى القدر) إننى لا أتعب ... يعجبنى عمل البيت . تتصور أننى استعين بخادمة ، هيه ؟ تطبخ لى ، وتغسل لى ! وأنا ماذا سأفعل ، إذن؟ سأجلس انظر إليها ؟ سوف اجن قال لى الولد الكبير أول أمس " كفى ، فى النهاية . طوال النهار تصولين وتجولين . اجلسى ولو مرة واحدة ! " ولكن أين أجلس ! .. وإذا جلست منذا الذى سيغسل لكم ، ومنذا الذى سيطهو لكم الطعام ... وبعد كل ذلك ، يبدى استياءه ، ويقول " لى أم ، ولا أرى أمى . أمى موجودة وغير موجودة " أتسمع ما يقول ؟ ماذا يريد ؟ لقد أرضعته وربيته . وضربته وغمرته بقبلاتى . ماذا يريد أكثر من ذلك ؟ صار فتى يافعا الأن ، ولكنه

غاضب منى ، لأننى نسيت أن أخبره أن ميمى طلبته
فى التليفون . . ميمّى ! هل رأيت أنت ميمى هذه ؟

السيكوس : مرة واحدة . . . فى الشارع .

ماجدة : أما أنا فلم أرها ، ولا حتى فى الشارع . أسمع عن ميمى ، ولا أرى ميمى . يا لها من مفارقة ، هيه ؟

السيكوس : أجل ، يا ماجدة . . أريد . . .

ماجدة : تريد قهوة . انتظر . سأعد لك قدحا .

السيكوس : لا أريد قهوة !

ماجدة : كأسا من الشراب ؟ أو أى شىء آخر ؟

السيكوس : أريدك أن تجلسى معى قليلا . . لنتحادث .

ماجدة : حالا . . . لحظة وأفرغ لك . يبدو أن بك شيئا اليوم . تبدو مختلفا . لست أدرى ما خطبك . من حسن حظك أنى لك . أيه ، أليس هذا صحيحا ؟

السيكوس : أجل .

ماجدة : من حسن الحظ أننى لك ، وأنت لى . وإلا ، بعد أن صارت الحياة إلى ما صارت إليه اليوم ، لكان الأمر لا يطاق . وددت أن أعرف منذا الذى يفسد الحياة . . . كيف حال عملك اليوم ؟

السيكوس : على ما يرام . كالمعتاد . .

مـــاجـــــدة : هل بدت البقعة لأحد ؟

الـــيـكـــوس : ماذا ؟

مـــاجـــدة : البقعة التى على قميصك .. هل رأوها ؟

الـــيـكـــوس : ولا أحد لاحظها ...

مـــاجـــدة : انتظرت أن تـكـلمنى فى التـليـفـون ! تلهــفـت أن تكلمنى .. انتظرت .. رحت أقـول لنفس " الآن ، سيمسك التليفون ويكلمنى . الآن سيمسك التليفون ويكلمنى " وظلـت نظـراتى عـالقة بالتلـيفـون طوال الوقت .

الـــيـكـــوس : اتصلت بك .

مـــاجـــــدة : أجل .. آه ، أجل .. لكنى لم أجد التليـفون ، هذا التليفون الملعون ... يخبـئه ذلك الولد المكير . يخفى عنى التليفون ... لا أعرف ماذا يفعل به ، يلعب .. يخبـئه فى مكـــان ما ، يتـلفه ... لا أعـــرف ... أى حزب هو منضم إليه الآن . هل تعرف ؟

الـسيـكـــوس : كلا . إننا لا نتبادل الحديث ...

مـــاجـــــدة : أراهنك أنه منضم إلى حـزب مـيمى . إلى أى حـزب من الأحزاب تنتمى هذه البنت ؟

السيكوس : لا أعرف ! . . قلت لك أننى رأيتها مرة وحيدة ، مصادفة . ولم نتبادل كلمة . . . كفى قليلا . . وتعالى ، اجلسى . . .

ماجدة : ولم تتبادلا كلمة ؟ ولا كلمة . . ولا كلمة ؟

السيكوس : ولا كلمة .

ماجدة : على أى حال ، يبدو لى أنها بنت طيبة .

السيكوس : كيف ، ما دمت لا تعرفينها !

ماجدة : إنى أعرف كل شيء ، لا تزعج بالك . . وهل كنت أعرف نيقوس ؟ ولكن ما داما قد تزوجا ، وأتت به إلينا فى البيت ، بادرت وقلت لها " كنت أعرف أنه فتى طيب ! " ضاع منا الأبن أيضا . . . لم يبق لنا إلا الصغير . انت لم تكن تريده بالطبع ، ولكن اسألنى أنا . . . وعلى أى حال ، لا أذكر أن الآخرين كانا يبكيان فى طفولتهما ، هل تذكر أنت ؟ ولكن مستحيل ، لابد أنهما كانا يبكيان . إنهم جميعا عصبيون ، مثل أبيهم . . جعلك عمل المكتب رجلا عصبيا . . خذ اجازتك لتستريح . . . ما موعد إجازتك ؟

السيكوس : اخذت الاجازة ، يا ماجدة .

ماجدة : آه ، حقا ، نسيت ذلك ... أمضيتها فى الجزيرة .. الحياة جميلة فى الجزيرة .. هيه ؟ إننى وإن كنت من الجزر إلا أننى لم أذهب إلى جزيرة قط ! أمضيت وقتا طيبا ؟

السيكوس : سبق أن قلت لك ، يا ماجدة ...

ماجدة : قله لى مرة أخرى . ماذا سنفعل ؟ حتى الكلام نمتنع عنه ؟ إذا شئت ذلك ، فاننا بالطبع لن نتكلم ... يمكننى أن أتكلم وحدى . اليوم - اسمع ذلك لتضحك - اليوم تكلمت لأول مرة مع (شبشبى) هل تصدق ؟ أقسم لك أن ذلك حدث . فجأة ، وأنا أهم بارتدائه ، خيل لى أنه يفتح فمه . صحت فيه "لا تفتح لى فمك !" قلت له ذلك ، وهددته بأنى سألهبه بالفلفل ! وأمسكت بالفلفل وسودت له فمه ! ... سودته ! ... فلم ينطق بعد ذلك بكلمة ! ... وبعد ذلك ، أشفقت عليه طبعا ، فأخذته فى حضنى ، وصالحته ...

(ينفتح الطفل فى البكاء)

الولد ! ... (تجرى إلى الغرفة الداخلية) .

السيكوس : (يشعل سيجارة بيد ترتعش . تبدو عليه الهزيمة . تغطى وجهه مسحة من الحزن العميق) .

ماجدة : (تخرج وهى تدلل الطفل بمحبة . تذهب إلى المطبخ . وتطفىء الموقد . وتعد الأطباق) .

السيكوس : (كان قد نهض واقفا من قبل ، فيعود إلى الجلوس واجفا) .

ماجدة : (تترك الأطباق ، وتنصرف إلى ملاعبه الطفل ، ثم تنظف المائدة) .

السيكوس : (ينهض ليساعدها) .

ماجدة : اجلس ، اجلس . ماذا تظن ، إننى لا أستطيع ؟ انى متعبة قليلا ، قليلا فحسب . أعبائى كثيرة ، لكننى انجح فى تأديتها . اجلس انت ، ودخن سيجارة . ألا تريد أن تشرب قهوة ؟

السيكوس : كلا . . . لا أستطيع أن أتناول شيئا .

ماجدة : بك اليوم شيء ، وتخفيه عنى . هيه ؟

السيكوس : سأقول لك . تعالى اجلسى . اتركى كل شيء !

ماجدة : لحظة واحدة ، وسأفرغ لك . . . إنى أفلح فى أداء أعمال البيت ، ألا أفلح فى ذلك ؟

السيكوس : أجل ، يا ماجدة ، تفلحين . لكنك لا تجلسين أبدا . الولد ، على حق .

مــــاجــــــدة : (مشدوهة) أى حــق ! أعنى ، كـيف يكون الولد على حق ! أى ولد ؟

الـــيـكـــوس : عمل طوال الوقت ، على الدوام تعـملين . لاتتحدثين إلينا أبداً . لا نتحدث معا أبدا . ولا شئ نفعل أبدا . لا تتحدثين إلى الولد أبدا .

مــــاجــــــدة : أنا ؟ لا أتحدث أنا إلى أولادى ؟

الـــيـكـــوس : تتحدثين . ولكن هؤلاء . . . كما تعرفين . . . بحاجة إلى لحظة هدوء الآن . يريدونـك أن تضحكى مـعـهم قليلا أن تلعبى ، أن تذهبى إلى السينما .

مــــاجــــــدة : أنا لا أضحك ! آخ !! . أنا لا أضحك ! إنى أضحك وألعب أيضا . . . إنى لا أفهم (تشير إلى الطفل) ألم أكن ألاعبه منذ برهة . . ألم أكن أبتـسم إليه . . . لا أفهم لمـاذا تتـهمـوننى . . لا أفهم لمـاذا تعـتبـروننى غـير صالحـة . . . (عن الطفل) وهذا بدوره عندما يكبـر غدا سيقول لى أننى لم ألاعـبه ، ولم أبتسم إليه قط (تترك الطفل ، وتمضى إلى المطبخ متمتمة) . . . لقد ذبل ثديى . . .

الـــيـكـــوس : لمـاذا لا تجلبين شـغـالة تعنى لـك بالطفل؟ . . . كى تلتفتى إلى نفسك قليلا . . . طوال الوقت أنت مدفونة هنا ، مدفونه هنا . أأنت بحاجة إلى الراحة . . . نحن بحاجة جميعا إلى ذلك .

مــــاجــــــدة : أجل ، بالطبع . . . يجب أن أذهب إلى السـينما . . . هل يعـــرض فـيلـــم طيب ؟ يعـــجـبنى دوجـــلاس فـيـربانكس . أجـل ، هــذا النجم أحب أن أشـاهد

أفلامـه ! بلا شك ، يجب أن أذهب إلى السـينما . . ولكن مع من أذهب ؟ الأولاد يذهبون إلى حيث يروق لهم . إلى أفلام غير ما أريد مشاهدتها . ماريا تذهب مع نيـقـوس . والولد الـكبـير مـع مـيـمى . وأنت متعب . . . والطفل أين سأتركه ؟ . . . عند من ؟

الـسـيكـوس : قلت لك أكـثر من مـرة . . . أحضـرى شغـالة . . . سوف نذهب معا إلى السينما .

مــاجــدة : لوكـانت لى صديـقة ! أنا التى يعـجـبنى أن يكون لى صديقات ، ليس لى صديقة واحدة !

الـسـيكـوس : ليس بإمكانك أن تعـيشى هكذا مدفـونة هنا . لا أحد منا بإمكانه ذلك !

مــاجــدة : عندى زوجى ، وأولادى ، وبيـتى ، وطفلى ، آه ، أتراه ؟ إنه لا يبكى الآن ! أحسنت ، يابنى الصـغير . كـانت أمى تـقـول لى « عليك أن تكـونى ربة بيت . وعلى الزوجة أن تعـرف كل شئ . من إنجاب الأولاد حتى غـسيـل الملابـس الداخلية ، دون أن تتـقزز من ذلك . » وأنا لم أتقزز منك قط .

الـسـيكـوس : ليس هذا وحده كل ما فى الأمر . . .

مــاجــدة : أن ألبى كل طلب . فقط إطلب ما تريد . . .

الـسـيكـوس : ما عدت استطيع أن اطلب شيئا ، يا مـاجدة ! تعالى اجلسى . تعالى اجلسى ، نتحادث قليلا .

مــاجــدة : قل مـا عندك . إنى اسمـعك . . . يعـجبنى جـدا أن أتحـادث معك . . . وإن كـان يبدو لـى أن ثمة شـيئـا

يحدث اليوم . ولكن الأمر مجرد خاطر طرأ عليّ . لا تكترث لـذلـك ، عـلى الدوام أقول لك كلامـا مثل هذا ، ولايحدث شئ أبدا .

السيكوس : عندى ما هو جسيم ، أريد أن أقوله لك .

ماجدة : ستترك المكتب ؟

السيكوس : كلا ، يا ماجدة ! سأ . . . (يتوقف عن اتمام قوله يائسا) .

ماجدة : جحيم هذا المكتب . إذا كان بقـاؤك فيه يعنى موتك ، من الأفضل أن تتركه . أنت المهم . ستـجد عملا آخر حالا . وعلى أسوأ الفروض سألتحق بعمل أنا أيضا . ولمـاذا لا أعـمل أنا أيضـا . هيـه ؟ لمـاذا أجلس فى البـيت وانتظر منك كل شئ ؟ هل أنت أسيـر عندى ؟ أنت زوجى . سأذهب أنا أيـضا وأعمل . . . سـأجد عملا . اطمئن . . . ولا تقلق ، سأوفق فى الجمع بين عملى فى البـيت ، وعمل المكتب ، والأولاد ، وأنت . . . الشئ الوحيد الذى أخافه هو أن أصـير عصبية ، مـثلك . . . يضـايقـك واحـد ، يضـايقك آخـر . . أعـصـابك تتـحطم . وإذا تحـطمـت فقـل على الدينا السلام .

السيكوس : ماجدة ! . . .

ماجدة : أنك تنطق باسـمى كـثيـرا اليـوم . يروق لى ذلك . . . كـففت عن النـطق به منذ وقت طويل . . . أوه ،أوه ، أوه ! اليوم نطقت به خمس مرات . إنى أحـصيها . . . خل عنك . . ليلة أمس كنت تتكلم وأنت نائم . . .

الـيكـوس : (مرتعبا) ماذا كنت أقول ؟

مـاجـدة : شيئا ما . لا أعـرف . لم أجلس لأصغى . . . كنت تصـرخ . . ربما كنت ترى حلمـا مزعـجا . مـا الذى كنت تراه ؟

الـيكـوس : لا أذكر .

مـاجـدة : وهل أنـا أذكـر ؟ أننى لا أذكـر حـتى إذا كنت أرى أحلاما ، حقا . الليلة قبل البارحة كنت تشخر ولكننى استيقظت . . . هذه الآونة الأخـيرة ، ما عدت بقادرة حـتى أن أنام . . كنت أنـت نائمـا . أنت تنام نومـا عـميـقا . مـتعب أنـت ، ولكننى احرص على عـدم إزعـاجك ، لا تستطيع أن تـنكر ذلك . نهـضت ، وذهبت إلى غرفة الطفل وسمعته يتمتم بشئ . . . هل تتصـور ذلك ؟ هذا الطفل الرضيع ! ثم ابتـسم ! لعله كان يرى حلما . . . هل تعتقد أنه كان يرانى فى حلمه ويبتسم لى ؟ كان الولد الكبير متغيبا مرة أخرى . لابد أنه كان مع ميمى ! بالأمس كـسر صحنين من جديد . بغير ما سـبب ! كنت قد خرجت لعملك ، وأنا كنت أرتب البيت . أنت تعرف ، هذه التحرشات اليومية . إدعى أننى أقلقت نومه وأنا أذرع الشقـة جيئة وذهابا . قلت له « ماذا تريدنى أن أفعل ؟ أن أذرع الشقة صعودا وهبوطا ؟ ابنوا لى بيـتا مختلفا عن هـذا وسترون أننى سأذرع الشقـة صعودا وهبوطا ، صـعودا وهبوطا . » عنـدئذ ، أجل ، سـأكف عن المجئ والـذهاب . . .

هل جعت ؟ لحظة واحدة . الأكل جاهز . . . لم تكلمنى ماريا فى التليفون اليوم أيضا . بينما قلت لها مرارا « يا بنيتى ، أمسكى التليفون وكلمينى . قولى لى فحسب السلام عليك يا أمى ، واقفلى السكة » أتعرف ماذا قالت لى « لا أستطيع ، كلما سمعتك أخاف أن أصاب بالجنون » أسمعت ؟ هذه ابنتى . الجوهرة المصون . حمدا لله ، أنت باق لى . وددت أن أعرف ماذا كنت سأصبح لو أضحيت بدونك . الأولاد ، يرحلون ، يتركونك ، يتخلون عنك ويهجرونك . أنت ترحل ولكنك تعود .

السيكوس : (يكاد يكلم نفسه ، يائسا) اسكتى ! .

ماجدة : هيه . . . هل قلت شيئا ؟

السيكوس : كلا . الطعام تفوح منه نكهة طيبة . . .

ماجدة : أجل . علمتنى أمى كل شئ . كانت تقول لى « يجب أن تكونى زوجة صالحة » عملت بنصائحها ، وها هى النكهة الطيبة تفوح من طعامى الآن . وأنجبت لك ثلاثة أولاد . على أن ثمة أمرا واحدا لا أفهمه . . . سبق أن حدثتك فيه : السياسة . أمور السياسة هذه تحير عقلى . طوال النهار لا أفكر إلا فى السياسة . السياسة هنا ، السياسة هناك . وأقول لنفسى « ماذا سيحدث ؟ » ثم أرد على نفسى قائلة « كل شئ سيكون على ما يرام . وأنا ؟ فى أى حزب أنا ؟ أريد أن تدلنى . أريد أن أعرف فى أى حزب أنا ؟ لهذا

الأمر أهميته . سأصل إلى قرار . لقد تركت ماريا أمور السياسة بدورها ، ما إن تزوجت . كفت عن الهتافات ، ونقضت عنها أمور السياسة كلها . ياللخسارة . كنت أقول لنفسى سأسأل ماريا وستوضح لى كل شئ . ولكن فجأة ضاعت هذه منى . هل تشعر بالجوع ؟ هيه ؟ تعال ، اجلس ، الأكل جاهز . . اغسل يديك . . . سأذهب إلى غرفة الطفل وسأعود .

السيكوس : وأنت ، ألن تتناولى الطعام ؟

ماجدة : أيه ؟ كلا ، سبق لى أن تناولت لقمة .

السيكوس : متى ؟

ماجدة : (لا تتذكر) ماذا ؟ أتراني لم أتناول طعاما ؟ (تضحك) كلا ، أكلت . لابد أننى أكلت ، إجلس أنت . إذهب لتغسل يديك ، وسأحضر إليك . (تأخذ الطفل وتذهب إلى الغرفة الداخلية . يقضى اليكوس لحظات من الحزن العميق . يشعل سيجارة ، ويتناول منها نفساً عميقا . تعود ماجدة) .

ماجدة : كل شئ على ما يرام . نام . (تؤدى الآن أداء قاتنا ، ولكن بهستيرية، دور المضيفة . تنحنى له) طعامك جاهز ، يا صاحب السيادة . تفضل . هل غسلت يديك ، ياصاحب السيادة ؟ كلا ؟ لا يهم . سأتولى أنا غسلهما لسيادتك (تلحس كفى اليكوس بينما يكاد هو يختنق دون أن يستطيع أن يوقفها) أصبحتا لامعتين (تمسحهما بيديها) مثل المرآة ! آه فلأرى ، فلأرى نفسي قليلا . هيه ؟ (تنظر إلى نفسها فى كفيه ، كما لو

كانت تنظر فى مرآة) جميلة أنا ! حمدا لله ، مازلت جميلة ! كانت أمى تقول لى « يجب أن تكونى دائما جميلة ! جذابة ، فاتنة ! » أجل . . .

(اليكوس على وشك الانهيار)

اليكوس : ماجدة . . .

ماجدة : ماذا حدث لك ، هيه ؟ هل حدث لك شئ ؟ قل لى ماذا حدث ؟ وألا فلماذا أنا هنا ؟ لماذا أنا زوجتك ؟

اليكوس : اسكتى !

ماجدة : حسنا . . . فلنؤجل ذلك إلى ما بعد تناولك الطعام . سأغسل أنا الصحون وتكلمنى أنت . . لكن ألن تأكل ؟ لا تضغط على نفسك ! دع الأمر الآن ، دعه . . . أجل ، دعه لتأكل ، وفيما بعد تخبرنى . غدا تخبرنى . لدينا متسع من الوقت . اجلس وكل .

اليكوس : (لا يحتمل أكثر من ذلك . ينفجر ، ولكن بشجن عميق ، دون صياح . بحب لماجدة . وليس بكراهية .) لا أستطيع أن آكل ، يا ماجدة ! لا أستطيع أن أبتلع المزيد ، أن أبتلع المزيد ! . . . أن أبتلع المزيد ! يجب أن أكلمك ! يجب أن تسمعينى مرة واحدة . ليس لدينا وقت ، يا ماجدة . أريد أن تسمعينى ، دون أن تنشغلى بعمل ! مرة واحدة ، تبدين أنك تسمعين ، أنك تفهمين ، إنك تشعرين أن ثمة من بجوارك . أنت أمراة ، يا ماجدة . . . لا أستطيع أكثر من ذلك . لا أحتمل . من المؤسف يا ماجدة ، ولكن ليس ما يمكن عمله بعد كل ذلك .

لا مـفـر ، الآن لا يمكن أن تمضى الأمـــور على هذا النحو . أفهمى ذلك، يا ماجدة ! . . . سوف أرحل ، يا ماجدة ! سوف نفترق . سوف أرحل . سأتركك ، لا أطيق المزيد . سأطلقك ! . . .

(بعـد أن كانت مـاجدة تتـابع انفجـار اليكوس هذا بابتسـامه حنون ، تتـبين حقيقة الأمر فجأة ... ولبرهة ستـمر بكل حالات الانفعال الممكنة ، وستعبر عن شتى الأحاسيس التى تجيش بنفسها ، ستـضحك بعصبية ، ثم تكتسى بمسحة من الجد، ستـهم بالكلام لكنها ستجـفل مرتعبة ، تضـحك ، تجن ، تصاب بالبكم ، تطلق صرخـات مبهـمة ، تمسك شعـرها ، تتحس وجهـها ، تنظر إلى ملابسـها وإلى يديها ، تتفقـد جسمها ، تجيل نظرات يائسـة فيما حولها ، تعض شفـتيها . دقيقة دقيقتين ، ثلاث دقائق ... ثم يسمع بكاء الطفل .)

مـــاجـــــدة : (تجزع ، وتفيق لنفسـها) آه ! الطفل ! . . . الطفل . . . نام جوعانا ! إنى ذاهبة إلى الطفل ! ذاهبـة إلى الطفـل !

(تجرى إلى الغرفة الداخلية . أما اليكوس فيعد لحظة ينفجر فى البكاء)

ستار

يورغوس سكورتيس

العواطلى

(ميناه امرأة من عامة الشعب يتراوح سنها بين الخامسة والثلاثين والأربعين ، يبدو عليها التعب والمسكنة ، تصلح من زينتها أمام مرآة ، وترتدى ثوبا من ثياب البيت . وعندما نقول تصلح زينتها يكون هذا قولا فيه مبالغة ، مادامت بحالتها التى هى عليها يتعذر انصلاح زينتها . بين الفينة والفينة تدندن بمقطع لا يتغير من أغنية شعبية شائعة .. يفتح الباب فيئز مقبضه القديم لتهالكه - ويدخل فاسيلى .. وهو رجل من ذات سنها متعكر المزاج .. تجفل ميناه)

ميناه : تبا لك، يافاسيلى ! تبا ! اخفتنى ! (تكف عن التزين)

فاسيلى : (يسخر منها بايماءة) آه ، يامسكينة ! وهل تخافين أنت ؟ !
(يخلع سترته)

ميناه : ما الأخبار ؟ (تشرع فى ترتيب هندامها)

فاسيلى : لا شئ .

ميناه : (حزينة) لا شئ من جديد ، هذه المرة أيضا ؟

فاسيلى : وماذا كنت تتوقعين ؟ أن يحدث شئ جسيم؟ انت نائمة ؟ صح النوم ، أذن أم أنك كنت تتصورين أن المجتمع يتغير هكذا ، فجأة ، بين يوم وليلة ؟

ميناه : وما أدرانى أنا ؟ النحس كله يحط علينا ؟

فاسيلى : النحس يحط على أصحاب البنوك والمال أيضا ، ولكن هؤلاء يفقدون رصيدا ، وتبقى لهم الوف الأرصدة الأخرى . اتفهمين ؟

ميناه : وصلنى خطاب من أبى اليوم أيضا .أنه لن يبيع قطعة الأرض. هذا ما يقوله، لأن السعر المعروض عليه قليل .

فاسيلى : فليذهب هو وأرضه إلى الشيطان ! أرضه ، أرضه .

نفخ أمعاءنا بسيرة أرضه هذه . هاهى خمس سنوات مضت الآن ، وتمضى معها الأرض وحكايتها ! لايكف عن أن يردد لى قوله « يازوج ابنتى ، أجل ، يا زوج ابنتى، مهلا ، سأبيع الأرض ، وأصلح من حالك » . مللت هذه الأقوال من هذا العجوز القذر ، وسئمت سماعها ! اكتبى له ألا يطأ قدمه بعد الآن هنا .

ميناه : وماذا تريده أن يفعل ؟ ! يبيع أرضه بثمن بخس ؟ بسعر التراب ؟

فاسيلى : فليهنأ بها يا امرأة ، فلينقعها فى الماء ، ويشربه . شئ مقرف . خيبة الله عليه . . .

ميناه : يقول لو شئت فلنذهب إلى الجزيرة ، وسيساعدك على فتح محل الخضار ذاك الذى وعدك به . .

فاسيلى : وأقول أنا كفاه بعثا للمرض فى أوصالى . . أهذه هى المكافأة التى أحصل عليها لقاء زواجى من ابنته ؟ ! محل خضرى ! ؟ محل خضرى ؟ ! ياله من شئ رائع ، رائع حقا ! إنها أمور سخف وهراء ، حقا . . يالصفاقة أبيك ، يا امرأة . يريدنا أن نترك العاصمة لنذهب إلى الجزيرة الجدباء نبيع خضروات . . . ويل له لو وطأت قدمه أثينا مرة أخرى . سوف يكون لى معه كلام أخر !

ميناه : هل الأمر بهذه الصعوبة أن يوجد من أجلك أنت أيضا عمل . . . وأنت على هذا القدر من المعرفة ! ألم تقابل أولئك الناس اليوم ؟

فاسيلى : حتى لو كنت قابلتهم ، ماذا كان سيحدث ؟ نفرض أننى قابلتهم ماذا كان سيتغير ؟ (يخرج سيجارة ويشعلها) هذا الروث ، ماذا سيكون أمره . لا أدرى . إلى أين تمضى هذه اللعبة ، لا أستطيع أن أفهم أننا حتى ورقة يناصيب لا نربحها . ليس لنا حظ فى ورقة يناصيب واحدة . واحدة فقط . ما رأيك ؟

ميناه : وهل اشتريت أنت قط واحدة ؟

فاسيلى : قلت لك أشترى ورقة ! كم من مرة قلت لك ذلك ؟

ميناه : أمن المعقول أن تكون الرابحة من نصيبنا نحن ؟

فاسيلى : النحس الذى يلازمك . لايتركنا نكسب شيئاً ، أو نفلح فى شئ . . .

ميناه : عدت تلقى اللوم على من جديد ؟ حتى اليانصيب بحاجة إلى نقود ، يا فاسيلى إنه مكلف . . .

فاسيلى : يا نصيب ، لا ، جلا جلا ، لا ، سباق خيل ، لا . إذن عافاك الله وإبقاك . هل عندك ما يؤكل ؟

ميناه : لم أطبخ بعد .

فاسيلى : وهل الوقت مبكر ، يعنى ؟

ميناه : أيه ، يا فاسيلى ، اعتقدت أنك ستتأخر !

فاسيلى : أيه ، يا ميناه ، هل تلعبين بى ؟ هل اعتقدت أننى أضربت عن الأكل ، وأننى لن آكل بعد اليوم ؟ أرى ثيابا وأشم عطورا هنا ، إلى أين العزم بالسلامة ؟

ميناه : أبدا ، باقية فى البيت .

فاسيلى : هل نحن بانتظار أحد ؟

مــــــيناه : لا أعرف . ربما أتى أخوك . . .

فــاسيلى : إنى أسأل عنا ، إذا كنا ننتظر أحـدا ، ضيفا أقـصد ، هل تعتبرين أخى ضيفا ؟ أقول أحدا . . .

مــــــيناه : كلا . . .

فــاسيلى : تمام ، هل جاء أحد ، هل سمعت شيئاً ؟

مــــــيناه : لا شئ . .

فــاسيلى : ولا رأيت شيئا ، هيـه ؟ حتى اللقـمة التى تأكلينها حرام . فيك . .

مــــــيناه : هذا لو كنت قـد خرجت ! . . منذ اليـوم الذى أغلقنا فيـه محل الكبـاب لم أغادر البيت ، فـكيف أسمع أو اقابل أو أرى أحدا . . .

فــاسيلى : هيه ، وأين تريدين الذهاب ، يا امرأة هيا ، تفضلى ، اخرجى ! أين ستذهبين ؟

مــــــيناه : هيه ، حسنا ، لم أقل شيئا ! لم أعترض !

فــاسيلى : بل قلت ! واعترضت ! دائبة الـتذمر أنت ! كان عليك أنت إذن أن تبقـيه مفـتوحا ، يا امـرأة لتأكلى من لحم جسـمك الحى ، كـبابا ! ولكن أين المفـر من النحس الذى جبلت عليه. أين المفر من نكدك الذى لا ينتهى . من الفجر للفجـر كنا نقف فى المحل ، نقف حتى تتورم منا السيقان والأقدام ولم نكن نكسب حتى الكفاف .

مــــــيناه : أجل . حسنا . . كان الأجـدر بك إذن ألا تترك المحل وتذهب للجلوس فى المقهى . . .

فاسيلى : أسمعى أذن . كفى عن تصديع رأسى بحكاية المقهى هذه وإلا هشمت وجهك هيه ، فاهمة ؟

ميناه : لماذا أكف يافاسيلى . سيرتك على كل لسان . الكوتشينة والكوتشينة . هذا شغلك الشاغل ، ولاشئ غير ذلك !

فاسيلى : كُفى عن هذه السيرة ، يا امرأة ! اخرسى (يلوح يده ويصفع الهواء بكفه بينما تقف بعيدة عنه) .

ميناه : (تتمتم متذمرة) بالطبع ، تريدنى أن أخرس. لا يروق لك كلامى . اشتغلت على تاكسى وتركت العمل . رحت إلى سيارات النقل فتشاجرت . فتحنا محل الكباب ومن خيبتك أغلقناه . خسرنا نقودنا وها نحن الآن فوق ذلك مدينون . وسوف يكون مصيرنا السجن ، فى النهاية .

فاسيلى : لن يسجنونى أنا ، بل أنت التى سوف تسجنين .

ميناه : اسكت . . اسكت . (تذهب إلى المنضدة . وتهم بأخذ قدحين للقهوة ، موضوعين عليها ، وكانت ميناه قد عمدت منذ برهة إلى تغطيتهما كى لا يراهما فاسيلى)

فاسيلى : دعى كل شئ فى مكانه .

ميناه : (منكمشة) كى أرتب الحجرة قليلا . وأصنع شيئا للغداء . .

ميناه : (تزحزح الصينية جانبا على المنضدة التى يجلس عليها فاسيلى)

فاسيلى : (ينظر إليها) هات وخذ (يرفع الغطاء تشعر ميناه بالحرج . يتمتم فاسيلى متذمراً) تقسمين أنك لم ترى ولم تقابلى أحدا . هيه ؟

مـــــيـنـاه : دعك من هذا يافاسيلى !

فــاســيـلى : لاشئ .. هيه ؟ ! لم تر شيئا .. هيه ؟ ياأيتها المتخلفة عقليا ، ماذا سبق لى أن قلت لك ؟ هيه ، لماذا أدخلت كاتينا مرة أخرى فى بيتك ؟ ماذا تقول لك هذه المرأة القذرة ، وتسلب به عقلك . هيه ؟ .. ماذا عادت تقول لك من جديد ؟

مـــــيـنـاه : اخفض صوتك ، يا فاسيلى ، لماذا تصيح هكذا ؟ إنها لاتقول شيئا سيئا ! إنها تحبك ، المسكينة . ! جاءت هنا دقيقة واحدة فحسب ،كى تتناول معى قدحاً من القهوة .

فــاســيـلى : وهل كنت تريدين أن تشربا أكثر من قدح واحد ، ياملعونتين . أنت وهى ! ماشاء الله ! نحن نغرق ، وهذه النسوة لايعملن لشئ حسابا . يحتسين القهوة ، أقداحا تلو أقداح . ولا يكترثن بما نعانيه إطلاقا ..

مـــــيـنـاه : أيه . يافاسيلى يا أخى . كما تذهب أنت إلى سباق الخيل ، أقرأ أنا الفنجال ، ماذا فى هذا ، أليس هذا بدوره رزق ؟

فــاســيـلى : أى رزق هذا ، أيتها المتخلفة . هراء وأكاذيب . الخيل فى السباق ترينها رؤى العين تجرى ، تثير حوافرها التراب ، يعلو الصياح والهتاف ، تنزل المراهنات ، وتتردد اللعنات من أفواه الخاسرين فى أرجاء الملعب !

مـــــيـنـاه : هيه ، هل تفضل لى إذن أن أدخل وأراهن فى سباق الخيل ؟

فـــاسـيـلـى : يبـدو أنك لست على مـايرام . لـم يبق إلا هذا الآن . أن تصبـحى مقـامرة ! أهــذا مـا تقوله لك صـديقتك كـاتينا ؟ .. هذه المرأة كـفيلة بـأن تتاجـر بك دون أن تدرى أنت بذلك .

مـــيـنـاه : يتجـه فكرك إلى كل ما هو سئ فحـسب ، كى تضيع وقتك ..

فـــاسـيـلـى : أخشـى أن تفعـلا أموراً أخـرى أيضـا للتسليـة وقطع الوقت . كفـانا وجع دماغ اليـوم ، وليذهب كل شئ إلى الشيطان . أعدى قدحا من القهوة .

مـــيـنـاه : الآن ....

فـــاسـيـلـى : (يشعل سيجارة) للتسليـة - قال - وقطع الوقت ! ومن قال لك يا امـرأة أن الوقت لا يفوت . هيـه ، انظرى إلى ، أنظرى إلى وتـذكرى صـورتى كـمـا كنت فى سالف الأيام ! تذكرى كيف كان فـاسيلى وكيف كانت هيأته ! هيه ! من أجل التسلية وقتل الوقت ، هيه ! ومن أتحفك بـهذه الصنخـام الذى لطخت به وجهك وتـقولين عنه مكياج ، زينة ، هيه ؟ ألم تعدى القهوة بعد ؟

مـــيـنـاه : هيه ، مهلك ، ياشيخ ! هـل ترانى أعد لك قدحا من المـاء ؟ تحتاج القـهوة إلى إعداد .. لحـظة واحدة . لمـاذا لم تحضر معك بعض الحلوى ، يا أخى ؟

فـــاسـيـلـى : (دهشا) ستفقدينني عقلى ، يابنية ! من أين أحضر لك الحـلوى يـا امـرأة ، ولمـاذا أحـضـرهـا لك ، دون مناسبة ؟

مـــــــيـنـاه : قد يحضر أحد . . .

فــــاســيـلى : ما الذى دهاك يا أيتها المرأة الغـامضة ؟ وماهذه الألغاز التى توحين بها ؟

مـــــــيـنـاه : ايه ، يا فاسيلى . هل نسيت فى أى الأيام نحن ؟

فــــاســيـلى : إننا فى يوم الأحد . ولكن لماذا هذا التلميح ؟

مـــــــيـنـاه : إنه يوم الأحـد . هذا صحيح . ولكـن أى أحد هو ؟ يمر اليـوم خمسة عـشر عامـا بالتمام والكمـال على زواجنا . . .

فــــاســيـلى : (يضحك لهذا الكلام) هيه ، يالها من نكتة ! هل أنت جادة فـيمـا تقـولين ؟ ألهـذا تثيـرين من حـولك كل هذا الغموض ؟ يالها مـن نكتة ، حقا ! (تحضر له ميناه القهوة) كم من الأعوام مضت ، تقولين ؟

مـــــــيـنـاه : خمسة عشر .

فــــاســيـلى : خمـسة عشـر عامـا فى المستنقع القذر ذاتـه ! ياالله ما الذى يجعلك تتذكرينها ؟ وهل نحن ممن يتذكرون مثل هذه الأشياء ؟

مـــــــيـنـاه : (كطفل يوبخه أبوه) هذا ما جـعلنى أصلح من زينتى اليوم قليلا . .

فــــاســيـلى : وهل تعتقدين أنك أصلحت شـيئا من زينتك ، حقا ؟ أبهذه السهولة تتصلح السـحن ، ياميناه ؟ لوكان الأمر كذلك لأصلحت صديقتك فاسيلياذو من سحنتها . . .

مـــــــيـنـاه : (متذمرة بدلال) إيه ، مـاذا تريد أن يفعل من كـان على شاكلتنا . .

فاسيلى : كفى تذمرا وشكوى ، يا أمرأة !

ميناه : (بصوت اقرب إلى البكاء) كل لوم تلقيه على ! تخسر فى سبق الخيل ، أدفع أنا ! لاتجد عملا ، الذنب يقع على أنا ! يسرقونك فى لعب الورق ، أتلقى أنا منك الشتائم ! وددت أن أموت كي استريح . مللت هذه الحياة ! كل لوم تلقيه على . أنا الملومة على الدوام !

فاسيلى : وفيمن تريديننى أن أنفجر بما بداخلى ، أيتها المرأة ، هيه ؟ لماذا أذن تزوجتك ، لولم يكن بإمكانى ذلك ؟ خبرينى لماذا أحملك على كتفى خمسة عشر عاما بأكملها ؟ألكى أنفجر فى الحائط ؟ كفانى وجع دماغ.

ميناه : هيه ، وما ذنبى أنا ؟

فاسيلى : تسألين ماذنبك ؟ ما ذنبك ؟ سوف أقول لك أنا ماذنبك ياشاطرة . الدنيا ملآنة بالنساء ما الذى جعلنى اقع عليك أنت ، يا امرأة ، أنت بالذات ، ولا أحد غيرك ؟

ميناه : هيه ، أنه حدث وكفى ، يا فاسيلى . حظ ، يا أخى !

فاسيلى : لعنة الله عليك . تسمين هذا حظا ؟ تقولين حظا . تصاريف الأيام القذرة هيأت كل شئ على النحو الذى تسمينه حظا !

ميناه : هل انفجرت أنا فيك أبدا ، أو القيت عليك همومى ؟

فاسيلى : وهل قلت لك أنا لا تنفجرى !

مـينـاه : ولو حدث ذلك ، لو حدث أن أنفجرت فيك ودلقت على رأسك همومى ، بما سأخرج من ذلك ؟

فـاسيلى : روث . روث . ولاشئ غير ذلك . ستكون محصلة ما ستخرجين به روث . (يبحث عن علبة سجائره) فى أى داهية ذهبت سجائرى ؟ ماذا فعلت بها ؟

مـينـاه : أنا ؟

فـاسيلى : أجل ، أنت . أم هل تقصدين أنا ؟ كانت السجائر هنا وكنت أدخن الآن .

مـينـاه : هيه ، وأين وضعتها ؟

فـاسيلى : وهل كنت أبحث عنها لو أعرف أين وضعتها ؟ أم يخيل إليك أننى كنت سوف أسألك ؟ أبحثى عنها ! (تعكف ميناه على البحث . ، فتجدها وراءه على الأرض .. يجرع رشفة من القهوة .. يتوتر) سأموت . يا امرأة ستقتلينتى ، يا امرأة ! كلما طلبت منك قدحا من القهوة « بن ثقيل ، مضبوط » تصنعينها أنت كما يعن لعقلك المفلوت أن يصنعها ، أية قهوة والسلام . عليك اللعنة ربيت لى وجع الدماغ . لا أستطيع يا امرأة أن أشربها « سكر زيادة » . أتفهمين ؟ شفتاى ، ولسانى ، وعقلى ، وكل شئ فى يضحى لزجا . فاهمة ؟

مـينـاه : ايه،يا فاسيلى ، ياشيخ ، أليست هذه قهوتك المعتادة ؟ ألا أصنعها لك دائما هكذا ؟

فـاسيلى : أذهبى إلى الشيطان يا امرأة . وليخطفك الجن الأحمر . إعطنى سجائرى .

ميناه : (تمسك بها، فتعطيها له) خذها (تجمع بعض الأشياء المتفرقة) على الدوام، نحن الذين ندفع . كل الأوجاع من نصيبنا نحن . هذا المال الملعون سيفترس حياتنا ! جاء ذلك الرجل بشأن الثلاجة مرة أخرى، اليوم . .

فاسيلى : أيجئ يوم الأحد، هذا المأفون . وماذا كان يريد ؟

ميناه : كان يريد نقوداً . أم ماذا تعتقد أنه كان يريد ؟ نحن مدينون له بنصف ثمن الثلاجة .

فاسيلى : وما العيب فى أننا مدينون ؟ ألا يستدين هو ؟ ومن الذى لا يستدين، خبرينى ! المجتمع بأسره يتحرك على سندات وشيكات غير محصلة. تشاهدينهم سادة، يجلسون فى سياراتهم الفخمة، ينحنون لهم بالتحية وجيوبهم عامرة بالصفقات ! اليوم، قابلت فى المقهى السائق الذى يشبه وجهه وجه الكلاب، والذى كنا نعمل معا على عربة النقل، كانت بحوزته كومة من الشيكات المستحقة الدفع بعد سنة . . .

ميناه : وماذا فى هذا ؟

فاسيلى : وماذا فى هذا ؟ جاء علّه يجد مرابيا، يشتريها منه بالخصم حتى يستطيع هو بدوره أن يدفع أقساط الثلاجة . أفهمت ؟ المال يقتنيه الرعاع، أما نحن فلا نتقاضى أوراقا مالية، بل أوراقا للمرحاض .

ميناه : وهل وجد ؟

فاسيلى : وكيف يجد ؟ ! أتظنين المرابين على هذا القدر من السذاجة ؟ هؤلاء إن دفعوا فلقاء أوراق مضمونة فى السوق، وليس لقاء أية أوراق .

ميناه : وماذا سيفعل هذا المسكين ؟

فاسيلى : وهل أعرف أنا ؟ . إما أن يدخل السجن ، وإما أن يدور على البنوك عله يجد بنكا مفلسا يرضى أن يقرضه ليجرى هو بدوره وراءه من جديد .. وجع دماغ ، ولاشى غير ذلك . ولهذا ، إذا جاء هذا الرجل وعاد يطلب باقى ثمن الثلاجة .. قولى له فليأخذها وليتربع عليها. وجع دماغ .. لا نريد بالمرة ! نحن المطاردون ، بطبيعة الحال . ومن غيرنا سيطارد هؤلاء الثعالب الشرسة ؟ السجون ملآنة بأمثالنا ، انا ، وميتشو، وجيكا وكوستا . أما الآخرون فهم قراميط .. فهمت ؟ أنهم مثل ثعابين الماء تنزلق من قبضة من يحاول إمساكها ، وتفلت ...

ميناه : ألا تقوم بجولة إلى النقابة ؟

فاسيلى : علام أذهب إليها ، يا امرأة . ماذا أفعل هناك. نقابة ؟ هيه ! .. لاجدوى ولانفع يعود منها ...

ميناه : هيه ، كيف تقول ذلك . أنت لاتعرف ، ماذا يمكن فى بعض الأحيان أن يعود علينا منها .

فاسيلى : فى بعض الأحيان . هذا هو مربط الفرس . ننتظر الفرج من حيث لا يأتى ! أجل ، من يدرى قد يحدث ماوضعت أملك فيه ، فنجد عملا يملأنا طربا ، ونهتف قائلين « أمانة يازمان طوِّل » ولكن متى يحدث ذلك ، على الدوام النقابة تطالب ، وتطالب ، وتطالب . مطالب النقابة لاتنتهى ، أما عطاؤها فيكاد يكون معدما.. !

مـــيـنـاه : هيا ، شئ ما سيحدث ، وسوف تفرج .

فـاسـيـلى : متى ؟ أربعين عاما ، أستيقظ مع تباشير الفجر الأولى كل صباح ! منذ طفولتى على الرصيف . فى الثامنة من عمرى أنقل حديدا ، فى العاشرة رفعت على كتفى أطنانا من الصناديق الثقيلة ، فى العشرين قادتنى قدماى إلى سوق الخضار ، وفى الثلاثين انكفأت على عجلة القيادة ، ورديات مسائية تلو ورديات ، وها أنا فى الأربعين عاطل أتضور جوعا ! متى إذن سيحدث هذا الشئ الذى تقولين أنه ربما يحدث ؟ متى ؟ ثم فتحنا محل الكباب كى نكون سادة أنفسنا وأصحاب عمل ، ولا يتحكم فينا أحد من أولاد الكلاب . وإذا بالدنيا تنطبق على الأرض ، ولكأنه صدر أمر سلطانى بألا تأكلوا أيها الناس الكباب والكفته ، بألا تقربوا ياجميع الناس محال الكباب والكفته ! كما لوكنا نبيع للناس روثا وليس أفضل أنواع اللحم المفروم ، ولكن ربما كان هذا هو السبب فى الكساد الذى حط على محلنا ، هل رأيت صاحب المحل الآخر ماذا كان يفعل؟ ماذا كان يبيع لزبائنه ؟ يقال أنه كان يشوى على السيخ قراقيش واحشاء فاسدة. وماذا لقى بعد ذلك ؟ ألقوا به فى السجن ثمانية أشهر فحسب . . أواه ، يا أيها المجتمع الداعر ! ثمانية أشهر فحسب ! أما أنا فقد ألقوا بى فيما هو أسوأ من السجن أربعين عاما . هو ثمانية أشهر يؤديها وبعد ذلك ، هوب يفتح

جناحيه ويطير. عصفور حر طليق من جديد.. وغدا ، عملية قذره أخرى ، وبعد غد أخرى وأخرى ! أما نحن فلا شئ نفعل! لم نقدر حتى على عملية واحدة! ولا حتى عملية واحدة ! حشونا شطائرنا بأجود أصناف اللحم المفروم، أتفهمين ؟ مثل أبى ، إبان أبان الاحتلال الكل كان يبيع ردة ونشارة طباشير على أنه دقيق فى السوق السوداء . أما أبى العجوز ، الذى كان فرانا ممتازا فكان لا يبيع إلا دقيقا أبيض ، وبرخص التراب ! برخص التراب ! حتى أن تجار السوق السوداء كانوا يقفون طوابير أمام بيتنا . ثم كانوا بعد ذلك يبيعون جرام الدقيق كما لو كانوا يبيعون ذهبا ! وأنت تقولين اليوم عيد ، عيد زواجنا السعيد ! وتقولين أنك أصلحت من زينتك ! وتقولين إن هذه الخمسة عشر عاما مضت كما كمضت غيرها من السنين !

مينـاه : هيافاسيلى ، إهدأ ولا تحزن !...

فاسيلى : إهدا يافاسيلى ! هيه ؟ ! فاسيلى أنتهى . دب فيه عطن الفقر ، وأكله الصدأ ! يا أيتها الثروة ، اللعينة ، أين أنت ! ولمن تذهبين !

مينـاه : هل أقول لك شيئا ولا تغضب ولا تضربنى ؟

فاسيلى : هات ما عندك ، يا امرأة !

مينـاه : اليوم ، قرأت لى كاتينيتا الفنجال . ورأت فيه مالا قادما ..

فاسيلى : هيه ، حسنا ، وكيف رأت هذا المال ؟ يعنى من أين ؟

مـــــــينـاه : هيه ، إنها راته ، فحسب . . .
فــاسـيـلى : مال خالص ، أم مال من عمل .
مـــــــينـاه : من عمل طبعا !
فــاسـيـلى : بالله عليك ياأيتها المرأة ، دعينى من سخافاتك القذرة هذه . المـال الذى يأتى من عـمل فى فناجيل القـهوة يظهر فحسب ، وسرعان ما يتبخر ، ولا حتى رائحته تدركين ! لوكان هذا المـال ثـروة حقيقـية ، ثروة تأتى من حيث لا تدرى ، لشاطـرتك الاهتمـام . أجل ، ولكن . . هذه الدريخمات الهزيلة التى تأتى من العمل اليومى ، كلا . أنا لا أكترث بها . ولا أريد أن أعيرها اهتماما . كـلا . . تعالى هنا . وقولى لى أنت ، بالله هل تذكرين شكل الورقة فئة المائة ؟ هل تذكرين شكل الورقة فـئة الخمـسمائة ، ومالـون ورقة البنكنوت هذه بالضبط ؟ ولا أسالك بالطبع عن لون الورقة فئة الألف لأن هذه الورقة ستظهر فى الفنجال بنية اللون . .
مـــــــينـاه : وما أدرانى أنا بكل هذا . أقـول لك فحسب ما قـالته لى صديقتى . .
فــاسـيـلى : (يلوح بقبضته مشيرا إليها) تعرفين مـا هو مكتوب هنا ، على قبضة يدى ؟
مـــــــينـاه : ولكن . . .
فــاسـيـلى : كفـى الكلام عن هذه المرأة القذرة . وألا هشـمت لك وجهك . ولا تفتحى فمك بعد الآن بكلمة عن القهوة أو عن المقهى ، أو عن لعبى الورق ، إلى آخره ، إلى آخره ، أتفهمين . . . ؟

مــــــيـنـاه : هيه ، أمرك ، يافاسيلى . . .

فـــاســيـلى : وماذا بإمكانى أن أفـعل ، أيتها المرأة ، غـير أن ألعب الورق . هيه ؟ لماذا يفـتحون المـقاهى ، فى نظرك ، هيه ؟ أنهـم يفتحـونها من أجلنا ، نحن الـعاطلون . مثلما ينشئون السجون . فى السجون إما نحن وإما فى المقاهـى . أفهمت ؟ الأنذال ، هيـه ، الأنذال ! أهذا يوم أحد ، هذا الذى نقضيه . خبرينى ! وسوف يكون غدا الاثنين ، وعلى أن أعود إلى التـجوال فى الشوارع باحثا عن عمل ، عن قوت قومى . .

مــــــيـنـاه : هون عليك . قلت لـك ماذا يجـب أن يتم ، ولكنك لاتتركنى إن افعل ذلك .

فـــاســيـلى : ماذا قلت لى ؟ وماذا تقصدين ؟

مــــــيـنـاه : هيه . أعنى . . قلت لك أن أبحث أنا أيضاً عن عمل . . وسأجد . .

فـــاســيـلى : لا أريد أن أسمع مثل هذا الكلام . . .

مــــــيـنـاه : بالله ، لاتغضب يافاسيلى ! ولـماذا لا أخرج للعمل . سـوف يكون هذا أمرا طيـبا . سـوف أفـعل أنا دورى شيئا . سأخرج قليلا وأتحدث مع الأخريات .

فـــاســيـلى : اسكتى يا أمـرأة ! زوجـتى أنـا لن تخـرج للعـمل . أفهمت ؟ لن أعرضها لمعاكسات الرجال ! وهذه المئزرة التى تريدينهـا لا أريد أن أراها عليك . وإلامـزقـتهـا ومزقتك أربا أربا . . هل تسمعين ؟

مــــــيـنـاه : لماذا ، يا رجل . ألا تعجبك ؟

فـــاسـيـلى : وهل تعجبك أنت ؟ هل يعـجبك أن ينتصب ردفاك ، ويكونا نهباً لأنظـار الصعاليك ، وتمتد إليهـما الأصابع بالمعاكسات فى الأوتوبيسات ، هيه ؟ أهذا ما تقوله لك صديقتك العزيزة كاتيناكى ، هيه ؟ ! .

مـســيـنـاه : دعك الآن من مثل هذا الكلام . . .

فـــاسـيـلى : اخرسى ! (يصفع الهواء أمام وجهها) .

مـــيـنـاه : (تحتاط لنفسها وتحتمى منه) أمرك ، يارجلى ، أمرك ! هراء (يتفجر غيظا . ويشعل سيجارة) لم أنقلب أمرأة بعد ، حتى أتقـبل كلاما مـثل كلامك هذا . اتفـهمين ! لم تلدنى أمى ، لـعنه الله عليـهـا ، أمـرأة حـتى يلقى كلامك هذا عندى قبـولا ! وفرى أذن على نفسك هذه السخافات الـتى لا يرتضيها إلا من كان غير ذى ملة أو دين .

مـــيـنـاه : حسنا ، حسنا . . .

فـــاسـيـلى : آواه يا مـسكينة . لعنة الـله على الذل والاذلاء . لابد أن يحدث شئ . لابد أن أفكر فى شئ . لو اشـتغلت أجيرا لمت قبل أوانى . الأجر عن العمل ، أى عمل ، لايقيم الأود . . . !

مـــيـنـاه : أتريد أن أسال عما إذا كـانوا يريدون سواقا ! هل أقول لكاتينا ذلك ؟

فـــاسـيـلى : اغربى عن وجهى ! سـواق ، سواق ! دعك من وجع الدماغ هذا ! تـلك أعمال خـاملة ! لن أذهب إلى أى عمل من هذه الأعمال الرخمة . هل تفهمين ؟ سأظل

هنا حتى أجد صفقة ، خبطة ، هبرة كبيرة . سأعصر ذهنى ، حتى أجد الحيلة الظريفة ، الحيلة الضخمة ! ألا يقدم الجميع على مثل هذه الخبطات . ألا يفعل الجميع ذلك ؟ ألا يفعل كل من هم خارج السجون ذلك ؟ وأنا أيضاً سأفعل ذلك ! أيضا ! أن تكون خبطة أو لا تكون ! صفقات ، هبرات هذا ما يريد الجميع ! لحوم فاسدة يريدون ! سأخرج الموتى من قبورهم وأبيع لحمهم على أنه لحم ضأن معتبر . أكلات مفضلة ، وأسعار مرتفعة . هذا هو الحصان الرابح فى السباق. وجدت الورقة الرابحة ! لن أكون أول من يبيع الرمم . يريدون أساليب من شيكاغو فليكن ، سوف نقلد شيكاغو ونقلد عصاباتها ! يريدوننا على المقاهى؟ هيا فلنجلس أذن على المقاهى . وجدت أنا الورقة الرابحة ! خلاص !

مـيـنـاه : فاسيلى ! سيزجون بك فى غياهب السجون !

فـاسـيـلى : (يهجم عليها) إخرسى ، أيتها الفاجرة ، إخرسى . أقطعى لسانك ، يا امرأة . تريدين الاحتفال بالمناسبة السعيدة ، عيد زواجنا السعيد ؟ تريدين حلوى، هيه ؟ دعك من وجع الدماغ هذا ! خلاص ! إنتهى ! ولتذهبى إلى الشيطان ، أيتها القذرة . إغربى عن وجهى ! إغربى . . .

ستار

يورغوس سكورتيس

السلفة

الشخصيات

بروكوبيو
رئيس المستخدمين
أناستاسيو (الثانى)
أحد العاملين

(غرفة مكتب . بها ثلاثة مكاتب صغيرة . الموظفان الأول والثانى جالسان إلى مكتبيهما ومنهمكان فى العمل . بعد قليل يدخل السيد بروكوبيو)

بروكوبيو : (بلهجة ودود للغاية) صباح الخير ، يا أولاد . كيف الحال ؟

الثانى : (سيظل محتفظا على الدوام بموقف المتأنق) صباح الخير .

الأول : (عكر المزاج . أميل إلى الهجومية) صباح الخير .

بروكوبيو : (مستاء من اللهجة التى يحدثه بها كل من زميليه . يتوقف لحظة . ثم يمضى إلى مكتبه ناظر إليهما مستاء شاكيا) .

هل أستطيع أن أعرف لماذا تتحدثان إلىّ على هذا النحو ؟

الأول : ماذا تعنى بذلك ؟ وهل نتحدث إليك على نحو غير عادى ؟ ماذا تقول ؟

الثانى : لست أدرى ، بالله .

بروكوبيو : لهجتكما غريبة إلى حد ما ! بالطبع ، قد أكون قد خيل إلىّ ذلك .

الثانى : هيا ، يا سيد بروكوبيو . لا تعر الأمر كل هذا الاهتمام .

بروكوبيو : كلا . إنى أعيره كل الاهتمام ! .

الأول : قلت « صباح الخير » قلنا « صباح الخير » ولم نقل شيئا غير ذلك استتام الأمر الآن ؟

بروكوبيو : (يخفى استياءه) ربما أكون قد خيل إلى شئ آخر وإن كنت لا أعتقد ذلك . أفهم جيدا كيف يتحدثون إلى الآخرين ، وعلى الأخص هذه الآونة الأخيرة .

الأول : (ناظرا إلى الآخر نظرة ذات مغزى) ماذا يعنى ؟

بروكوبيو : تعرف جيدا ماذا أعنى !

الأول : (إلى الثانى) لعلك تفهم أنت ، يا بروسوبارخيس .

الثانى : هيا ، ياسيدى بروكوبيو ، هيا .. التبس عليك الأمر فحسب ، وأسأت الظن .

بروكوبيو : ياسيد تكتب كلمة واحدة ، لا أحد يستطيع أن يضحك علىّ ! أنا رئيسكم ! (إلى الأول) وأنت ، أسمع جيدا ، إنى أبقى جبينى ناصعا ، وأرفع رأسى على الدوام عاليا . فاهم ؟

الأول : ما الذى جعلك على هذا النحو ثائرا ؟ بالله قل لىّ . هل لدغك عقرب ، أم ذبابة ، أم نحلة ، أم ماذا ؟

بروكوبيو : أنتما لدغتمانى ! توشكان أن تفقدانى عقلى وصوابى .. هل لديكما شئ ضدى ؟ أريد أن أعرف ! هل آذيتكما فى شئ قط ؟ إذن ، إذن ، لماذا تعذبانى ؟ هيه ، لماذا ؟

الثانى : حاشى الله ، ياسيد بروكوبيو ، حاشى الله ..

بروكوبيو : (مواصلا) على الدوام ، تهمهمان بالكلام من وراء ظهرى ! بعد كل هذه السنين التى عملنا فيها سويا ، لم تتبينا حقيقتى ، لم تعرفانى إلا الآن ؟ بعد كل هذه السنين ! كنا على الدوام معا . كنا صحبة واحدة . معا ، نشرب القهوة معا ، نثرثر ونتناقش ، معا نضحك ، ومعا نبكى ، هنا وفى بيتى ، بل وفى بيتكما أيضا . كنا على الدوام صحبة طيبة ! والآن ، أبدو لكما مريبا ؟ تستبد بكما الشكوك فىّ ؟ هل كنت مجرما ، ملوث اليدين ، قذرا ؟

الـثــــــانـى : (إلى الأول) اعـتــذر له ، يا أخى . أرجـوك أطلب منه الصفح عما بدر منك نحوه ، ألا ترى كيف يسئ الظن بكل شئ ، ويأخذ كل كلام على محمل سئ . .

الأول : لم يبدر منى أى شئ يجعلنى أطلب عنه الصفح . هل تسـمع ؟ وعلى الأخص لم يبـدر منى أى شئ أعتـذر عنه إلى هذا الشخص بالذات !

بروكــوبيــو : أسمع ، ياصديقى . على أســوأ الفروض ، كل واحد منا ضـالع فى الأمر على نحـو أو آخر ، مـتورط فـيه قليلا أو كثيرا . هل تفهم ؟

الأول : اسمع . ليس كل واحـد . هيه ؟ كـلا ، الزم الحدود فى كـلامك . الأننا لا نجاهـرك بالقول ، تسـول لك نفـسك أن تدس بنـا فى ذات الـزكـيـبة القـذرة التى اندسست فيهـا ، وتضعنا فى ذات الزمرة التى تورطت معها ؟

بروكــوبيــو : ماذا عندكما من أتهام توجـهانه إلىّ ، هيه ؟ هيا إجلبا مـا لديكمـا . لماذا تحـتـفظان بما عنـدكمـا بينكمـا ، ولاتتـحـدثان عنه إلا من وراء ظـهـرى ! أنا نظيف ، طاهر اليدين! لو لم أكـن كذلك لما ترددوا فى طردى . فاهم ؟

الأول : نجحت بكل بساطه فى البقاء . هذا كل ما فى الأمر !

بروكــوبيــو : ماذا ؟ أنا ؟ أنا نجحت . . ماذا تقول ؟ أنت كذاب !

الـثــــانـى : ياسيـد بروكوبيـو ، أرجوك . . اهدأ (إلى الأول) كفى يابروسوبارخيس . كفى !

الأول : ألا ترى . . ألا ترى ماذا يقول ؟

بروكوبيو : كنت من الاوائل ، أنا ، تذكر ذلك جيدا . كنت من الأوائل الذين خوجوا إلى الشوارع وصرخوا ، وصرخنا بما فى أعماقنا .

الثاني : أريد أن أدلى بتعليق فى هذا المقام ، ياسيد بروكوبيو ، أننا لم نكن نعرف شيئا بالنسبة لكثيرين،ثم فجأة . . .

بروكوبيو : ثم ماذا ؟ ثم فجأة ماذا ؟

الثاني : هيه ، يعنى ، عرفنا عن البعض هذا وعن البعض الآخر ذلك .

بروكوبيو : هذا ما أقوله أنا أيضا . لماذا إذن وجدتما فى ضالتكما. من ذلك الداعر الذى يشيع هذه القاذورات؟ لماذا أضحى أنا الهدف الذى يتلقى سياط السنتكم السليطة ؟ أنا أيضا موظف مثلكما . وأنا أيضا كنت أحنى رأسى مثلما كنتما أنتما تحنيانه . ألأننى حصلت على سلفة ؟ سلفة صغيرة كى أبنى بدورى بيتا ! سنوات طوال سعيت لذلك ولهثت جريا وراءه ! أنتما شاهدان على أننى حتى قبل تعديل الأوضاع ، كنت أطلب سلفة ، ولكن بلاجدوى .

الأول : (بسخرية) تعديل الأوضاع ، هيه ؟

بروكوبيو : تعرف جيدا ماذا أعنى .

الأول : آه . . .

بروكوبيو : ولوكنت تذكر، أنت أيضا كنت تقول عنها آنذاك الحركة المباركة .

الأول : كان الأمر مختلفا آنذاك . . .

بروكـــوبيـــو : ولو لم أكن مخطئا ، أنت أيضا قدمت طلبا كى تحصل على سلفة نعم ، أم لا ؟

الأول : نعم ، ولكن طلبى أنا رفض .

بروكـــوبيـــو : ذلك لأنك أصغر منى سنا ! ذلك لأنى كنت أحـوج منك إلى سلفة . ثـم إنهم إذا كانوا قد رفـضوا طلبك أنت ، وأجـابونى أنـا إلـى طلبى فأى غـضاضـة فى ذلك ، هيه ؟

الأول : لا أعرف أنا . وكيف تريدنى أن أعرف ؟

بروكـــوبيـــو : هل يعنى ذلك أننى كنت مواليا لهم وأنت لا ؟

الأول : أقول لك دعنى وشأنى . . أتسمع ؟

بروكـــوبيـــو : كلا ، لن أدعك وشأنك ! أنكما قد أحلتما حياتى إلى جـحيم ! لم أعـد أستطـيع أن ، لم أعد أسـتطيع أن ألتـفت إلى عـملى ! لم أعد أسـتطيع أن أضـحك ! مـاعدت أسـتطيع أن أبنى بيـتى ! تسول لى نفـسى أن أهدمه من أساسه ! أصبحت على شفا الجنون !

الثـــانى : ياسـيـد بروكـوبيـو . . الا تـظـن أنك قـد تجـاوزت حدودك ، وتماديت ؟ وأنك تعذب نفسك سدى ! وأن كل ما تقوله هو من صنع خيالك فحسب ؟

بروكـــوبيـــو : أشكرك ياسيـد أناستاسـيو . تقف إلى جانبى حـقا ، وكنت لى نعم الـزميـل والصـديق ، ولكن نحن أمـام افتراءات ، أمام أحداث تفتعل لغرض سقيم . من هم أولئك الذين يـروجـون هـذه الافـتـــراءات ، ولمـاذا يروجونها ؟ لمـاذا ؟ لمـاذا هم إلى هذا الحد يكرهوننى ؟

الـثـــــانـى : هيا ، هيا دعك من ذلك . لاتعر الأمر اكتراثا .

بروكـوبيـو : لا أعير الأمر اكتراثًا ؟ ! وكـيف أستطيع ألا أعير الأمر اكتـراثا ، مادمت منذ اللحظة التى أعلـن فيهـا اسمى تمنيت ألا يكون لى على الإطلاق اسم ؟

الأول : ولمـاذا تأخذ الأمور بهـذه الحساسيـة . أقصد ، لوأنك نظيف اليـدين ، كـما تقـول ، فلماذا تعـذب نفسك هكذا ؟

بروكـوبيـو : لأننى حيى ! لأننى نظيـف ! واى نظيف طاهر اليدين أنا ! ولكنكما بالطبـع وجدتما الآن ضالتكما ، عـثرتما على الضحية . وجدتم الثور ، وانقضضتم عليه جميعا كى تدمروه تـدميرا . وأنت مـاذا فعلت ، ياسـيدى ؟ كنت تعمل ، أم أنك لم تكن تعمل ؟ تقـاضيت مبلغاً من هؤلاء أجل أم لا ؟ أجب .

الأول : لست فى صوابك ، على ما يبدو . كنت لا تريدنى أن أعمل ؟

بروكـوبيـو : كـلا ! كـان يجب أن تعـتـرض ، تـناوئ : لوتوقف الجميع عن العـمل ، لو لزم الجميع بيوتهـم حتى يوما واحدا ، كان هؤلاء الناس سوف يسقطون . ودعنى لا أقول لك أن الأموال التى كنت تتقاضاها كانت أموالهم هم .

الأول : أنت تخطئ فى ذلك . الأموال كانت للمواطنين دافعى الضرائب .

بروكـوبيـو : والسلفة ، إذن ، أموال من هى ، هيه ؟

الأول : تقصد المنح غير المردودة .

الثـــــانى : دعك من ذلك ، الآن .

بروكــوبيــو : لماذا هى منح . ألم أقف بدورى فى الطابور ؟ ألم أملأ أنا أيضا الطلبات اللازمة؟ألا أدفع الأقساط، أنا ؟ أم تظن أننى أخذت أكثر مما هو جائز؟هيه؟قل لى. الحق إنى أخذت أقل. أهى منح لأنها لم تعط لك ، هيه ؟ وماذا فعلت أنت كى تعتبر أنك عارضتهم فأبوا عليك السلفة ؟ هيه ؟ لا شئ . ظللت تعمل . واصلت الخضوع للجدد ، كما كنت تخضع للقدامى . لم يتغير موقفك بعد تعديل الأوضاع . هل تريدنى أن أقول لك لماذا ؟ لأنك خفت على وظيفتك الصغيرة .

الأول : أتعنى ، أنك أنت لم تكن تخاف .

بروكــوبيــو : ومن قال لك شيئا مثل هذا ؟ كنت أخاف طبعا ، بل وكنت أخاف كثيرا .. لم أقل قط أننى عارضتهم فى شئ . ولكننى أيضا ، لم أفعل شيئا يؤيدهم . كل ما فى الأمر أننى واصلت العمل هنا . مثلكما ، ومثل الآلاف من غيرنا لا أعرف ماذا سوف كنت أفعل لولم تكن لى أسرة أعولها . ولكننى فى مأزقى هذا ، محاصرا بالتزاماتى قبلها،لم أكن بقادر أن أفعل شيئا ! إلاّ أننى كنت فى قرارة نفسى على أى حال أرجو أن يرحلوا عنا بأسرع وقت ... وأنت تعرف ذلك . معا كا نتكلم . وفيما بيننا كنا نفضى ما فى سرائرنا .. أم

أنك تريد أن تقـول الآن أننا لم نكن نثـرثر بمثل هذا الكلام فيما بيننا ؟ وكيـف تستبيح إذن لنفسك الآن أن تلومنى ؟ كيف تنظران إلىّ مـثلما تنظران إلى أبرص ، يفر الناس منه ويتحاشونه؟تكلما . وفضلا عن ذلك ، فكونى لازلت هنا ، لم أطرد من وظيفتى ، ولم أركل خارجـا لهو دليل فى صـفى ولصالحى . يـعرف أهل القمة كل شئ . هم مطلعـون على مجريات الأمور . ولاتغيب عنهم بادرة ! يـعرفون أكثـر منكما كثـيرا من خـان ومن لزم الصـمت مضطرا . إن مـلف خدمـتى نظيف ، بل على غاية من النظافة . ناصع !

(يدق جرس التليفون ، على مكتبه ، يرفع السماعة)

آلو . . أجل . . قادم حالاً . . (يقفل السكة) ذاهب إلى رئيس المستخدمين . طلبت منه أجـازة قصيرة . . أريد أن أريح أعصابى . أن أهدأ قليلا .

الثـــــانـى : على الرغم من كل شئ ، أعتبرنا صديقين لك . . .

بروكـوبيـو : (يومئ له برأسه عزينا ويخرج)

(يظل الاثنان ساكتين فى العتمة . يأتى رئيس المسـتخدمين بمنضدته . يضعها فى الطرف الآخر من المسرح ، ويجلس . يمضى بروكوبيو إليه)

رئـيـــس المستـخدمين : تعال ، يا سيد بروكوبيو . . إجلس .

بروكـوبيـو : (بلهفة) كل شئ على ما يرام ؟

الــرئـيـــس : ياسيد بروكوبيو . . .

بروكـــوبيـــو : إننى بحاجة إليها . . . أرجوك أن تفهم ذلك . لم أعد أحتمل أكثر من ذلك . سأفقد صوابى !

الـــرئـــيـــس : ياسيد بروكـوبيو . . يؤسفنى ذلك ، لدى أخبـار غير سارة .

بروكـــوبيـــو : (غير فاهم . واجما) غير سارة ؟

الـــرئـــيـــس : طبيعية ، أجل ، ولكن غير سارة . . تلقينا أمرا بإنهاء خدمتك .

بروكـــوبيـــو : (مبحوح الصوت . وعلى وشك الانهيار) خدمتى ؟ خدمتى ؟ أنا؟ هـذا غيـر ممكـن ! مستـحيل ! لابد أن ثمـة لبسـا فى الأمر . سيدى رئيس المستخدمين، لابد أنك مخطئ . لم أحـصل سوى علـى سلفة بعـد أن استـوفـيت كل الإجراءات المـطلوبة . . سلفة من أجل بيـتى ! أفنيت عمرا بأكمله من أجل هذا البيت الملعون !

الـــرئـــيـــس : يؤسـفنى ذلـــك ، لكن بصـراحة . . القـرار صـدر نهائيا . .

بروكـــوبيـــو : (بغضب مكتوم وشكوى) وأنت ، مـاذا قلت ، ياسيـدى رئيس المستخدمين ؟ ألم تدافع عنى ، ياسيدى ؟

الـــرئـــيـــس : وماذا أقول ؟ أنت تفهم . . .

بروكـــوبيـــو : (يتفجر) وأنت ماذا قلت لهم ياسيدى ؟ ألم تقل لهم أن الحصـول على سلفة لايعنى بذاته شيـئا ؟ ألم تقل لهم إن مثل هذه السلفة حصل عليهـا كثيرون ؟ أنت نفسك حصلت على مثل هذه السلفة .

الرئيس : (مرتعبا) هس . هس . من فضلك لاتجأر بالصياح . أخفت صوتك !

بروكوبيو : ولكن اسمك أنت لم يدرجوه ! لم يعثروا عليك . أنت ، لم يتوصلوا إليك ، قط ! كيف حدث ذلك ياسيدى رئيس المستخدمين ؟ كيف نجحت فى إخفاء نفسك ، فلم يظهر أسمك فى أى قائمة من القوائم ؟

الرئيس : ياسيد بروكوبيو ! أنك تهدمنى بذلك . تقضى على !

(يسقط بروكوبيو على أحد المقاعد منهارا)

(تعلو الاضاءة فى الناحية الأخرى فيبين الأول والثانى)

الثانى : أتعتقد أنهم سيفصلونه ؟

الأول : ومن أدرانى أنا ؟ إنى اشفق عليه ، المسكين . .

الثانى : آه ، بالطبع !

الأول : وددت أن أعرف من هو النذل الذى يروج تلك الأقاويل ضده . أنا أردد فحسب ما أسمعه !

الثانى : دب العطن فينا كلنا . المجتمع فسد . قضى الأمر . انتهى . . .

الأول : خذ هذه الأوراق للإمضاء .

الثانى : حاضر .

(يأخذ معه بعض الأوراق)

(عود إلى رئيس المستخدمين ، الآن)

بروكوبيو : لاتخف ، ياسيدى رئيس المستخدمين . لن أقول شيئا لأحد أبدا . ثم من الذى سوف يصدقنى ، حتى لوفتحت فمى بكلمة . لازال بإمكانك أن تقاضينى بتهمة التشهير ! هل أنجزت بناء البيت ؟

الـرئـيـس : تقـريبـا . أزوج ابنتى بعـد بضـعـة أيام . إنه هدية زواجها . أرجوك أن تفهم ذلك .

بروكـوبيـو : اطمئن ، ياسيدى . إنى فاهم . لدى أنا ثلاث بنات .

الـرئـيـس : انى آسف ، حـقا . لـيس باستطاعـتى أن أفـعل لك شيئا. كثرت الشـائعات ، وألقت بظلالها على الوظيفة . فاهم ؟

(يقترب منهما الثانى)

الـرئـيـس : (مغيرا لهجته) لابد أن تفهم ، ياسيد بروكوبيو . البعض يشقـون فى السجون وآخـرون يبنون بيوتا ! (إلى الثانى) نعم ، ياسيد نيكاندريه .

الـثـانـى : بعض الأوراق للإمضاء . .

الـرئـيـس : هات ما عندك (يوقع . يهم الثانى بالانصراف) هيا ، ياسـيد نيكاندريه . انتظر .

الـثـانـى : تحت أمرك . .

الـرئـيـس : لو لم أكن مخطئـا ، سيادتـك هو التالى فى الأقدمـية بعد السيد بروكوبيو .

الـثـانـى : أجل . بالطبع .

الـرئـيـس : اعتبارا من اليوم ، ستحل فى رياسة القسم محل السيد بروكوبيو بعد أن انتهت خدمته . . .

الـثـانـى : شكرا ! (إلى بروكبيو) بصـراحة ، يؤسـفنى ذلك ، ياصديقى ، غاية الأسف !

(يربت على كتفه . يمسك بروكوبيو بيـده ، وهو على وشك البكاء . يمضى رئيس المستخدمين ينقر بأصبعه على مكتبه بعصبية . وقد اكتسى وجهه بمسحة من القسوة والصرامة) .

ستار

يورغوس سكورتيس

الصراع

الشخصيات

- الأب
- الأم
- الابن

(يجلس الأب فى مقعده ، يدخن بعصبية .. تأتى الأم من الغرفة الداخلية وقد بدا عليها الحزن الشديد ...

وهى من النوع المطواع سلس القياد من النساء .. تحدق فى الأب) .

الأب : ماذا يفعل ؟ . . .

الأم : يجهز حقيبته (برهة صمت .. يستدير الأب فى جلسته جانبا) ألن تقول له شيئا ؟ .

الأب : ماعاد عندى ماأقوله له . . ولاتنزعجى . . . سوف يعود . .

الابـــــن : (ما ان يدخل ، ولعله يبحث عن شئ) لن أعود ، يا أبى .

الأب : (لايكلمه . يشيح بوجهه عنه غاضبا) .

الأم : هل تبحث عن شئ ؟ .

الابـــــن : عن بعض الأوراق . .

الأب : يبحث عن حثالاته .

الأم : دعك الآن من هذا ! ما حدث حدث . . لايجب أن . . . نفترق متخاصمين . (تحبس دموعها)

الأب : متخاصمين؟ . . هاه . . لاياشيخة ! وما الجدوى من أن أتشاجر معه فضلاً عن ذلك مثل هذه الأمور تحدث . . . نحن معتادون عليها ! نعرفها جيدا ، ونتوقعها ! ثم لا نلبث أن نغتفرها !

الابـــــن : ما الذى تغتفرونه ! . . . صراع الطبقات ؟ .

الأب : (غاضبا) هاه . . تفضلى ! نفس الكلمات على لسانه دائما ! يلوك الدرس المعتاد !

الابـــــن : وأنتم تفعلون المثل أيضا .

الأب : صراع الطبقات ! هاه . . لم يخرج بعد من البيضة ، ويعرف هو أيضا صراع الطبقات ، هاه . يا أيها المسكين ! أخرج أولا إلى الحياة ، وأدخل فى صراعاتها ثم تعال حدثنا عن صراع الطبقات .

الابـــــن : (يواصل الكلام، وهو منصرف إلى البحث بفتور) العديد من السنين أتصارع .. أتصارع معك أنت .

الأب : (منفعلا) هل تسمعينه ؟ يتصارع معى . هذا ما يقوله . ومن يكون هذا الذى يتصارع معى ؟ ابنى ! ابنى أنا ثم تلقين اللوم على . هيه ؟

الأم : اخفض صوتك ، لاتصح !

الأب : هل أنا الملوم فى شئ ، إذن ؟

الابـــــن : ملوم أنت مادمت تؤيد وتشجع بالقوة نظاما اجتماعياً جائراً وغير إنسانى .

الأب : هاه ، حسنا ، إذن ! هذا النظام هو الذى جعل منك ابنا لمدير مصنع به ألف عامل ، وليس إبنا لواحد من هؤلاء الألف ! ويتيح لك هذا النظام الآن أن تقول «إنى أرحل» وتستطيع أن ترحل . لأنك لوكنت إبنا لواحد من أولئك الذين تدافع عنهم ، لما استطعت أن تتسكع هنا وهناك ! كنت ستعمل مثل كلب ! أم أنك تعتقد أنهم فى ظل أنظمة أخرى كانوا سيسمحون لك بالحركة والتنقل كما تشاء . هاه ! أيها الولد الطائش .. سوف كانوا يذهبون بك إلى منفى بعيد !

(يعود الابن إلى الغرفة الداخلية)

الأم : أرجوك ، ياخريستو .. إهدأ قليلا ! تمالك أعصابك . !

الأب : إنى متمالك لأعصابى ، يا أمرأة . متمالك لاعصابى لأنى رجل هادئ . وأنا هادئ لأن ضميرى مرتاح . لست الملوم ، بل هو . أنا السيد فى هذا البيت ، ومن اختلف مع السيد ، يجب أن يرحل !

الابـــــــن : (يدخل) أهذه هي الاخلاق التي علمها لك القساوسة ؟
الأب : كفاك تجديفا !
الأم : لاتتحدث إليه هكذا ، يا بني . أنه أبوك !
الابـــــــن : وماذا يعني هذا ، إلهي هو ؟ وأنا الخـاطئ الذي قضم قضمة من تفاحـة المعرفة ! كفى ، يا أماه . . كـفى ، يا أماه (يتصرف إلى الداخل) .
الأب : (يواسيها ، وقـد طـفـرت الدموع من عينيها) لاتبكي . . صدقيني إذ أقول لك : إنه عـاجـلا أو آجلا سيعود ، وسأصفح عنه انا . .
الابـــــــن : (من الداخل ، مشاغبا) هاه ! وددت أن أعرف ماذا ستفعلون عندمـا لن يصـبح لكم فـرصـة الصفح والغـفـران ، ستتهاوون إذن مثل قلعة من ورق !
الأب : سـيكون بإمكاننـا على الدوام أن نصـفح . . ! دهورا الآن بامكاننا ذلـك ، وسيـظل الحـال على هذا المنوال طويلا ! أجل ! ونـحن نصــفح عنكم لأنكـم لازلتم تنقصكم المعرفة . سيـأتي يوما تقول فيه بدورك « كنت أنا بدوري مارقا » سيـروق لك أن تتذكر ذلك . ولكن سيروق لك أكثر أنك مـا عدت كذلك . ذكرى ، مثل كل الذكريات الأخـرى ، ستدخل الراحة إلى مـعدتك المتلئـة ! ولكن كي تقول ذلك أنت بحـاجة أولا إلى غفراننا ! ونحن نعرف كيف نغفر .
الابـــــــن : (من الداخل) طوبى للنادمين المسـتغفـرين ، هيه ؟ ياللك من رجل ظريف .

الأب : إخرس !

الابـــــن : (يأتى إلى الباب الموارب) عنـدما أعطيك فـرصة أن تصفح عني ، عنـدئذ فـحسب يمكنـك أن تـأمـرنى . أما فى الوقت الحاضر فاحتفظ بأوامرك لزوجتك وللعاملين فى خـدمـتك ! . . إلى أن يمكنهم بدورهـم أن يسـدوا فمك ، حتى تستريح !

(ينصرف)

الأم : بيترو!

الأب : (تتفجر اعصابه) أتسمعين هذا الولد قليل الأدب ، هيه ؟ يدعو من أجل خرابى! يدعو من أجل موت أبيه! من؟ ابنى أنا ، ابنى !

الأم : (متـعـاطفه معه) لاترهق أعـصابك ، إلى هذا الحـد ! لاتحمل الأمـور أكثر مما تحتـمل ! أنه يقول هذا الكلام فحسب ، لكنه لايصدق ما يقول . أنه يحبك . بيترو يحبك . لازال ولدا صغيرا .

الأب : أجل . لازال ولدا صـغـيـرا . . خـرج فى مظاهرة . سامـحناه . خرج في مظاهـرة أخرى قبلنا الأمـر على مضض . قبضت عليه الشـرطه،عملوا اعتبارا لاسمى ، أفرجـوا عنه . انضم إلى منظمة ، قلنـا « معلهش» . انضم إلى منظمـة أخرى قلنا لازال صـغـيـرا . أضحى خارجا على النظام ، قلنا إنه ولد صـغير . ولكن إلى مـتى ؟ لايسـتطيع هذا الـفتـى أن يمضى يسب رفـاقى ومعاونى . إنه على أى حال ابنى ! ابـن المـدير ! هـذا

أمر غير مقبول ! غيرمسموح لى أن أتركه يفعل ذلك ! تجاوز كل الحدود ! لا أستطيع أن أتركه يزلزل الأرض من تحت قدمى . إنى ملتزم ! طفح بى الكيل ! شقينا جميعا من أجل هذا البلدا ضحينا بشبابنا وبذلنا دماءنا! فى سبيل هذا البلد ، الذى لا يمكننا أن نتركه تحت رحمة هذا الشباب المارق الطائش ! من واجبنا أن نهزمهم ، وأن نرديهم صرعى !

الأم : خل عنك ذلك ! هيا ، اسكت ، حتى لايسمعك !

الأب : وماذا لوسمعنى ، يعنى ؟

الأم : دعه . . ليس من اللائق أن تتبادلا مثل هذا الكلام المرير . سوف تندمان !

الأب : أعرف ذلك ! أعرف أنى سأندم ، ولكن ذلك سوف يكون من أجل مصلحته . من أجل مصلحة الجميع ! (يصبح موجها خطابه إلى الداخل) من أجل من شقيت أنا ! من أجل من حاربت ! من أجله هو !

الابن : (قادما) خطأ ! فى مجتمع الأنانية هذا الذى وصلتم إليه، لا أحد يشقى من أجل غيره ، قاتلاً أو مقتولا كنت ، فمن أجل نفسك . كل يهمه نفسه فحسب .

الأب : كلا ، يا سيد . كلا ! لنا قيم تربط بيننا ! لنا مبادئ توحد بيننا ! نحن أسرة واحدة !

الابن : (بسخرية) أسرة . . هاه .

الأب : (إلى الأم) قولى له أن يكف عن ذلك ! قولى له أن يسكت !

الأم : هيا ، يابنى .. أتوسل إليك .

الابـــــن : هيه، يا أماه، جعلت من نفسك جارية له عمرك كله .

الأب : أمك ، سيدة بارة !

الأم : كفا عن ذلك !

الابـــــن : طبيعى أن يجد السيد أتباعا بررة يسبحون بحمده .

الأم : اسكت .

الأب : الخطأ خطاه هو !

الابـــــن : منذ متى كففت عن أن تحب أمى ؟

الأم : أنا لا أسمح لك !

الابـــــن : تلعب فى مكتبك مع الصبايا وتأتى إلى زوجتك أخر النهار فاترا ، مدعيا الإجهاد ، الوعكة ، وتتحدث بعد ذلك عن الأسرة . عن حياة أسرية تتحدث ......

الأم : اسكت !

الابـــــن : أتعرف ماذا قالت لى ماريا ، الآنسة ماريا التى تعمل طرفك بالمكتب ؟ صاحبتها أنا بدورى . لم أتعد على ما لك من حقوق السيادة ، على أى حال . أتعرف ، إذن ماذا قالت ...

الأم : لاأريد أن أسمع ! .

الأب : (أسقط فى يده من فرط المفاجأة) لاتعمد إلى المزيد !

الابـــــن : (بغير رحمة) هذا أمر أم أنه استسلام واعتراف بالهزيمة ؟

الأب : (لا يتكلم ويحاول أن يشعل سيجارته مرتعشا ... تبكى الأم . يلقى الابن عليهما نظرة انتظار برهة . ثم ينسحب إلى الغرفة الداخلية . يشعل الأب سيجارته) أنه قادر أن يقول وأن يأتى أشد الاقوال

والأفعال بذاءة وقـذارة . . وذلك كي يصدمني . ابني للأسف يـحـاربنـي ! لـكنني لن أتركـه ! وأنت ، حذاري ! لاتصدقي أي شئ قاله ! أو يزمع أن يقوله . تسلحي بالثقة! . . لاتصغي إليه ،ولاتصدقي شيئا ! .

الأم : (تبكي متشنجة) لا أريد أن أسمع شيئا ! لا أريد . كفي، كـفي ، أوقـفـوا هذه الحـرب . كـفي ! لا أريد . . لا أستطيع . . لا أستطيع !

(توشك على الإغماء يمسك بها الأب مرتعبا) .

الأب : مارغاريتا ! كلا ! أستحلفك بالله ، تماسكي ! انفضي عنك الانفـعالات العنيـفـة ! إنه يكذب . . أفيـقي ، يامارغاريتا ، أفيقي . سـيدمرنا هذا الولد تدميرا ! . . (ينادي ابنه) أحضر قليلا من المـاء ! أمك تموت ياولد !

الابـــــن : (يجري خارجا إليها . ويقترب منها بهدوء) أماه ، هيا اهدئي .

الأب : سوف تقضي عليها ، أيها القاتل !

الابـــــن : قتلتها أنت منذ أمد طويل من قـبل . أجهزت عليها ، بصـفقـاتك ، ومكاسبك ، ومنافـساتك القـذرة ، مع سائر الأنذال من طغمتك الخسيسة !

الأب : أحـضر قليـلا من المـاء ، ياولد ! (يمضي الابن إلى الداخل) تعـالي ، يا حبـيـبـتي ، تعالي . أحـبك أكثـر من أي شـخص في الدنيا . . أنت زوجـتي ، وأنا زوجك ، حـتى الموت ! نحـن عندنا مـبـادئ . لن نتـنكر لهـا ونهدمها ، مثلهم ، ولن نتركهم يهدمونها . . .

الابـــــن : (يدخل ممسكا كوبا من الماء) قضى الأمر الآن . حطمتم كل شئ ورحتم تلملمون الحطام وتلصقونه بصوالح الأنانية !

الأب : (يناول الأم جرعه من الماء) نحن نفعل ذلك ؟

الابـــــن : أجل بكذبكم ، وأخلاقياتكم المصطنعة ، وشعاراتكم المزيفة وتدينكم المخضب بالدماء . ! وثرواتكم العطنة !

الأب : (وقد افاقت الأم) بغير مال ، لا وجود لك ! هذا أول شئ كان يجب أن تعلمه إياكم الإيديولوجية التى تتشدقون بها !

الابـــــن : لعلمك ، هذا صحيح ، ولكن المال الذى نقدره نحن ليس ذلك الذى تعنيه أنت ، وليسَ ذلك المستعبد إلى الأبد .

الأب : أنكم مضحكون . لا تستطيعون أن تعرفوا كم نحن أقوياء بثرواتنا ! إذا أوصدت الأبواب فى وجوهنا ، تسللنا من النوافذ وجعلنا منها أرحب الأبواب ، فى النهاية . أما أنتم ، فقد رحتم تتعلقون بالمعجزات . يالكم من مضحكين حقا ، ماديون واقعيون أنتم ، أو هكذا عن أنفسكم تزعمون ، ثم لا تلبثون أن تتشبثوا بأهداب المعجزات !

الابـــــن : نؤمن المعجزات التى تصنعها الأيدى التى تعمل حرة طليقة من القيود ، بلا سياط تهوى على الظهور ، ولا

مقـود تقـاد منه مثل الجـياد ! ولولم تكن ضـيق الأفق متـطرفا إلى هذا الحـد ، لكنت استطعت أن تتـبين أن المعجزة شرقا وغربا تتحقق .

الأب : (متذمرا) أنت مـجنون ! ملتو ! خـدعـتم جميعـا ! الوحيدون الذين لن يخـدعوكم هم نحن ! وذلك لأننا أنجبناكم . نحن صنعنا هـذا العالم . نـحن علمناكم كيف تـفكرون ، وبالتالى نحن أيضـا الذين أعطيناكم الأسلحة التى تحاربوننا بها ! لكننا لن نترككم تحاربوننا إلا بالحـد الذى يحـقق مـخططاتنا . نـحن فى نظركم نضع فى أيديكم وأقدامكـم أغلالا ، ولكننا فى الواقع لن نخون أبدا أحـلامكم مثلما يفـعل الآخرون . نحن نحبكم . نحن بحاجة إليكم !

الابـــــن : تفخم كثيرا من طبقتك ، وتعتز بانتمائك إليها .

الأب : إنهـا طبـقـتك أنت أيـضـا (إلى الأم) لاتقلقى ، يا مـارغـاريتـا . . الزمى الهـدوء . إننا نتـبـادل أطراف الحديث ، فحسب .

الابـــــن : (يرمقه بسخرية) على أى حال ، إننى راحل .

(ينصرف إلى الغرفة الداخليـة . تضطرب الأم . كما يضطرب الأب بدوره . أضحيا الآن يواجهان خـاتمة المصير . يحوطهـا الأب بذراعه ويأخـذها فى حضنه ، وقد ثبت أنظاره على فتحة الباب الموارب)

الأم : خريستو . . ما عدت أستطيع . . سوف يرحل !

الأب : الزمى الهدوء .

الأم : أفعل شيئا .. أطلب منه أن يغفر لك .. إنه ابنك على أى حال. وليس فى أن تطلب منه ذلك ما يشين !

الأب : (يواصل التطلع إلى انفراجة الباب الموارب وقد استقر عزمه على قرار)

(يقبل الابن حاملا حقيبته . لحظات يتبادل فيها الجميع الانظار واجمين . وفجأة ، تمضى الأم لتحتضن الابن ، إلا أن الأب يصدها عن ذلك بصرامة)

الأب : مارغاريتا !

(تتوقف الأم فى منتصف الطريق ، مرتبكة ، لا تدرى ماذا تفعل)

الابـــــن : استبدادك ليس له حدود !

(يخطو خطوتين ، ويأخذ أمه التى تنخرط فى البكاء بين أحضانه)

لو كان باستطاعتى لأخذتك معى، وأخرجتك من هنا .

الأب : (وقد استقر عزمه على الهجوم) ولماذا لاتستطيع ؟

الأم : خريستو !

الأب : لماذا لا تستطيع . لنفترض أننى أسمح لها بالرحيل .. أين ستذهب بها .. ماذا لديك كى تعطيه لها ؟

الابـــــن : سوف يكون بإمكانها على الأقل أن تستنشق هواء نقيا ! سوف يكون بإمكانها أن تحيا فى النهاية !

الأب : هواء ، إذن ! هذا ما لديك كى تعطيه لأمك . هواء مدقوقا ! أما هى فسوف تحيا عاملة فى مصنع أو خادمة تشتغل فى البيوت ، وذلك كى يتمكن ابنها المرفه الغندور أن يظل طالبا يتناقش فى أمور السياسة ! لأنك بالطبع قد تكون منحازا إلى الغلابة الكادحين ، ولكن ليس باستطاعتك أن تضحى تماما منهم . لاتستطيع أن تكون بدورك غلبانا كادحا ، لأنه من ذا الذى سيقيم

حينذاك أودك ؟ من ذا الذى سيوفر لك الدعم كى تثرثر بآرائك فى الهجوم على طبقتنا ، ويساندك ماديا فى تجريحنا ؟ هيه ؟ هذا ما كان بمقدورك إذن أن تقدمه لأمك لو انك أخذتها من هنا ! قليل من الهواء النقى، هيه ! ثم بعد ذلك تتبجح وتسألنى ولم لا أستطيع ؟ سوف أجيبك أنا لماذا لا أستطيع . لأنك خارج هذا البيت ، لاوجود لك . لامال لك ، لاوجود لك !

الابـــــن : اطمئن ، سوف يكون لى بغيرك وجود . لاتشغل بالك سوف يكون لى وجود ، وأفضل من وجودك بكثير أيضا !

الأب : أين ؟ومع من ؟ مع المفلسين ، عميان القلب ؟ وإلى متى ، تظن أن وجودك هذا سيستمر ؟ هل تريدنى أن أقول لك أنا من جديد إلى متى ؟ إلى أن تنفذ نقودك ، التى هى نقودى أنا .

الابـــــن : إنى ابصق على نقودك . فاهم ؟ إنى راحل .

الأب : كلا . لن ترحل ، لم يحن وقت رحيلك بعد ! يجب إن تجيبنى أولا . . يجب أن تخبرنى من ذا الذى قال لك إن أمك إلى جوارى لاتحيا . . أو أنها لاتحب أن تحيا . . . وأن حياتها هنا فراغ . . وأن الملل يطبق على خناقها . أجبنى ! إن حياتها معى على مايرام . والآن إسألها ! ستجيب عليك بنفسها ! أجيبيه ، يا مارغاريتا ! أريد أن أسمع الإجابة ! هل سترحلين من

جانبى ، كى تذهبى معه؟هل سترحلين أبدا ؟ أجيبى !

الأم : (وقد أسقط فى يدها . ولاترى لنفسها مخرجا) كلا . .

الابـــــن : أيها الدكتاتور المستبد !

الأب : أنت مخطئ . أنا مجرد سيد أمسك بالزمام . وددت أن أعرف الآن من أنت ؟

الابـــــن : كف عن هذه اللعبة الغبية .

الأب : أغلب الظن أنك مجرد واحد من جيل المشاغبين الساخطين . وهؤلاء لايستحقون منا سوى السخرية والازدراء . ها ، ها .

الابـــــن : الزم حدودك . حذار ! (تتدخل الأم بينهما)

الأب : دعك منه يامارغاريتا. أنا لا أخشاه ! لست انت من أخشاه . لستم أنتم من نخشى ! لقد خدعناكم ، وغررنا بكم . ألصقنا بكم صفة البطولة المزيفة ، وانتهينا منكم ! انظر إلى أنا . كنت رجلا من رجال الصناعة ولازلت.وأجزم لك أننى الآن أكسب أضعاف ما كنت أكسبه من قبل، وفى العام القادم،سيصل عدد عمالى إلى ثلاثة آلاف عامل فى المصنع الجديد ، أما أنتم ، فما الذى حققتموه ؟ ما الذى تعتقد أنت أنكم حققتموه ، ضدنا ؟ !

الابـــــن : تعرف جيدا ماذا باستطاعتنا أن نفعل. تعرفون جيدا ماذا باستطاعتنا أن نفعل،وترتعد لهذه المعرفة اوصالكم !

الأب : هذا خطأ ! إننا لانخشاكم أنتم . يامعشر الشباب

الممتلئ بالحماسة ، يا من تتشدقون بالكثير من الكلام الأجوف ،بل نخشى ماردا ضخما لازال لحسن الحظ ، حتى الآن فى سباته غارقا .

الابـــــن : يوما ما ، سوف يصحو ذلك الوحش الكاسر ! وهذا اليوم أيضا ليس ببعيد ، وعندئذ سوف يفتح فاه ويبتلعكم .

الأب : وهل أنتم الذين ستوقظونه ؟ أنتم عاجزون حتى أن تحرروا أنفسكم ، فهل ستحررون تلك الجموع الضخمة؟ أنتم إنما تعملون لحسابنا ! تنتزعون المبادءة من هؤلاء وتسلمونها إلينا !

الابـــــن : حسنا .. سنرى ذلك .. لاشئ انتهى بعد . المعركة مستمرة ! (يحمل حقيبته ، ويهم بالرحيل) .

الأب : أما عن ماريا . (يتمهل الابن مصغيا) الآنسة ماريا ، فأريد أن أقول لك إننى أنا الذى دفعتها إلى أن تصادقك ، بل وأيضا نقدتها أجرا على ذلك . كلفتنى ماريا خمسة آلاف دراخمة .

الابـــــن : يالها من عاهرة !

الأب : أما أنا فما كنت أسميها عاهره قط .. إنها بالنسبة لى عميلة أدت صفقه ، عهدت اليها بمهمه فنفذتها ، وقبضت الثمن .

الابـــــن : تفكير خسيس! طوال حياتك تعودت على الصفقات ، على البيع والشراء ، أن تباع للغير وتشترى !

الأب : هذا قانون السوق . نحن نحيا فى سوق ضخم ! عرض وطلب ! حتى أنتم يمكن أن نشتريكم ونستخدمكم !

الابن : هذه إملاءات الفاشية القبيحة . (يهم بالانصراف من جديد) .

الأب : ألن تسألنى لماذا أنقدتها أجرا ؟ ألا تريد أن تعرف ؟ بكل سرور ، سوف أخبرك فعلت ذلك ، لأننى لاحظت أنك تتعثر فى علاقتك مع النساء . لديك عقدة نقص منهن مثل كل رفاقك الذين استبدت بهم المثالية المفرطة . ووأدت فى أعماقهم القدرة على التسيد . استأجرتها إذن ، كى تتلاقى معك . لأننى أردت ابنى أن يكون رجلا ، لايخشى النساء ، ولايضعف أمامهن . استخدمتها إذن ودفعت لها أجرا كى توقظ فيك رجوله راعنى أنها أضحت عنك ، مثلما عن ابناء جيلك ، غائبة ! أردت بذلك أن تكون سيدا مطاعا لا سلس القياد مسودا !

الابن : (مزمجرا ، يضرب الأرض بحقيبته تمسك الأم به)
خريستو ! كف عن ذلك ، ياخريستو ! .

الأب : ما الذى أثارك من كلامى وعكر صفو مزاجك ؟ ألم تكن أنت نفسك تقول لى ذات مرة عن أحد رفاقك إنه كان ينعتكم بالعجز وانعدام الفعالية ؟ ألم تقل لى ذلك أنت نفسك ؟ قلت لى أنت ذلك ، ورثيت لك ، دون أن أنبس بكلمة . بئس المثالية المفرطة . إنها تفضى إلى العجز وعدم القدرة على التعامل مع الواقع . وقد

أردت أن أعيـدك إلى الواقع الذى أنت منه ، أن أبعث فيك الإحـساس بأن تسود وتتـسيـد . ولكن إلى متى أنفخ فى قربة مقطوعـة ؟ إلى متى ؟ تريد أن ترحل ، هيه ؟ ارحل إذن ، ولكنك لن تجد من يدفع من أجلك أجرا لماريا أخرى !

الابـــــن : هذه خسـة منك ، وقذارة ! اعـتدت البيع والشراء ، اعتدت مثل نخاس حتى تجارة الناس والأعراض .

الأب : أخـبرتنى مـاريا بكل شئ ! ولهـذا فقـد أجزلت لهـا الأجر! قـالت لى إنك تعانى من كوابيس ومـخاوف ! ممتلئ أنت بالعقد النفسـية . وتعانى إزاء النساء أزمات من الرهبة الشديدة !

الابـــــن : أيهـا الخـسـيس ، أنت الذى جـعلـنى هكذا ! أنت ومجتـمعك الذى يتاجر بـالأعراض مجتمع مـصاصى الدماء . أيها الأوغاد الذين تنهشون البشر !

الأب : بالطبع نحن ! نحرمكم وأنتم صغـار من رغباتكم حتى نضمن أن تكونوا فيـما بعد طوع بناننا . أجل ، نحن الذين صنعناكم ، ولدينا المقدرة أن نجـعل منكم عجينة طيعة . لستم أنتـم بأى حال الذين تصنعوننا . بإمكاننا أن نكسركم كأعواد حطب جـافة ، وإلى الجحيم نلقى بكم. أنتم أقزام، صـغار النفوس، شكلا ومضـمونا . يجب أن تفهم ذلك ! وفى لحظة يزعق القزم الضئيل ، وماذا تكون النتيجـة ؟ ذات يوم تكونون حزبا واحدا ، ثم تتكاثر أحزابكم . قد تضحون ثلاثين حزباً ، ولكن

مـاذا تكون النتـيجـة ؟ يتـعارك كل طغـمـة منكم مع الأخـرى ، وبينما تبـادون تمضى مـسيـرتنا نحن عبـر التاريخ ، أحرارا، متـحدين ، تسودنا السكينة . نعمل التحطيم فـيكم ، ونهد قواكم ! ومـاذا تظن ، أثمرت هنا وهناك تحركـاتكم ؟ تحقق النصر للأقـزام ، لهؤلاء الصغار ! هيا ، أذن ، إرحل ، اذهب لتجد عزاء لدى هؤلاء الاقزام ضئيلى القدر !

الابـــــن : (وقد رفع شيئا ليضربه به) اخرس !

الأم : خريستو ، أستحلفك بالله ! الرحمة !

الأب : الرحمة ليست لأجل الحمقى ، يامارغاريتا . دعك من طلب الرحمة لمثل هذا الولد العاق ! (إلى الابن) اضربنى إذن ! من ورائى تقف آلاف القـبـضات الحـديدية التى ستكسر ذراعيك ! هاه ! اذهب إلى طغمة الأشرار التى تنتمى إليـها . أحد رجالـى ، كان يتعقـبك ، ويعرف تحركاتك وسكناتك كلها . أعرف ما الذى كان يجعلك تهجر كل طغـمة تنضم إليها . ميل إلى الاستـقلالية ! رغبة فى تأكيد الذات ، تمسـك بوجهة نظرتك الخاصة للأمور ، ولكـن على الدوام كانت وجهـة نظرك تلك مجلوبة إليك من آخـر أكثر اقتـدارا منك ، فإذا أفلت منها فإلى وجهه نظر أخـرى مجلوبة يدورها من غيرك ، وهكذا ، وهكذا ، وهكذا ! قـرأت أنا أيضا أوراقك ! كنت آخذها منـك خلسة وأقرأها ، كى أعـرف أحوال عـدوى ! أنت لاتتكلم ، هيـه ؟ هيـا ، ارحل إذن . وكون لنفـسك طغمة خاصـة بك ، أنت أيضا . إرفع

علمك ، واخرج لتخطب عبر مكبرات الصوت فى جماهير الشعب اليونانى!اهيه ! . . ولكن الشعب سوف يصرخ فيك « لانريدك. لانعرفك » لأن الجموع ، الملايين ، الآخرين ، الجماهير ، لاتأبه بك ، لاتعرفك . أنت بالنسبة لهم نكرة . الجماهير ملكنا ! سنوات وسنوات ، الآن ، هى لنا. دهورا تلو دهور ، وإلى الأبد ، تتبعنا ! هاه ، هذا الذى تفعله حسن ، ومنذا الذى لايريد أن يخالف ، ويظهر بمظهر المتفرد . خالف تعرف يا أخى ، هكذا يقولون ، ولكن هذه أمور حسنة عندما يكون المرء فى شبابه ، وقبل أن تفجعه الأيام ، وتخيب ظنه فى الناس إذهب ، الآن ، إرحل ، بحقيبة أبيك ، والملابس التى اشتراها لك أبوك ، والتعليم الذى أتاحه لك مجتمع أبيك ، ولغة أبيك ، ونقائص أبيك ، ونقود أبيك ، كى تطبع منشورات ضده . اذهب. وعندما ستجد نفسك بلا قرش واحد ، وتعرف أنك فى هذا المجتمع لا وجود لك بغير المال ، وبغير قرش لاتساوى أكثر من صفر كبير ، إذهب والتحق بعمل فى مصنع، وسوف تذوق حلاوة الفقر ، سوف تعرف ماذا يعنى أن تشقى عشر ساعات وخمس عشرة ساعة فى عمل يمتص وجودك ، ولايترك لك فى النهاية شيئا ، سوف تنسى إذن أحلامك . ولعك تتزوج أيضاعاملة فى مصنع تكدح ليل نهار مثلك . وتنجب أولادا ، وتمضى فى الحياة تنتظر أن يأتى فرج ، لايجئ وتملأ سمعك بالأكاذيب

العامة وأنباء الخيانه والخذلان والجرائم ، ومفاسد البيروقراطية ، وتجاوزات الدولة البوليسية ، وعصابات المرتشين وحثالة القوم ، والعاهرات والقوادين والامعات والمرتزقة . ويظل المكسب على الدوام هو الأساس الذى يقوم عليه السوق . إذهب .. إرحل .. ولكن إذا ما أردت أن تبقى ، فأنا ، أنا أبوك ، أطلب منك الصفح والمعذرة !

(تنفجر الأم فى نوبة من البكاء ، يهجم عليه الابن مهتاجا . ثم لايلبث أن يجرى إلى الغرفة الداخلية . بينما يتهد الأب جالسا)

الأم : (دون أن يبدو على الأب أنه ينوى الذهاب فى أعقاب ابنه) حذار ، ياخريستو . حذار . لاتذهب إليه ! لاتنخرط فى شجار معه . كفى ! اصفح عنه !

الأب : إنى أصفح عنه (يسمع من الداخل ، صوت الباب وهو يغلق بشدة)

الأم : (تقبل يديه) أشكرك ! أشكرك !

الأب : أديت واجبى . مادام لازال بإمكاننا أن نضرب ، فسنضرب ، حتى أولادنا لن يفلتوا من ضرباتنا !

(برهتين . يستدير الأب فجأة ليرى حقيبة ابنه واقعه على الأرض . ثم يذهب نحو الباب الموارب) .

الأم : حذار ! حذار ! لاتذهب إلى الغرفة بالداخل هناك ! اجلس واهدأ سآتى به أنا بنفسى .

(يستدير الأب عائداً . تذهب الأم إلى الداخل . ثم تعود وقد الجم لسانها) .

الأم : خريستو ، إنه رحل ! (تبكى فى صمت) رحل .

الأب : (بعد برهتين ، دون أن يفقد هدوء أعصابه) حسنا ، إذن لازالت المعركة مستمرة !

ستار

ديمتري بساثاس

مجانين العصر

الشخصيات

الطبيب
السيدة
اغسيلاوس فوكاراس (يبلغ من العمر خمسين عامًا)
ستة مجانين (من أنماط مختلفة)

(تجرى أحداث المسرحية فى العيادة . يجلس الطبيب على مكتبه بينما تجلس السيدة قبالته)

الطبيب : والآن ماهى الأعراض التى تظهر على زوجك ؟

السيدة : قبل كل شئ ، يظهر عليه القلق والاكتئاب ، ياسيدى الطبيب .

الطبيب : وماذا يظهر عليه غير ذلك .

السيدة : ثم هو عصبى عصبية مفرطة .

الطبيب : أهو ينفجر فى الصياح ؟ يشتم ويلعن .

السيدة : إنه لايفعل ذلك على الدوام . لكنه ، ياسيدى الطبيب يأتى إلى البيت فى بعض الأحيان شارد اللب ، شاحب الوجه . وإذا به يضرب نفسه ويهلوس ، ويطلق السباب وتنتابه النوبات .

الطبيب : ومتى يحدث له ذلك ؟ أعنى متى تنتابه النوبات ؟

السيدة : عندما يقبض مرتبه .

الطبيب : وهل يتقاضى الكثير ؟

السيدة : ماذا تنتظر أن يتقاضاه موظف حكومى ، ياسيدى ؟

الطبيب : آه ، أجل ، موظف حكومى . فهمت . هل تستبد به فكرة واحدة لاتتغير ؟

السيدة : أجل . يفكر دائما فى العلاوة فى ميعادها . متى ستصرف . هل سيخصم منها شئ . وكلما تأخر حصوله عليها ، كلما ساءت حاله .

الطبيب : هل هو يلعن الحكومة . ويشتم المسئولين ؟

السيدة : طوال النهار يتمتم متذمرا . وهو بالليل على الأخص شديد الانزعاج . يهب أحيانا من نومه كالمجنون ويصيح فى ماريا أريد أن آكل الوزير أريد أن آكل الوزير .

الطبـــــيب : هل يصب نقمته على الوزير فحسب ؟
الســــيـــدة : أجل ، عادة ، لكنه يصيح فى بعض الأحـيان قائلا : أريد أن اكل رئيس الوزارة .
الطبـــــيب : ما هى الوظيفة التى يشغلها .
الســــيـــدة : صراف بالخزينة .
الطبـــــيب : آه ، هو صراف بالخزينة ، إذن . .
الســــيـــدة : أهذه بادرة سيئة ، ياسيدى الطبيب ؟
الطبـــــيب : أيه بالطبع . إنهـا تزيد من صعوبة مـوقفـه . . ملايين الجنيهـات تنسـاب من بين يديه كل يوم ياسـيـدتى ، ولايدخل جيبه منها شئ . .
الســــيـــدة : ولاحتى ثمن السجائر . .
الطبـــــيب : أليس ثمة أعـراض أخرى مميـزة ، تستلفت اهتـمامك على وجه الخصوص ياسيدتى ؟
الســــيـــدة : الأعراض عـديدة ، ياسيـدى الطبيـب . فى كثيـر من الأحيـان يقول إنه ذاهب إلى السـوق . ثم لايلبث أن يعود كما لو كان يسـير نائما ، ويمد إلى يده قائلا . . ماريا خذى هذه الدجاجة التى اشتريتها لك .
الطبـــــيب : وما الذى يزعجك فى هذا ؟
الســــيـــدة : إنه يقول ذلك ياسـيدى لكنه لايحمل شيـئا مما يقول . يصـيح فى : ماريا خـذى هذا الجنبـرى . . لكن يديه خـاويتـان على الدوام . . مـاريا خـذى هذا السـمك الباربون - خذى هذا الديك الرومى. هذه الشرائح من اللحم . .

الطـبـــــيب : ولا يحمل شيئا من هذا كله ؟

السـيـــدة : لاشئ على الإطلاق ، ياسيدى الطبيب .

الطـبـــــيب : وأنت ، ماذا تفعلين عندما يمد إليك يديه خاويتين ؟

السـيـــدة : ماذا تريدنى أن أفعل ؟ اتظاهر بأنـنى آخذ منه يا يجلبه لأننى إذا لم آخـذها تثـور ثائرته ، ويصـيح قـائلاً إن حمـله ثقيل،وقـد تعب مما يحمل .. علـى إن الأزمة تصل إلى أسوأ صورها ساعـة الظهيرة ، عندما يجلس إلى مـائدة الغـذاء ، ويسـألنـى : مـاريا ، هل قليت السمك الباريون ؟ هل شويت شـرائح اللحم ؟ وأجيبه قائـلة : إننى قليت السمك البـاريون وشويت شـرائح اللحم . وعنـدئذ يتظاهـر بأنه يأكـــل . ثـم يطلب كـوبا مـن « الصـودا » أجل كـوبا مـن « الصـودا » لتساعده على الهضم .

الطـبـــــيب : آوه .. آوه .. آوه ..

السـيـــدة : هل الأمر جسيم ، يادكتور ؟

الطـبـــــيب : جدا ، لكن بالنسـبة لغير ذلك من التـصرفات .. أهو طيب القلب ، طاهر السريرة ؟

السـيـــدة : مثل حمل غرير ، ياسيدى .

الطـبـــــيب : حساس ، رقيق الشعور ؟

السـيـــدة : إلى أقصى حد ..

الطـبـــــيب : إلى أقصى حد ..

الطـبـــــيب : أهو يكذب ؟

السيدة : أبدا . .

الطبيب : أهو يسرق ؟

السيدة : أبدا .

الطبيب : ألم ينصرف إلى التجارة قط ؟ ليبيع شيئا ؟

السيدة : أنه يدأب على البيع ، ياسيد .

الطبيب : ماذا يبيع بالضبط ؟

السيدة : قطع أثاثنا .

الطبيب : آه . . فهمت . .

السيدة : الأمر خطير ، أذن ، يا سيدى ؟

الطبيب : خطير للغاية .

السيدة : ما هو المرض الذى يشكو منه ؟

الطبيب : أزمة إفراط فى الشرف .

السيدة : كنت دائبة النصح له ، ياسيدى الطبيب . كنت أقول له : أسرق ، يا أخى . ألست صرافا ؟ . إختلس أنت أيضا . اخطف بدورك شيئا . كثيرون آخرون من الشخصيات اللامعة يخطفون ويقضون حياة ممتعة . ما الذى سيصيبك ؟ فى أسوأ الأحوال ، ستمضى سنتين أو ثلاث سنوات فى السجن ثم تخرج وتصبح غنيا عظيما .

الطبيب : وبم كان يجيبك ؟

السيدة : كان يثور فى وجهى ، ويهجم على ، يريد أن يمزقنى إربا . . لهذا جئت به إليك ياسيدى الطبيب ، وأنى لأشكرك مقدما . وإذا قدر لك أن تشفيه فانى سأعترف

لك بالجميل طـــول العمر . (ترفع عينيهـا وتثبت نظراتها على عينيه) وسأرد لك هذا الجميل، يادكتور .

الطبــــيب : حسنا ، حسنا .

الســـيــدة : (ممسكة) وسأرد لك الجميل . .

الطبــــيب : مفهوم ، مفهوم . .

الســـيــدة : (بمعنى) لأننى أعرف كـيف أرد الجمـيل ، إلى اللقاء ، ياسيدى الطبيب . .

الطبــــيب : (يتعقبها بنظراته وهى تنصرف) الحق، أنك أنت أيضا بحـاجة إلى علاج . (تخرج السيدة ،وبعد هنيهة يدخل زوجها اغسيلاوس ، وهو رجل نحيل شـاحب . يلبس نظارة وثيابا قـديمة . يبدو عليه الخـوار والتردد . يجيل حولة نظرات خائفة ، يتقـدم بخطوات وئيدة نحو الطبيب ويرمقه بنظرة قلقة ، ثم يومى له فى بطء بالتحية ، كما لو كان قد استبد به الجزع)

اغســيلاوس : طا . . طا . . طا . . (يبذل جهدا أخيراً) طاب يومك .

الطبــــيب : (يقترب منه) تفضل ، تفضل . .

اغســيلاوس : (يتراجع خائفا)

الطبــــيب : لا تخف . اقترب منى .

اغســيلاوس : ولم أقترب منك ؟

الطبــــيب : هل تخاف منى ؟ أنا لا أكل البشر . .

اغســيلاوس : هذا غريب . (كـمـا لوكـان يسـتـرد شجـاعـتـه) أنت بذلك استثناء شاذ .

الطبــــيب : (يشير إلى المقعد) أجل . لاتخف .

اغســيلاوس : شكراً (يجلس وجلا على حافة المقعد) .

الطبــــيب : (ينظر إليه عن قـرب . يتفحص عـينيه .. ويضرب ركبته فـجأة بيده . يقـفز اغسيلاوس واقفا) .

اغسيلاوس : آه .

الطبيب : اجلس . . اجلس . (يعاود اغسيلاوس الجلوس) ما اسمك ؟

اغسيلاوس : اغسيلاوس .

الطبيب : اسم الوالد ؟

اغسيلاوس : فوكاراس . (ينظر اغسيلاوس إلى الطبيب بلهفة بمعاناة) هل أنا مجنون ، يا دكتور ؟

الطبيب : لم تجن بعد .

اغسيلاوس : وهل سأجن ، يا دكتور ؟

الطبيب : لا أدرى . . هل يشغلك أمر جنونك كثيرا ؟

اغسيلاوس : أجل ، ما دام الناس قد وصلوا إلى هذه الحال . لقد أصبح الناس على غاية من الفضول ، هذه الأيام . ياسيدى الطبيب . كثيرا ما أفكر قائلا إن كنت أنا مجنونا ، فكل هؤلاء المحيطين بى عقلاء. لكن إن كنت عاقلا ، فكل من حولى مجانين . .

الطبيب : هل تدخن ؟

اغسيلاوس : (يتنهد) أقلعت عن التدخين .

الطبيب : هل تشرب ؟

اغسيلاوس : (يتنهد) أقلعت عن الشراب .

الطبيب : هل أطلب لك قدحاً من القهوة ؟

اغسيلاوس : (يتنهد) حتى قدح القهوة أقلعت عنه . . !

الطبيب : علاقات . . جنسية ؟

اغسيلاوس : آوه ، قاطعت النساء من العديد من السنين . لم أعد أقربهن ،حتى زوجتى .

الطـبـــــيب : هل تذهب إلى المسرح ؟ ألا تذهب إلى المحلات العامة لتروح عن نفسك ؟

اغسـيلاوس : محلات عامة ؟ (يفكر) آه ، أجل ، أذهب إلى محلات الجـزارة ، أشـاهـد الذبائح المدلاة . كـمـا أتردد على محـلات السمك ، حـيث يفد إلى خـاطرى كثـيرا المثل القائل « أيتها العـينان كلا سمكا ، أما أنت يا بطنى ، فابقى فـابق على خوائك » على أن محـلات الجزارة هى محـلاتى المفضلة . بل أننى أقف أمـام أصناف اللحوم ناقدا ، فأقول : هذا الصنف فيه دهن كثير .. أما هذا الصنف فهزيل .

الطـبـــــيب : هل تشترى حاجياتك بنفسك من السوق ؟

اغسـيلاوس : لمـا كان مرتبى الذى اتقاضاه من الحكومة لايمكننى من أن اشترى الاشيـاء فعلا فاننى اشتريها شـراء خياليا . أنى اسأل : كم ثمن السمك الباربون ؟ فيقولون لى ثمن الأقة أربعون دراخمة . فأشتريها مجازا . واقربها مجازا . وآكلها فى خيـالى . وهذا ما أفعله أيضا بالـنسبة لكل المـأكولات الشهية . وهكذا أشبع شبعا خياليا . أليس ذلك حلا يادكتور ؟

الطـبـــــيب : أجل . بالطبع .

اغسـيلاوس : بل ، إنى لأجزم لك انه حل رائع .

الطـبـــــيب : هل أنت متأكد من ذلك ؟

اغسـيلاوس : كل التأكـيد . بهذه الطريقـة والفضل فيـها يرجع إلى حكومتنـا - معدتى خـفيفـه على الدوام ، ومن ثم لا .

أعانى من أى عسر هضم ، ويحتفظ جسمى برشاقته على الدوام . أعنى أننى من الناحية الصحية على خير مايرام .

الطبيب : لكن قل لى . هل كل غذائك هكذا ، خيالى. ألا تمضغ أسنانك أطعمة فعلية أحيانا ؟

اغسيلاوس : كيف ؟ بالطبع .

الطبيب : ماذا تأكل إذن ؟

اغسيلاوس : فعليا أكل عدسا .

الطبيب : كثيرا ؟

اغسيلاوس : ست مرات فى الأسبوع ، وفى المرة السابعة أكل فاصوليا.

الطبيب : بالزيت ؟

اغسيلاوس : بقليل جدا من الزيت . بضع نقط فحسب .

الطبيب : متى أكلت لحما آخر مرة .

اغسيلاوس : (يستغرق فى التفكير) مثل هذه الأحداث القديمة سيصعب على أن أذكرها .

الطبيب : لابد أن وزنك يتناقص ألا تعرف كم نقص وزنك ؟

اغسيلاوس : أقلعت عن متابعة وزنى . لكن على ما أفهم لم يعد وزنى ثقيلا .

الطبيب : قالت لى السيدة زوجتك أنك تعانى من نوبات بالليل فى السرير .

اغسيلاوس : لاتنقطع نوباتى ياسيدى . إنى أنتفض عندما أذكر أسعار المأكولات .

الطبيب : هل ترى فى نومك أحلاما ؟

اغسيلاوس : أجل . أرى فى العادة دجاجا . وفى بعض اللحظات الرائعة أرى شرائح من اللحم المشوى ، لكننى أرى فى أحلامى أيضا أننى آكل الوزراء والتهمهم (بمعاناة) هل أكون مصابا بمرض عصيب ، يا دكتور . ؟

الطبيب : بالضبط ، هذا ما أنت مصاب به ، لكن مرضك على أى حال مازال قابلا للعلاج ، بخلاف كثير من المرضى الآخرين الذين يستعصى شفاؤهم .

اغسيلاوس : أهناك من هم أسوأ حالا منى ؟

الطبيب : بكل تأكيد . إن العصر الذى نعيش فيه هو عصر الشذوذ والمعاناة . ولهذا فقد ولد هذا العصر أصنافا عديدة من مرضى الأعصاب والمجانين . عندى هنا فى المصحة بعض من مجانين العصر . سترى توا نفراً منهم ، فهذا هو الوقت الذى يخرجون فيه للترويح عن أنفسهم . هاهو واحد منهم (يشير إلى اليمين)

اغسيلاوس : من هذا .

الطبيب : تأمله وستعرف .

اغسيلاوس : (يدخل من اليمين المجنون الأول . أشعث الشعر جاحظ العينين . ما أن يظهر حتى ينحنى فى مكر وحذر . يتلفت يمنة ويسرة . يقفز عدة قفزات . ثم يندفع إلى الأمام فى نوبة فجائية ،وهويعوى كما لو كان قد ركبته الشياطين)

المجنون ١ : ثروة ، ثروة ، كيف سنجمع ثروة ، ثروة كبيرة ، ثروة كبيرة !كيف سنجمع ثروة ؟مال ، مال ، ثروة كبيرة . مال ، مال ، ثروة كبيرة .

اغسيلاوس : مما يشكو هذا الرجل ؟

الطبيب : جنون المال يطارده .

(بقفزة واحدة يجيئ المجنون أمام اغسيلاوس . يحملق فى عينيه ويسأله)

المجنون : كيف نجمع ثروة ؟ هيه قل لىّ كيف سنجمع ثروة . ثروة كبيرة .

اغسيلاوس : (ينكمش فى مقعده ملعورا وينظر إليه بعينين يستبد بهما الرعب والقلق) سيادتك تسألنى أنا ؟

المجنون : كلهم جمعوا ثروات ما عداى أنا لم أجمع ثروة ، وأنت ألم تجمع ثروة ؟

اغسيلاوس : لقد بعت كل شئ حتى حذائى .

المجنون : (ينظر إلى اغسيلاوس ويضحك ضحكة ملئوها السخرية . يمديده إليه ملوحا باشارات الاحتقار . ثم يقفز مبتعدا عن اغسيلاوس ، ويعاود صيحاته السابقة « ثروة ثروة . كيف سنجمع ثروة ؟ ثروة كبيرة . كيف سنجمع ثروة » يردد هذه العبارات ، ويقفز هنا وهناك . ثم يمضى إلى اليسار منصرفا . بينما تظل نظرات اغسيلاوس معلقة بالباب الذي خرج منه المجنون . وقد استبد به حزن عميق)

اغسيلاوس : (بعد برهة من الصمت يلتفت إلى الطبيب) ياله من رجل تعس . إنه أسوأ حالا منى

الطبيب : من فرط اللهفة على المال اختلت عقول كثير من الناس . هاهو مريض ثان من صنف آخر .

(يلتفت اغسيلاوس نحو اليسار ويتابع بدهشة المجنون الثانى الذى يدخل بخطوات وئيدة ويأتى الحركات الست التالية بانتظام : يميل إلى الأمام كما لو كان يرى أحدا . ويسأله بتمتمات من شفتيه ثم يعلو الوجوم وجهه كما

لوكان قد تلقى على سؤاله إجابة مخيفة . وحتى يعبر عن جزعه ودهشته تعبيرا أقوى يرفع يديه إلى رأسه . قائلا «ساتر ياساتر ،ياساتر استر »ويكرر هذه العبارة مرتين أو ثلاثة وهو فى طريقة إلى اغسيلاوس والطبيب)

اغسيلاوس : (إلى الطبيب) بالله ، قل لى من هذا أيضا .

الطبيب : مذعور من الصعود الجنونى فى الأسعار .

اغسيلاوس : وماذا يفعل ؟ ما هى أعراض مرضه ؟

الطبيب : أنه يسأل عن أسعار المأكولات والحاجيات المختلفة . ولما كان دائب السؤال وغير قادر على الشراء وصل به الأمر إلى هذا الحال .

المجنون ٢ : (بعد ظهوره الصامت . يشرع فى الحديث مكملاً ما سبق من حركات صامته بما يلى من كلام) كم سعر اللحم (متدهشا ومذعورا) ياساتر . ياساتر استر . كم سعر الأحذية ياساتر . ياساتر استر . (فى كل مرة يقول هذه العبارة الأخيرة وهو فى طريقة إلى اليسار يقولها بصوت على مما سبق ، حتى ينتهى به الأمر إلى أن يشد شعره مولولا) ياساتر. ياساتر . استر ياساتر استر . استر .

اغسيلاوس : (بعد برهة صمت ، وقد داخله الحزن) هذا الرجل يفكرنى بنفسى .

الطبيب : أتعتقد ذلك ؟

اغسيلاوس : الصعود الجنونى فى الأسعار أمر مخيف ، يادكتور الأسعار لاتكف عن الارتفاع . كل شئ يرتفع سعره ويصبح بعيد المنال . وهذا ما أطاح بعقولنا نحن المساكين .

الطبـــــيب : ليس الصعـود الجنونـى فى الأسـعـار هو الذى أطاح بالعقول فحسب ، بل هناك اسباب أخرى عديدة تودى بصـواب الـناس هذه الأيام . دعنى أقـدم لـك الدليل على ذلك . انظر . أنظر إلى هذا الرجل (يشير إلى المجنون الثالث الذى يدخـل من اليـمين . إنه رجل طويل نحيف يتـقـدم بخطوات بطيئة ينظر أمامه ويمسك بزهرة وهمية ينزع أوارقها ورقة ورقة . يمسك فى يد بالزهره وينزع بالاخرى أوراقها الوهمية ويقول بصوت منغم) .

المجنـــون ٣ : ستقوم ؟ لن تقوم ؟ سـتقوم ؟ لن تقوم ؟ سنقوم ؟ لن تقوم ؟

اغسـيلاوس : (يحملق فى المجنون ثم يسأل الطبيب) عمـا يسأل هذا الرجل ؟ ما هذه التى ستقوم أولن تقوم .

الطبـــــيب : الحرب .

اغسـيلاوس : الحرب ؟ وهل تعرف الزهرة الـتى فى يده ما إذا كانت الحرب ستقوم أم لا ؟

الطبـــــيب : ألم أقل لك هذا المسكين مـجنون . وهذا هو ما اطاح بعقله على وجـه التحديد أنه دائـب القلق مما إذا كانت حرب جديدة ستقوم . ومن فرط القلق ضاع صوابه .

المجنـــون ٣ : (يمضى فى التقدم وفى اتيان الحركات ذاتها) ستـقع . لن تقع . ستقع . لن تقع . ستقوم . لن تقوم(يستبد به كرب شديد) ستقوم ؟

اغسـيلاوس : (إلى المجنون) لن تقوم .

المجـــنـــون : وإن قامت ؟

اغسيلاوس : وماذا يهم ؟ فلتقم .

المجنون : وإن لم تقم ؟

اغسيلاوس : هذا أفضل . دعها لاتقوم .

المجنون : لكن إن قامت رغم ذلك ؟

اغسيلاوس : فليحدث ما يحدث .

المجنون : ستقع . ؟

اغسيلاوس : لن تقع .

المجنون : وإن وقعت ؟

اغسيلاوس : ما هذه التى ستقع ؟

الطبيب : (إلى اغسيلاوس) القنبلة الذرية . هذه يعنى .

اغسيلاوس : تقع أو لاتقع ، هذا شأنها وحدها .

المجنون : (تتسع حدقتاه فجأة ويبسط ذراعيه ، كما لو كان يحدث انفجارا مخيفا . ويصيح بأعلى صوته) بوم .

اغسيلاوس : (يقفز مذعوراً ،ويختبيء خلف مقعده . راكعا على ركبتيه ويحمى رأسه بين يديه أما المجنون فيفر بعد الانفجار خارجا من اليسار وقد استبد به الهلع . برهة صمت . يطل اغسيلاوس برأسه من مخبئه بعد قليل) وقعت ؟

الطبيب : وقعت ، كما رأيت .

اغسيلاوس : هل كانت قنبله ذرية أم هيدروجينية؟ .

الطبيب : الاحتمال الأكبر أنها قنبله ذرية ، لأنه عندما يلقى بالهيدروجينية يصم هذا الالقاء آذاننا جميعا .

(يدخل المجنون الرابع . يمشى بخطوات وئيدة جدا ويبدو عليه التعب . يخطو ثلاث خطوات ويقف كما كان ثمة شخص أمامه يعوقه عن المسير)

اغسيلاوس : عجباً ، وإذاً ما الذى يجعله يسير بهذه الخطوات البطيئة ؟

الطبيب : أصيب بذلك من طول وقوفه في الصف انتظارا لعربات الأوتوبيس والترام (إلى المجنون) تقدم ياعزيزى . تقدم .

المجنون ٤ : (يخطو خطوات قصيرة مثل الأطفال) خطوة . خطوة . خط العتبة . تاته . تاته . خطوة . خطوة . خط العتبة . تاته . تاته . الصبر . الصبر . الصبر (يتوقف ويتنهد) انتظار . انتظار . انتظار (يتقدم) طوال الصباح . طوال الصباح . طوال الصباح . طوال الصباح . الصبر . الصبر . عند الظهر . عند الظهر . عند الظهر . انتظار . انتظار . انتظار . انتظار . (كلما نطق بكلمه انتظار) . (يتوقف عن المسير)

اغسيلاوس : لكنه في غاية الهدوء .

الطبيب : ليس هذا حاله على الدوام . تنتابه أيضا نوبات . (يصيح المجنون فجأة بصوت شرس في شخص وهمي) أنت ، ياقليل الأدب . أمامنا تتسلل إلى الصف ياصعلوك . من تظننا نحن الذين في الانتظار ؟ بهائم ؟ حيوانات؟ اغرب عن وجهي حالا ، ياعديم التربية ، ياغبي ، يابغل، ياخسيس ، لماذا تتخطى دورك ؟ (يعاود خطواته القصيرة كالأطفال) خطوة . خطوة . تاته . تاته . خطوة . خطوة (يصيح في شخص وهمي آخر) أنت أيها البدين ، أجل إليك أتحدث ، أنت ياصاحب البطن المنبعجة، ألم تكن في آخر الصف ؟ كيف أجدك الآن في أوله ؟ (نجأة يغير لهجته) امش من أمامي اغرب

عن وجهي ياحـقيـر خطوة. خطوة. تاته. تاته. خطوة. خطوة . تاته . تاته . (يردد هذه الكلمات حتى يخرج) .

اغسـيلاوس : وهذا الرجل أيضـا يذكـرني بنفـسي . باللعنة . كـاد عقلي يطير من فرط الوقـوف في الصفوف والطوابير . طوابيـر علـى مـحطات الأوتوبيس. طوابيـر في الوزارات. طوابير في مكاتب الحكومـة . تكاثر عددنا نحن البشر في هذه الدنيا (يدخل المجنون الخامس من اليمين وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة مهذبة . يتقدم قليلا ثم يقف وينحنى كما لو كان يواجه شخصا وهميا ويعرفه بنفسه) .

المجنـــون ٥ : - أمانويل زكريا جورجياديس . (ينحنى) أمانويل زكريا جور جـياديس . . (ينحنى ويستدير إلى جهـة اخرى) أمانويل زكريا جورجـياديس . . (ينحنى ويتقدم يضع خطوات ثم ينحنى مرة اخرى) أمانويل زكريا جورجياديس . .

اغسـيلاوس : (إلى الطبيب) ماذا يقول هذا الرجل ، يادكتور ؟

الطبـــيب : يقول لك أسمه .

اغسـيلاوس : وما الداعي ؟

الطبـــيب : أصيب بلوثته هذه من جـراء العديد من المرات التي سئل فيها عن اسمه منذ أيام الحرب في أقسام البوليس ، وفي مكاتب التأمـينات واستـخراج البطاقات . . والتـموين والإحصاء . . إلى آخره . . إلى آخره . .

المجنـــون ٥ : (يواصل التقدم والانحناء بعصبية ورجفة) أمـانويـل زكـريا جورجياديس (يصـل إلى اغسيلاوس وينحنى امامه) أمـانويل زكريا جورجياديس . .

اغسـيلاوس : (يتنهد وينحنى له بدوره) وأنا اغسيلاوس ينى فوكاراس . .

المجنــون ٥ : بطاقتك من فضلك .

اغسيلاوس : ليست معى .

المجنــون ٥ : مر باكر. مربعـد باكر . . مر بعد ثلاث أيام . (ينحنى) أمـانويل زكـريا جـورجيـاديس . . أمـانويل زكـريا جورجياديس . (ينحي ويبتسم . ويمضى هكذا منصرفا) .

اغسيلاوس : أوه ، ياله من مسكين . .

(يدخل من اليمين المجنون السادس .. وهو رجل ركبه اليأس والضيق . ويأتى بالحركات التالية على نحو آلى .. يضع يده فى جيب سترته الأيمن ويخرج نقوداً وهمية ينقدها لشخص وهمى أمامه . ثم يضع يده فى جيب سترته الأيسر ويفعل المثل . ثم يدس يده فى جيبى سرواله على التوالى وجيب سترته الداخلى وفى كل مرة يتصرف كما لو كان يسدد حسابا لأحد . وكلما أخرج يده من جيبه يقول)

المجنــون ٦ : تفضل ، ياسيدى المحصل . . خذ ياحضـرة المحصل (يدفع) تفـضل ياسـيدى ، المحـصل . خـذ ياحضـرة المحصل ، (يدفع) تفـضل ياسـيدى المحـصل . . خـذ ياحضـرة المحصل (يدفع) تفضل ياسـيدى المحصل . . خذ ياحضـرة المحصل (ينطق بهذه العبارة فى كل مرة بلوعة ، وإصرار وصوت منغم ، وبلهجة تعلونبرتها وتتزايد رنة الغيظ والغضب فى ثناياها)

اغسيلاوس : (ينظر إليه متعجبا ، ثم يدير بصره إلى الطبيب متسائلا) وهـذا ما خطبه ؟

الطبـــيب : مـصاب بانفـجار ضـريبى . . فـقد صـوابه من كثـرة الضرائـب التى يدفعـها للحكومـة ، ضرائب متـنوعة ولاحـصر لهـا تطلب منه يومـا بعـد يوما ويدفـعهـا

صاغراً . ما أن ينتهى من ضربية حتى يدفع ضربية أخرى . وهكذا أصابته هذه اللوثة . .

(يذرع المجنون خشبة المسرح مرددا الكلمات ذاتها ويتزايد صوته لوعة وشدة حتى إذا ما وصل إلى حافة المسرح اليسرى يكون قد بلغ انفعاله مداه فيخلع ربطة عنقه صائحا) « تفضل ياسيدى المحصل ، خذ ربطة عنقى » ثم يخلع سترته ويرميها صائحا خذ ، ياحضرة المحصل خذ سترتى أيضا (ثم يفك حزامه ويشرع فى خلع سرواله) تفضل ياسيدى المحصل . خذ سروالى . . حتى سروالى خذه ياسيدى المحصل ها أنا أخلعه لك . . وسأمشى بين الناس عريانا ياسيدى المحصل

(يهرع إليه الطبيب ويثنيه عن عزمه) .

الطبيب : (إلى المجنون) ايه . . . أيه مهلك . . هيا ، هيا انصرف (يدفع به خارجا. وبعد أن يصرف المجنون يعود إلى اغسيلاوس) والآن كيف تبدو لك كل هذه الأمور ؟

اغسيلاوس : هذا فظيع . . فظيع . . .

الطبيب : هل تريد أن تصير مثل هؤلاء ؟ هل تريد أن تصير واحداً منهم ؟

اغسيلاوس : (وقد تملكه الرعب) كلا ، يادكتور . . أرجوك ، انقذنى . . خلصنى . لا أشعر أننى على ما يرام. يخيل إلى أننى مصاب بهذه الأعراض جميعا . إن فى بذور هذه الأمراض العصبية كلها

(يقلد كلا من للجانين الذين رآهم على التوالى)

الطبيب : حسنا ، إهدأ ، من فضلك ، يجب أن نبذل الجهد الآن ، حتى تشفى . يجب أن نبدأ العلاج .

أغسيلاوس : بم تأمر ياسيدى الطبيب ؟ كيف سيكون العلاج ؟

الطبيب : ساعالجك هنا فى مصحتى على طريقتى الخاصة . ستتبع منهجا خاصاً سأصفه لك . كل هؤلاء الذين رأيتهم فقدوا عقولهم . أتعرف لماذا ؟ لانهم كانوا مرهفى الحس ، متيقظى الضمير ، وعلى قدر كبير من الحياء . ولهذا فقد سحقهم هذا المجتمع الرأسمالى بوطأته الثقيلة . عليك أذن أن تتعاطى علاجا أكيدا . ناجع المفعول . . عليك أن توطد نفسك على أن تكون عديم الإحساس . ميت الضمير ، جلفا . . صفقا .

أغسيلاوس : وكيف يتأتى لى ذلك وسأبدأ ياسيدى ؟

الطبيب : قبل كل شئ . يجب أن تغير طريقتك فى التفكير . يجب أن تستبدل عقلك بعقل أخر . . أكثر عصرية وسأبدأ معك العلاج حالا . . عليك أن لا تعارضنى فيما سأمليه عليك . . والان ، ردد معى : تسقط الفاصوليا .

أغسيلاوس : (بإصرار) تسقط الفاصوليا .

الطبيب : يسقط الفول النابت .

أغسيلاوس : يسقط الفول النابت .

الطبيب : يسقط الخجل .
أغسيلاوس : (مرتعبا) إيه ؟
الطبيب : يسقط الخجل
أغسيلاوس : (بخوف وتردد) يسقط . .
الطبيب : ردد ما سأقوله : أقسم بالله العظيم أن أتبع العلاج الذى سيوصف لى بكل دقة . أن آكل وان أشرب ، وألا أعير شيئا من حولى أدنى اهتمام . .
أغسيلاوس : ادنى اهتمام .
الطبيب : أن أضرب الدنيا صرمة .
أغسيلاوس : أضربها .
الطبيب : أقسم بالله أن أكون كذابا ، سارقا نهابًا
أغسيلاوس : (يغالب البكاء) أقسم بالله أن أكون
الطبيب : كذابا .
أغسيلاوس : كذابا ؟
الطبيب : (بلهجة آمرة) كذابا .
أغسيلاوس : (يتلع لعابه ويوافق بصعوبة) كذابا .
الطبيب : لصا .
أغسيلاوس : (بقلق) لصا ؟
الطبيب : لصا نهابا
أغسيلاوس : (بقلق وجزع) لصا ، نهابا ؟ (يتفجر فجأة) لا . لا أستطيع - الأفضل أن أكون مجنونا . الأفضل أن أكون مجنونا مثل هؤلاء من أن أكون مثل الآخرين .
(عندما يقول « مثل هؤلاء » يشير الى كل المجانين الذين هرعوا الى المسرح وانخرط كل منهم فى أداء حركات جنونه بينما يسدل الستار) .

ديمترى بساثاس

السلحفاة الزرقاء

الشخصيات

– السيـدة زوزو	من المفتونات بالأدب
– السيـدة ليلى	صديقتها
– فـيـفى	إبنة السيدة زوزو
– الأسـتـاذ	زعيم السيرياليين ، شديد الهوس
– لوليس لوبيس	من أتباعه ، وعلى شاكلته
– فلـسـوراس	زوج زوزو
– الطبـيـب	
– الخـادمـة	

(غرفة استقبال عصرية . لوحات سيريالية . يسود تمثيل الجميع طابع هزلى متطرف ، هذا فلوراس الذى يفترض فيه أنه العاقل الوحيد فى بيت المجانين هذا . عندما يفتح الستار نرى زوزو تنسق الزهور فى أحد الانية وهى غارقة فى النشوة) .

زوزو : ياللجمال . ياللزهور الجميلة .

ليلى : (تدخل من اليمين) أنت هنا ، يازوزو ؟

زوزو : لم تسألين ؟ هل طلبنى الأستاذ ؟

ليلى : كلا ، افتقدتك فى غرفة الطعام .

زوزو : جئت أعد الجو للأستاذ . . باستطاعته أن يقرأ علينا قصيدته الرائعة هنا . ترى ما الذى يحتاج إليه أيضا ؟ ما الذى يحتاج إليه أيضا ؟ ما الذى يحتاج إليه أيضا . آه ، أجل . شكسبير . آخ ، ياللكارثه إنها لخسارة كبيرة ألا يكون شكسبير معنا فى هذا البيت .

ليلى : صدقت . كان وجوده أمرا ضروريا . .

زوزو : هل رأيت ؟ هل رأيت عينيه ، ياعزيزتى ليلى ؟

ليلى : عينى من ؟ شكسبير ؟

زوزو : كلا ، عينى الأستاذ ، ياليلى ، عينى الأستاذ .

ليلى : آخ ، أجل . ما أجمل الحول الذى بهما .

زوزو : ذلك الحول من إشعاعات الحكمة المفرطة ، ياعزيزتى ليلى . تنم عيناه عما يجيش فى أعماقه من أحاسيس ولهذا فما بهما من حول لايخلو من العظمة . . أما جبينه فيفصح عن متاهات أفكاره . وعندما يزم فمه فى غموض يعبر عن منتهى السخرية من كوميديا الوضع الإنسانى . .

ليلى : لا ارى زوجك هذا المساء . أين هو ؟

زوزو : آه ، لاتذكرينى به . لاتفسدى على أحلامى . . . . إنه رجل فظيع ، لا يطاق . . .

ليلى : آخ ، كم أرثى لحالك .

زوزو : ياحبيبتى . (تعانقها) .

ليلى : عزيزتى زوزو (يتبادلان القبل) كم أنت تعسة . . كم أحس بمأساتك .

زوزو : أخ ، ياصديقتى الحلوة . كم هى مخيفة مذهلة مأساة المرأة المشققة التى تتزوج من رجل جلف . . عديم الإحساس . . لا تعنيه الموسيقى . . لايستهويه الفن والفنانين . ولايكترث بشيكسبير وإبسن .

ليلى : هذا ما يجعلنى ادهش كيف سمح لك أن تقيمى هذه الأمسية الأدبية .

زوزو : حمد الله ، سافر أول أمس الى « باتره » سيتغيب هناك خمسة أو ستة أيام . انتهزت الفرصة ودعوت الأستاذ وأعضاء جماعتنا البارزين . .

(يدخل لوبيس وهو ممن مسهم الشعر بجنونه)

لوبيس : مدام زوزو

زوزو : آخ ، السيد لوليس لوبيس . . كيف حال الأستاذ ؟

لوبيس : يأكل ، ياسيدتى ، يأكل . . .

زوزو : آخ ، يأكل ، أسمعت ياليلى ؟ يأكل .

ليلى : آخ ، ياعزيزتى زوزو (تعانقها) .

زوزو : حبيبتى الغالية . (يتبادلان القبل) ويشرب ؟ أهو يشرب ياسيد لوبيس ؟

لوبيس : إنه يشرب ، يشرب ، ياسيدتى .

زوزو : أتسمعين ياليلى ؟ أنه يشرب .

ليلى : عزيزتى زوزو .

زوزو : حبيبتى الغالية (يتبادلان القبل) إنه أمر يفوق التصديق . . رجل موهوب عبقرى . مثله . . يأكل ويشرب فى بيتى (إلى لوبيس) وهل أعجبته المأكولات ؟

لوبيس : بالطبع ، ياسيدتى . كلما قضم قضمة أو تناول جرعة صاح : آه ، آه ، آه . (يزمجر) .

زوزو : كيف ؟ كيف ؟

لـويـيـس : آه ، آه ، آه . (يزمجر من جديد) .

زوزو : (باعجاب) ياإلهى هذا رائع !

لـيـلـى : هذا مدهش !

زوزو : ياسيد لوييس ، ترى ، هل طلبنى الأستاذ ؟

لـويـيـس : أفصح الأستاذ عن رغبته فى أن يصب عليكما بركته .

زوزو : أن يصب على بركته .

لـويـيـس : أن يصب عليكما بركته .

زوزو : آه ، ياليلى ، أفصح الاستاذ عن رغبته فى أن يصب على بركته . هيا بنا أذن ، ندخل حتى يصب علينا بركته . . (يمضى ثلاثتهم . ومن الباب الرئيسى يدخل فلوراس يحمل حقيبته عائدا من السفر) .

فـلـوراس : أوف . عدت الى بيتى . .

الخـادمـة : (تدخل وتراه ، فتتملكها الدهشة) الله !

فـلـوراس : الله ؟ ماذا تعنين ؟

الخـادمـة : لا شئ ، ياسيدى . . لكن . .

فـلـوراس : لا شئ ؟ لكن ؟ ما معنى كل هذا ؟ أسمع جلبة فى الداخل . أين سيدتك ؟

الخـادمـة : فى الداخل ، ياسيدى . لديها زوار .

فلوراس : من ؟

الخادمة : (بإعجاب) السيد شكسبير .

فلوراس : السيد شكسبير . (يرسم علامة الصليب) أجننت ؟ إغربي عن وجهي .. خذي الحقيبة .

الخادمة : (تحمل الحقيبة) منذ الصباح، وهم يبحثون عنه. (تخرج) .

فلوراس : كلام فارغ . السيد شكسبير مدعو هنا .

(تدخل زوزو وترى زوجها تتصمق)

زوزو : الله !

فلوراس : الله . وأنت أيضا تقولين هذا ؟

زوزو : عدت ، يافلوراس بهذه السرعة ؟

فلوراس : ماذا كنت تنتظرين ؟ أن أسافر إلى غير عودة ؟

زوزو : لكن كيف أعود فالقاك هنا بهذه السرعة ؟

فلوراس : أرى أنك لا تتمالكين نفسك من فرط السعادة بلقائي . ماذا حدث ؟ من بالدار ؟

زوزو : (بحماسة) آه ، يافلوراس .

فلوراس : ماذا تعنين ؟

زوزو : شئ واحد أقوله لك فحسب . الليلة يشرف مائدتنا علم من أعلام اليونان .

فـــلـــوراس : لم يكن عندى شك فى ذلك . كل أعـلام اليونان يأتون إلى مائدتى ويملأون بطونهم .

زوزو : آخ « يملأون بطونهم » ياله من تعبير سوقى .

فـــلـــوراس : خبرينى من هذا المبجل صاحب الأمجاد ؟

زوزو : إنه الأستاذ .

فـــلـــوراس : أى أستاذ ؟ ما اسمه ؟

زوزو : ذيسياس سينيفياس .

فـــلـــوراس : ما أسخف هذا الاسم .

زوزو : رجل عصرى ، عميق ، سيريالى .

فـــلـــوراس : أيتها المخبـوله ، تدعين إلى بيتى هذا الصنف من الناس الذين كـانوا سببـا فى أن فسـخت ابنتنا خطبـتهـا . . وطردت خطيبها ؟

زوزو : أساء الحديث عن الفن .

فـــلـــوراس : حسنـا فعل . خريـستو شـاب جاد . ليس مـثل هؤلاء المجانين والسيرياليين الذين تحضرينهم هنا .

زوزو : مجانين ؟

فـــلـــوراس : فارغى الرؤوس .

زوزو : فارغى الرؤوس ؟ ياله من أسلوب ! ياإلهى !

فـــلـــوراس : هذا أسلوبى . وافتحى أذنيك جيدا لما سأقول . . إما أن تتناولى التليـفون حالا وتعـتذرى لخـريستو وتـوجهى له الدعوة للحضور الينا الليله . .

زوزو : هذا مستحيل . .

فـلـــوراس : وإما . .

زوزو : وإما ؟

فـــلـــوراس : وإما سأنهال على الأستـاذ ركلا وصفعا ، وألقى به إلى عرض الطريق .

زوزو : فلوراس ، لاأجرؤ علـى تخيل هذه الإهانه البـالغة التى ينطوى عليهـا كلامك . آخ ، أشعـر أنى لست على ما يرام . إنى على وشك الإغماء .

فـــلـــوراس : فليغم عليك . . ولـتحخر قواك تمامـا . . سيرى الاسـتاذ النجوم فى الظهيرة . . إنى ذاهب اليه . .

(يهجم على الباب الأيسر)

زوزو : (تهب واقفة) كلا . . إنتظر .

فـــلـــوراس : هل أرجأت الأغماء ؟

زوزو : ليس لدى وقت الآن .

فـــلـــوراس : يمكنك الإغـماء غـدا . . خذى الـتليفـون الآن وكلمى خريستو .

زوزو : (تتناول السماعة) آلو ، الدكتور موجود ؟ طاب يومك ، ياسيد خريستو . أنا حرم السيد فلوراس . أجل ، أجل ، أنا شخصيا .

فلوراس : وجهى له الدعوة .

زوزو : (إلى فلوراس) لكنه . .

فلوراس : سألقى بالأستاذ الى الشارع .

زورو : حسنا . حسنا (فى السماعة) زوجى يدعوك . .

فلوراس : أنت التى تدعينه .

زوزو : (فى السماعة) وأنا أيضا أدعوك . . تفضل بالمرور علينا فى البيت الليلة ، إن شئت . سيسر زوجى بزيارتك .

فلوراس : وأنت أيضا ستسرين بذلك .

زوزو : (فى السماعة) وأنا ايضا سأسر .

فلوراس : وفيفى أيضا ستسر .

زوزو : (فى السماعة) وفيفى ايضا ستسر (فى السماعة) لن أغفر لك ذلك أبدا . (تدخل فيفى) .

فيفى : ماما أين أنت ؟ (ترى فلوراس) الله !

فلوراس : وأنت أيضا تدهشين ؟ ستقتلنى دهشتكم هذه .

فيفى : أنت هنا ، يابابا ؟ كيف كان ذلك ؟

فلوراس: لم يمزقنى القطار للأسف .

فيفى : لكن لماذا ؟

فلوارس : لماذا لم يمزقنى ؟

فيفى : أقول لماذا تتحدث بهذه اللهجة ؟

زوزو : دعى أباك وشأنه ياابنتى . أنه جن .

فيفى : لكن ، ياماما . .

فلوراس : دعى أمك وشانها ياابنتى . إنها مختلة العقل جدا .

فيفى : لكن لماذا تتشاجران من جديد ؟

زوزو : فيفى ياابنتى، فعل أبوك الليله شيئا لا يتصوره العقل . . شيئا فظا . أجبرنى بالقوة أن أدعو خريستو للحضور هنا الليلة .

فيفى : بابا هل فعلت ذلك ؟

فلوراس : فعلت يا ابنتى ، لأننى أرى أن أمك ستنقل إليك عدوى جنونها . . خريستو شاب ممتاز ويحبك . .

زوزو : فلوراس متى ستضع فى رأسك ذرة من العقل ؟ ألا ترى عدم التكافئ فى هذا الزواج ؟ فيفى فتاة رقيقة مثقفة لها عوالمها الروحية .

فلوراس : ما الذى لها ؟

فيفى : (بحماسة) لى عوالمى الروحية ، يابابا .

فلوراس : ياه ، خسارة . ضاعت البنت .

فــيـــفى : لا أريد خريستو .

فــلــوراس : هلا قلت لى السبب ؟

زوزو : لأنه يافلوراس ينقصه ما يلزم لفيفى .

فــلــوراس : بل كل شئ عنده .

فــيـــفى : كلا ، ليس عنده يابابا .

فــلــوراس : عنده ، أيتها الحمقاء .. اسمعا مـا أقوله لكما .. إنه طيب القلب مهذب ومن أحسن الأطباء .

فــيـــفى : (بتأكيد) ليس لديه أهم شئ ..

فــلــوراس : بل لديه أهم شئ ايضا ..

زوزو : لكنه لم يره لنا ..

فــلــوراس : (ينظر اليها ساخطا) ماذا تـقولين ؟ (يرسم علامة الصليب) هذا ما كان ينقصنا . رحماك ربى .. ما الذى تقصـدينه بذلـك ؟

فــيـــفى : ليس لديه هموم ، ياأبى ..

فــلــوراس : ولماذا تكون لديه هموم ؟ إيراده حسن ، وظيفـته طيبة ، وشبابه موفور .

فــيـــفى : أعنى هموم روحية .

فــلــوراس : وما معنى هذا ايضا ؟

زوزو : اصبر قليلا . سوف تتعرف بأولئك الذين يعانون فى سبيل المشكلات الكبيرة السامية فى هذه الحياة .

(يدخل لوليس لوبيس صاخبا كالمعتاد) .

لوبيس : مدام زوزو .

زوزو : لبيك ياسيد لوبيس .

لوبيس : أتيت إليك بخبر عظيم . سيقرأ الأستاذ علينا الليله « السلحفاة الزرقاء » .

زوزو : آخ ، لاتقل هذا .

لوبيس : أقسم بشرفى .. أحضرها معه .

فيفى : بديع ، بديع .

فلوراس : معذرة ياسيدى هل أحضر معه سلحفاة زرقاء ؟

لوبيس : بالطبع ، أعلن ذلك بشكل حاسم .

فلوراس : وأين وجد السلحفاة الزرقاء ؟

زوزو : إنها قصيدة ، يافلوراس .

فيفى : رائعة ، يابابا .

لوبيس : سيدى ، لهذه السلحفاة الزرقاء قصه طويلة .

(متأثرا للحدث الكبير)

اختفى الأستاذ ستة أشهر ثم .. آه لا أستطيع أن أقول ما حدث .. قولى له أنت يامدام زوزو .

زوزو : طوال سته أشهر لم يكن أحد يعرف أين الأستاذ .
ثم . . آخ لا أستطيع . . تكلمى أنت ، يافيفى .

فيفى : انزعج كل الناس من هذا الاختفاء و . . آخ . . لا أستطيع . قل أنت ياسيد لوبيس .

لوبيس : وفجاة ، ها هو يظهر .

فلوراس : أين كان ؟

فيفى : أين كان ؟

لوبيس : هذا لغز .

زوزو : لغز ، يافلوراس .

فلوراس : أى لغز تعنين ؟

لوبيس : لغز الألغار .

فلوراس : أسكت ، ثم ماذا حدث ؟

لوبيس : وعندما ظهر لنا من جديد . جاء إلينا من ملاذه المجهول الغامض برائعته الجديدة هذه . . « السلحفاة الزرقاء » .

فلوراس : ماذا تقول ياأخى ؟ أهو عمل عظيم هذا الذى قام به ؟

زوزو : صمتا . الأستاذ قادم .

(يدخل الأستاذ ذيسياس سينيفياس من اليمين أنه مجنون مبجل ، وقور رزين وقاتم . ينظر الى الناس كأنهم نمل ضئيل ، هيئته هيئة رجل يشرف البيت الذى يستضيفه والناس الذين يمن عليهم بحديثه تشريفا كبيرا . وهو يتنازل على أى

حال ويجيب على المحيطين به الذى يتطلعون اليه كما لو كان الههم . تدخل ليلى فى صحبة الأستاذ) .

الأستـــاذ : كان الطعام لذيذا ، ياسيدتى .

زوزو : أعجبكم ، ياأستاذ ؟

الأستـــاذ : جدا . جدا .

فـلـوراس : (محدثا نفسه) ألم أقل أنه جاء يملأ بطنه ؟

زوزو : تفضل بالجلوس ياأستاذ . .

الأستـــاذ : شكرا . (يجلس الى جوار زوزو) .

فـلـوراس : أرجو أن تكون قد تناولت وجبه شهية .

الأستـــاذ : (ناظرا الى فلوراس) من هذا ؟

زوزو : أقدم لك زوجى . . عاد تـوا من السفر . (الى زوجها) فلوراس ، هذا الأستاذ ذيسياس سينيقياس .

الأستـــاذ : (ينهض) إنى سعيد جدا بلقائك .

فـلـوراس : وأنا أيضا سعيد جدا .

لـويـيـس : الأفضـل أن تجلس هنا ياأستـاذ . سيناسـبك هذا المقـعد الوثير ويريح بدنك .

الأستـــاذ : أشكرك يالوييس . (يجلس فى صدر المسرح) .

لـويـيـس : أبادلك الشكر ، ياأستاذ .

الأستـــاذ : (الى فلوراس الذى ظل واقفا) يمكنك الجلوس .

فلوراس : شكرا ، أنت تغمرني بفضلك . (يجلس) .

لويس : أليس لديك مقعد وثير غير هذا أجلس عليه أنا ؟

فلوراس : للأسف ، ليس لدينا مقعد آخر .

« يجلس الجميع » (الأستاذ فى صدر المسرح كآلة تحيط به زوزو وفيفى وليلى ولوليس لويس.. تتعلق أنظارهم جميعهـا بشفتيه وهم على استعداد أن يلبوا كل طلباته وعلى مبعدة جلس فلوراس يرقب مندهشا ذلك للمجنون الذى جلس وسط الحمقى) .

الأستاذ : أخفتوا الأضواء .

فلوراس : لماذا ؟

لويس : هذه الإضاءة لاتناسب الأستاذ ، ياسيدى . الضوء يقف فى وجه التفسير ، ويناوئ قصيدته العصماء .

فلوراس : آه ، فهمت .

فيفى : (تستدير وتقاطعه) أيناسبك الضوء هكذا ، ياأستاذ ؟

الأستاذ : (بجفاء) كلا .

ليلى : ياإلهى ماذا سنفعل إذن .

لويس : أليس لديكم مصباح أزرق أسود ؟

زوزو : للاسف ليس لدينا . ياللخسارة .

فلوراس : للأسف الشديد ، ياسيدى المهزار السمج .

لويس : هس .

فـــلـــوراس : معذرة .

الجـــمــــيع : هس .

فـــلـــوراس : (منفردا بنفسه) لعنه الله عليكم .

الأســتـــاذ : (يسعل ثم يتخذ هيئة غامضة ، ويخرج من جيبه مخطوطا) أيها الأصـدقاء والمعـجبـون بالرغم من هذا الضـوء الذى لا أوافق عليه إطلاقا سأقرأ عليكـم مقطعا من « سلحفاتى الزرقـــاء » وأميط لكم اللـثـام بذلك عن الســر وراء احتجابى عن أوساطكم الادبية ، سته أشهر كاملة .

فـــلـــوراس : (يخرج سيجارة) أمضيت سته أشهر كاملة فى كتابتها ؟

الأســتـــاذ : سيجارتك ، ياسيدى .

فـــلـــوراس : ماذا ؟

الأســتـــاذ : أطفأها .

فـــلـــوراس : لماذا ؟

زوزو : فلوراس ، من المسـتحـيل أن يلقى الأستـاذ قصـيدته ، وثمة من يدخنون حوله .

فـــلـــوراس : لكن . . . .

لـــويـــس : (بصرامة) ألق بها ، ياسيدى . إلق بها .

فـــلـــوراس : معذرة (يحدث نفسه) يبدو أننى سـأطبق على عنق هذا الرجل .

الأستـــاذ : (مواصلا) مقطوعتى الغنائية هذه استلهمتها لحظة اختفاء فتاتى ستة أشهر مصحوبة بكل معاناة الوجود (يخرج سيجارة) .

لـويـيـس : تفضل (يشعلها له) .

الأستـــاذ : شكرا ، يالوييس .

لـويـيـس : ابادلك الشكر ، ياأستاذ .

فـلـوراس : (يرى سيثيفياس ينفث الدخان فيصيح مستاء) ها هو يدخن .

فـيـفى : (بصوت خفيض) إنه الأستاذ ، يابابا .

فـلـوراس : وأنا من أكون ، على اللعنه ؟

لـويـيـس : هس .

فـلـوراس : أيها الملاعين ، من رب هذا البيت ؟

الجـمـيع : هس .

(يبلع فلوراس لعابه بغيظ ويرمقهم بنظرات شذراء بينما ينهض الاستاذ ويشرع وسط تنهدات المعجبين فى القاء رائعته فى حماسة واعتزاز ، بلهجة خطابية رزينة عميقة مصحوبة بالإيماءات) .

الأستـــاذ : « هبت الأرواح ، واندفعت فى صخب وعجيج الى الغابة العذراء ، ودوت السماء الرحيبة بالاصداء . . صحا الاله « بان » فرأى جديانا تتناطح صاح فيها: ايتها الأرواح الأزلية يـاأرواح الأرض الضائعة ، يافكرة القدر، أيتها الفكرة الرائعة . . على قرنى يتدلى جذلا كل ما كان وكل ما هو كائن وكل ما سيكون » .

(تثير أبيات ذيسياس سيبنياس الحيرة فى قلوب مستمعيه ، فيعتريهم الوجوم ويبقون فاغرى الأفواه أزاء المعانى التى تنطوى عليها القصيدة . وما أن ينتهى الأستاذ من إلقائه حتي تترى تعليقات الإعجاب من الجمع المبهور بما سمع ما عدا فلوراس الذى يتابع الأمور مندهشا) .

زوزو : آه . عظيم .

فلوراس : إيه ؟

ليلى : مدهش .

فلوراس : ماذا تقولين ؟

فيفى : شئ يسبى العقول ، يابابا ، يسبى العقول .

فلوراس : إنه شئ يسبى العقول حقا ، فالجنون ركب عقولكم .

لويس : (ينهض) يالها من شحنه رمزية ضخمة ، وراء هذا السطور ، وعلى الأخص السطر الأخير (يشرع فى الإلقاء)

« على قرنى يتدلى جذلا كل ما هو كائن وكل ما كان وكل ما سيكون » .

زوزو : ياله من عمق .

ليلى : يالها من رفعة .

فيفى : يالها من رحابة

فلوراس : رفعة ، عمق ، رحابة ؟

زوزو : إنها فى الحق لمعجزة (تشرع فى الالقاء) على قرنى يتدلى جذلا ما كان وما هو كائن وما سيكون .

لـــويـــيـــس : ياله من نظر بعيد !

فـــيـــفى : ياله من تغلغل إلى أعماق النفس البشرية !

لـــيـــلـــى : يالها من قدرة على الإحساس والتعبير . (تشرع فى الإلقاء) على قرنى يتدلى جذلا ما كان وما هو كائن .. آخ .. وما سيكون .

فـــلـــوراس : ياله من اعجاب مـفرط بالقرون .. معـذرة ياأستاذ .. إنى أحترم قرنيك جدا .. لكن .. اسمح لى بأن أقول .. إنى ..

الأســتـــاذ : إنك لم تفهم ؟

فـــلـــوراس : أجل ، كيف فهمت أنى لم أفهم ؟

لـــويـــيـــس : ياللمسكين .. ياللتعس .. ياللرجل الشقى .

لـــيـــلـــى : ياله من فقير .

زوزو : أنه غير مدرب ، ياأستاذ .. لايعرف .. سامحه .

الأســتـــاذ : (الى فلوراس) من أجل ما لايفهم من «سلحفاتى الزرقاء» كتبت لها مقدمة مـثل كل الشعراء الكبار . وهذا المقدمة ستعمل آثارها الفعالـة فى الجهلاء غير المدربين شاءوا أم أبوا .. ستقع على رؤوسهم وقع الصـاعقة .. وستدق أعناقهم .

فـلـوراس : ستدق أعناقهم . ياللكارثة .

الأستـاذ : اسمع . سأشرح لك المعنى الدفين فى أعـماق قصيدتى التى ألقيتها .

فـلـوراس : الحمد لله . ها أنا فى النهاية سأفهم ما يقال .

الأستـاذ : (يشرع فى الشرح بحماسه واستعلاء) فى مهب الريح ، غارقا فى الأحلام ، تاركـا نفسى تهيـم فى سماوات رحـيـبة غـريبـة « سـحـيقـة .. تبلورت الأفكار .. تجـمـعت الكلمات مـثل السحب المدلهمـة .. وتساقطت الأمطار على القفار . فاغرورقت عيناى بالدموع .. وكتبت ..

فـلـوراس : آه ، كأنك تتـلـكم الفارسيـة ، هلا تفضلت وأخـبرتنى أهذا شرح لقصيدتك ؟

الأستـاذ : أجل . هل فهمت ؟

فـلـوراس : إمض من فضلك فى الشرح ، فـربما فتح الله على بشئ أفهمه .

الأستـاذ : وجـرفتنى سـوره الفكر والعـاطفـة الى حيث تتـراقص الأرواح المعـذبة . واصطخـبت الغـرائز الجـيـاشـة فى أعمـاقى اصطـخـاب المـوج الحبيس فى البئـر السحيق .. والتـحمت ذاتى الممـزقة بروح الوجـود الطليق .. الغريق .

فلـوراس : آه ، كيف قلت ذلك ؟

الأستـاذ : بدأت تفهم ، بالطبع .

فلـوراس : إمض فى الشرح ، من فضلك .

الأستـاذ : إزاء عذابات حياتى تدور دوامـة ذاتى . وترتطم بحجارة الأعماق . وتقفز متـخبطة مفتونة بصور عنائى . أواه ، يامن لك رأس جدى وحوافره ستعزف لك انأملى على قيثارتى همسات روحى . . وفى السماوات الملبدة الرجراجة سيشق منخارى طريقه . . سأفتح منخارى مثل بئر . . وأملأ خياشيمى . . وأملأ خياشيمى .

فلـوراس : لابد أن هذا الرجل مخبول . لاحول ولا قوة إلا بالله . معذرة ياأستاذ .

(تدخل الخادمة) .

الخـادمـة : السيد خريستو تسيمباس حضر .

الأستـاذ : (بخوف) من ؟

فلـوراس : ليتفضل .

الأستـاذ : (وقد تملكه الذعر) كلا ، لبيق محله لا تدخلوه . .

فلـوراس : لماذا لاتريده أن يدخل ؟

زوزو : قال الأستاذ لايدخل . . يعنى لا يدخل .

فلـوراس : فليقل الأستاذ ما يحلو له . القرون والخياشيم قبلتها . . لكننى لا أستطيع ألا أستقبل خطيب ابنتى . .

(يدخل خريستو) .

خريستو : أسعدتم مساء .

فلوراس : مرحبا بالدكتور .

الأستاذ : (وقد فقد صوابه) لا . . لا أريد حمامات باردة . . لا أريد صدمات كهربية . إنى خارج .

(ينفلت خارجا) .

لويس : وأنا خارج (ينفلت خارجا) .

ليلى : وأنا أيضا خارجه (تخرج) .

فلوراس : مع السلامة .

زوزو : (مضطربة) وانا يغمى على (تخر مغشيا عليها) .

فيفى : وانا ايضا يغمى على (تخر مغشيا عليها) .

خريستو : ما الذى جرى ؟ ما هذا ؟

فلوراس : قل لى يادكتور ، هل تعرف الأستاذ ؟

خريستو : بالطبع . أشرفت على علاجه ستة أشهر فى مستشفى الأمراض العقلية .

زوزو وفيفى : (ما أن تسمعا هذا القول حتى تقوما منتفضتين) فى مستشفى الأمراض العقلية ؟

خريستو : أجل . لكن لم السؤال عنه ؟

فلوراس : (وقد فقد صوابه) أدخل هاتين المرأتين أيضا مستشفى الأمراض العقلية ، يادكتور ، أدخلهما المستشفى . أنهما مخبولتان ، مهووستان . وجودهما خارجها من قبيل الخطأ . . الخطأ فحسب .

ستار

ديمترى بساثاس

نقطة حبر

الشخصيات

كسينوفون في الخامسة والأربعين (استاذ جامعى)
ماريا في الثامنة والعشرين (زوجة)
خارميذيس في الثلاثين (صديق لهما)
هيلينيتسا في الثانية والعشرين
بيبيتسا في الخامسة والعشرين (صديقة لها)
خريستاكي في الثلاثين (صديق هيلينيتسا)

الزمن الحاضر ، في أثينا .

(المشهد فى الشارع ، خارج الستار ، تمر هيلينيتسا مسرعة . وهى فتاة عاملة ، تفيض حيوية ، ثرثارة ، أنيقة ، من اولئك اللاتى يتقن المرتب كله على الملبس . ترتدى فستانا ناصع البياض جديدا مبتكرا ، مما يجعلها بطبيعة الحال تختال فخورة سعيدة به . عندما تدخل الى خشبة المسرح ، تمضى قدما مسرعة ، فتلتقى بصديقة لها ، هى بيبيتسا التى تدخل من الجانب المقابل . تقف بيبيتسا وتتبادل التحية مع هيلينيتسا بحرارة) .

بيبيتسا : مرحبا ، يا هيلينيتسا .

هيلينيتسا : صباح الخير ، يا بيبيتسا .

بيبيتسا : إلى أين تسرعين ؟

هيلينيتسا : عندى موعد مع خريستاكى . اعذرينى ، يا بيبيتسا ، إلى اللقاء .

(تشد على يدها مصافحة وتنصرف) .

بيبيتسا : جملك الله بعقلك ! (تنصرف)

هيلينيتسا : (عائدة) بيبيتسا ، بيبيتسا !

بيبيتسا : (عائدة) ما الذى جرى لك ؟

هيلينيتسا : إلاترين ، يا بيبيتسا ؟ أليس عندك نظر ؟ (تريها فستانها ، مزهوة به) .

بيبيتسا : لماذا ؟

هيلينيتسا : ولا حتى تقولين « مبروك ، فستانك الجديد » ؟

بيبيتسا : ماذا بإمكانى أن أقول ، وأنت تمرين مثل إعصار عاصف ، يابنيتى ! وهل تدعين لى فرصة كى أحدثك؟

(تتأمل فستانها) .

هيلينيتسا : (معجبة بنفسها) إيه ، كيف يبدو لك ؟

بيبيتسا : جميل جدا . .

هيلينيتسا : ماذا تقولين ؟ جميل جدا ! ألم تجدى من كلمات الإطراء سوى هاتين الكلمتين الفاترتين ، بينما أنا أريك تحفة عظيمة ، يابنيتى ؟ ألم تجدى غير « جميل جدا » ؟ أهذا فستان ؟ إنه رائعة من الروائع ، قصيدة من الشعر ، زبد ، زنبقة ناصعة البياض ، عذراء لم يمسسها سوء . أتعرفين كم كلفنى ؟

بيبيتسا : كم ؟

هيلينيتسا : الفين !

بيبيتسا : الفين ؟

هيلينيتسا : الله ؟! وهل كنت تعتقدين انه كلفنى اقل من ذلك ؟

بيبيتسا : اسكتى ، غير معقول !

هيلينيتسا : تقولين « اسكتى » لماذا ؟ ألا يبدو عليه ذلك ؟ الفنان . الفنان اثنان ، أجل ! لكن انظرى ، كلا ، انظرى جيدا . الاتستحقهما مصممته ؟ أنت غيور بعض الشئ ولكن لايهم . انظرى اى تصميم ، انظرى البراعة فى استخدام المقص. انظرى الخياطة المحكمة . إنه على قدى تمام . أنظرى ؟ (تدور حول نفسها) انظرى ، انظرى، انظرى كيف يلتف بقوامى . انظرى . إنى سعيدة اليوم، ياعزيزتى بيبيتسا. سعيدة إلى حد يفوق التصور !

بيبيتسا : احترسى ، ألا تصيبينه بالبقع ، يامجنونة !

هيلينيتسا : تفى من بقك ! أتعرفين كم أحرص عليه ؟ الترام لا اركبه . على كرسى لا أجلس . لا ذرة تراب ، ولاذبابة ، ولابعوضة ، أتركها تقترب منى (تأتى حركة كما لو كانت تطرد ذبابة) هل طرت يوما ؟

بيبيتسا : لم يحدث لى ذلك . .

هيلينيتسا : ولا أنا ، ولكننى بهذا الفستان أطير ياعزيزتى بيبيتسا ، أنا لا أمشى ، ولا تلمس قدماى الأرض . أنا أطير . إلى اللقاء (تهم بالانصراف . ثم تعود فجأة) كلا ، تفى فى وجهى .

بيبيتسا : لماذا ؟

هيلينيتسا : إنك حسود . .

بيبيتسا : أنا ، يا هيلينيتسا ؟

هيلينيتسا : ليس هذا وقته . ليس هذا وقته . تفى فى وجهى . عينك شريرة . فى المرة السابقة أيضا ، كنت أنت من رأيت فى الشارع . هل تذكرين تلك المرة التى عضنى فيها الكلب ، ومزق جوربى . تفى فى وجهى ، من فضلك . . .

بيبيتسا : (تبصق فى وجهها) حسنا . إنى أتف فى وجهك ، حتى لا أحسدك !

هيلينيتسا : شكرا . إلى اللقاء . (تشد على يدها من جديد وتنصرف)

بيبيتسا : يالك من مجنونة ! (تنصرف)

هيلينيتسا : (تعود فجأة) بيبيتسا ، بيبيتسا ، بيبيتسا !

بيبيتسا : (تعود) ماذا تريدين من جديد ؟

هيلينيتسا : هل تعرفين من حائكة الثياب التى حاكته لى ؟

بيبيتسا : من ؟

هيلينيتسا : ليونور !

بيبيتسا : غير معقول ! قولى كلاما غير هذا !

هيلينيتسا : تقولين (غير معقول) لماذا ؟ ألا يبدو عليه ؟ ألا يبدو أنه من تصميم ليونور . . . إنه يصرخ معلنا اسمها !

يصرخ ليونور ! إنى أسير وفى كل خطوة أخطوها أسمع صوتا يقول : ليونور ، ليونور ! ليونور ! إننى لم أرتد تحفة مثل هذه من قبل . سوف يرانى خريستاكى ويجن ، ياعزيزتى بيبيتسا .

بيبيتسا : هيا ، وإلا ضاع منك ميعادك .

هيلينيتسا : أجل . إنى ذاهبة . آه . لو ترين كيف يفعل عندما يرانى فى فستان جديد . عندما تعارفنا ، كنت ألبس الفستان المخطط . لم أترك فيه انطباعا . بعد ذلك ارتديت الوردى ، استلطفنى . حكت الأسود ، وقع فى غرامى . ثم حكت ذلك الرمادى جن بى ، وقلب الدنيا رأسا على عقب كى يخطبنى . والآن ، وقد جلبت قصيدة القصائد هذه ، فلا شك أنه سيطلب منى أن نتزوج حالا .

بيبيتسا : هيا ، رافقتك السلامة . .

هيلينيتسا : تفى على مرة أخرى !

بيبيتسا : [1]رقيتك بتفتى من عين الحساد .

هيلينيتسا : شكرا جزيلا ، إلى اللقاء (تتصرف ، محدثة نفسها) لسنا فى مقام الهزل ! إن عينها لا تخيب هذه الشريرة !

(تتصرف بيبيتسا وهيلينيتسا واحدة من اليمين والأخرى من اليسار . يتفتح الستار ، ويبدو مكتب العلامة الأستاذ الجامعى كسينوفون . مكتبات ، أريكة ،

مقاعد ، وغير ذلك . بالجانب الأيمن ، باب للخروج . وبالجانب الأيسر باب آخر . فى المواجهة تبين نافذة مفتوحة تطل على الشارع . يجلس الأستاذ العلامة إلى مكتبه ، وهو رجل في منتصف العمر ، مهذب ، لبق الكلام ، حكيم ، شاخ قبل الأوان . تقف أمامه ماريا ، وهى امرأة شابة رشيقة ، على أهبة الخروج . بينما يفتح الستار يواصلان حديثهما .)

كسينوفون : اذهبى ، ياماريا .

ماريا : إنى ذاهبة ، ياعزيزى . ذاهبة (تراودها بعض الشكوك) ولكننى لا أستطيع أن أفهم لماذا تهتم بإرسالى مرتين فى الأسبوع إلى ماما .
لماذا تتعمد البقاء وحدك فى البيت ؟ لو كنت أصغر سنا بقليل لارتبت فى سلوكك . .

كسينوفون : (يضحك بطيبة ، ولكن يبدو أن المديح قد أطربه أيضا)

ماريا : (التى تعامله معاملة إلى معاملة الأطفال اقرب) لماذا تضحك ؟

كسينوفون : (يكاد يكون مسرورا لأن زوجته ترتاب فيه) ماريا . . تخشين أن أخونك ؟

ماريا : (دون أن تصدق ذلك ، بطبيعة الحال) من أين لى أن أدرى ؟ تبدو لى محاطا بالشكوك . . .

كسينوفون : (يضحك ضحكة هادئة تصدر عن رجل تروق له مثل هذه المناقشة) ماريا ، يابنيتى . أن ارتيابك هذا يملأنى زهوا بنفسى ،

ولكن الواقع للأسف يكذبه . تعرفين جيدا أننى يجب أن أنجز هذه الدراسة عن يوروبيديس . عندما تغيبين أكتب مائة صفحة فى اليوم . وعندما تكونين بالبيت لا أكتب شيئا (برقة) تدخلين ، تخرجين ، تغنين ، تثرثرين ، تتحدثين إلى القطة ، تتشاجرين مع الكلب، وفى كلمتين فإنك تخلقين من الضجيج ما تتعطل إزاءه أفكارى كلها .

ماريا : تقصد أننى مزعجة .

كسينوفون : لا أقول ذلك .

ماريا : وإنما ؟

كسينوفون : تعوقين عملى . هذا كل ما فى الأمر .

ماريا : (تسخف من عمله بلهجة ودود) ماذا تقول ! ياله من عمل ! تشقى خمس سنوات بأكملها ، ليل نهار ، من أجل خصوصيات يوروبيديس العائلية ! وتحاول أن تثبت أن زوجته لم تكن تخونه . ما شأنك أنت إن كانت تخونه أو لا تخونه ! ما شأنك لو كان لها عشيق اسمه . . ماذا كان اسمه ؟

كسينوفون : كيفيسيفون !

ماريا : من ؟

كسينوفون : (مكررا بطريقة تربوية) كيفيسيفون !

مـــــــاريـا : (بلا اكتراث) ما علينا !

كـسـينوفـون : لا تقولى « مـاعلينا » تفعلين ذلـك على الدوام ، فلا تتـعلمين شيـئا . كـررى النطق ، حتى تتـعلمى على الأقل اسمه . الصحيح (تنهض)

مـــــــاريـا : لست بحاجة إلى ذلك . يكفى أن تعـرفه أنت . عالم كبير مثلك يدرس ويشـقى . يكتب ويتصبب عرقا كى يكتشف مـا إذا كان لزوجـة يوروبيديس عـشيق أو لم يكن لهـا . وتعتبر هــذا عـملا جادا . إنه مجرد ثرثرة فضولية ، عادية تماما .

كـسـينوفـون : (مندهشا) ثرثرة فضولية ؟

مـــــــاريـا : أم ماذا يكون ذلك ! مجرد نبش عن فضائح قديمة !

كـسـينوفـون : جهودى التاريخية ؟

مـــــــاريـا : يالها من جهود !

كـسـينوفـون : (بتأنيب رقيق) ماريا ، لا أسمح لك أن تسيئ إلى بحوثى التاريخـية ، وعلى الأخص أن تتدخلى فى مـسائل لا تفهـمينها . ثرثرة فـضولية هيـه ، خمس سنوات من الدراسـة ، وأندر التـحـريات العلمـيـة عن حـيـاة يوروبيديس تسمينها ثرثرة فضولية ! نبشا عن فضائح ! باحث فى بطون التـاريخ ، ترقى بـه أبحاثه إلى قـمـة المجد الأدبى ، ليس بالنسبـة لماريا سوى ثرثار تافه .

(ينهض ويأخذ كمية من أوراقه) أتعرفين ، ياحبيبتى ، ما الهدف من دراستى هذه ؟ لو كان قد حظى التاريخ وأدبنا القديم ببعض من اهتمامك لعرفت أن يوروبيديس قد تعرض لتجريح بعض من ألسنة السوء فى عصره ، ووجهت إليه اتهامات ظالمة .
قالوا عنه كاره نساء ، وقالوا عن أمه بائعة خضر .
قالوا عن زوجته امرأة خبيثة . قالوا عن كيفيسيفون أنه عشيقها !

مــــاريــا : (بغير اكتراث) وما شأنك أنت ؟

كسينوفون : (دهشا) ماشأنى ! !

مــــاريــا : أكان قريبا لك يوروبيديس ؟

كسينوفون : (بيأس) لست فى كامل قواك العقلية ، يابنيتى ! إن النحو الذى تواجهين به علم التاريخ يضحى مثيرا للرثاء ! ولكن هل تتبنين ذلك ؟ ليس الأمر أمر الافتراءات التى ادعاها أرستوفانيس على يوروبيديس فحسب ، فقد وجدت هذه الافتراءات حتى فى يومنا هذا من يرددها ، ولازال بعض الثقاة من رجال التاريخ يؤكدون أن زوجة يوروبيديس كانت تخونه . . .

مــــاريــا : (بهناء) حسنا فعلت به !

كسينوفون : (غاضبا) لكنها لم تكن تخونه !

ماريا : (باللهجة ذاتها) كانت تخونه . دعك من الإصرار . .

كسينوفون : كلا ، ياماريا . .

ماريا : إسمع ما أقوله لك .

كسينوفون : لكن ما الذى بإمكانك أن تعرفيه أنت فى أمور تاريخية مثل هذه !

ماريا : إنى امرأة ، وأفهمها حق الفهم . لوكان السيد يوروبيديس يغلق على نفسه الباب ، ويكتب تراجيدياته، وكان دائب التذمر ، ما الذى كنت تريد من زوجته أن تفعل ؟ من وراء ظهره تلعب به ، وترفه عن نفسها . تنسى همومها قليلا . . .

كسينوفون : (يياس) كلا ، ياعزيزتى ماريا ! (بطريقة تربوية) كان كيفيسيفون . . .

ماريا : كان كيفيسيفون يقضى وقتا طيبا ! اسمع كلامى ! صدقنى !

كسينوفون : كان كيفيسيفون يقضى وقتا طيبا ؟ ! سأطرح جانبا ياماريا ، تعبيراتك التى تخلو من كل رصانة علمية ، وأجزم لك أنك تخطئين خطأ فاحشا ! وإنى لذلك أرثى لك . كانت زوجة يوروبيديس ، كما أثبته فى بحثى ، أشرف امرأة فى الوجود . وكان كيفيسيفون بريئا مما نسب إليه ! أعود فأؤكد لك ، أننى بكتابى

هذا ألقى ضوءا غزيرا على أسرار الحياة الزوجية لكاتبنا التراجيدى الكبير . اجلسى ، ياماريا ، كلا ، إجلسى ، لا تنصرفى . إجلسى كى أقرأ لك بعض الصفحات (يضع نظارته على عينيه ، ويتأهب ليقرأ لها مسوداته) .

ماريا : ماذا ستفعل ؟ ستقرأ ؟

كسينوفون : خمسين صفحة فحسب !

ماريا : فقدت عقلك ، ياكسينوفون ! إنى خارجة . إلى اللقاء (تمضى إلى الباب) .

كسينوفون : (ينهض) تنصرفين ؟

ماريا : لا رغبة لى فى أن أصدع رأسى . .

كسينوفون : كما تشائين . من حسن الحظ ، أن خارميذيس سيأتى اليوم بعد الظهر .

ماريا : (تقفل راجعة باهتمام) سيأتى ؟

كسينوفون : أجل ، رأيته هذا الصباح ، وقال لى إنه سيمر بعد الظهر . سوف أقرأ عليه هذه الصفحات ، فهو يستمع إلى راضيا .

ماريا : (ما إن سمعت عن خارميذيس ، تبدى اهتماما أكبر ، وتتجه إلى مكتب زوجها ، متحدثة برقة غير مباشرة عن هذا الشخص) ياللمسكين !

كسينوفون : لماذا . . . لماذا هو مسكين !

مـــــــاريـا : (ساخرة) موضـوع جميل ذلك الذى أختـرت أن تقرأه عليـه . أول أمس ، انفطر قلبى اشفـاقا عليـه ، وقد مـضيت تصـدع دماغـه ثلاث ساعـات طوال . تناول خمـسة أقراص من الأسـبيرين كي يفـيق ، وكان على وشك أن يصاب بنوبة قلبية ، هذا المسكين !

كـسـينوفـون : هيا الآن ، انصرفى .

مـــــــاريـا : سـلامـا ، واحـرص على ألا تتـرك النور مـضـاء من جديد، عندما تهـجع فى الليل إلى فراشك . وضعت لك خفيك تحت السرير .

كـسـينوفـون : وضعهما فى أغوار الأغوار ، تحت السرير ؟

مـــــــاريـا : لا أعرف . حينما أضعها دوما .

كـسـينوفـون : ماريا ، عزيـزتى . موضوع الخفين هو أحـد الأسباب التى تجـعلنى أدرى ، ما مـتـعتك فى أن تدسـيهـا فى أغوار، أغوار ، الأغـوار تحت السرير . اضطر إلى أن انحنى مثل ذوات الأربع ، وأمد ذراعى بمعـاناة ، بحثا عنهـمـا . . . لو رآنى أحـد أعـضـاء الأكـاديميـة من زمـلائى، وأنا فى هذا الوضـع المورث للجنون وغـيـر اللائق ، فانهم لن يسمحوا بدخولى الأكاديمية ابدا .

مـــــــاريـا : إلى اللقـاء . (تبـعث إليـه بقـبلة وهى تنصـرف) . يجلس كسينوفـون إلى مكتبه ، متأهبـا للكتابة ، لكنه يرى أن

محبرته خلت من الحبر . ينهض . يفتح الدولاب ، ويتناول منه زجاجة كبيرة . ثم يأخذ محبرته ، وكى يحسن الرؤية، يمضى إلى جوار النافذة ليملأها حبرا . وأثناء قيامه بهذه الحركات يحادث نفسه قائلا « كيفيسيفون ! كيفيسيفون أعز أصدقاء يوروبيديس ، لزوجته عشيق ! خل عنك ، ياصديقى العزيز . لو اقتضانى اثبات براءتك أن استخدم عشر زجاجات من الحبر ، فلن اتردد فى ذلك . » وبينما يداه ممدودتان خارج النافذة تعبان بحرص الحبر من الزجاجة الكبيرة فى محبرته ، تنزلق الزجاجة من يده وتهوى ساقطة إلى الشارع . وبسقوط الزجاجة يتعالى صوت هيلينيتسا مولولا . ويبدو أنها كانت تمر فى تلك اللحظة تحت النافذة ، فاغرقها الحبر المنسكب .

صوت هيلينيتسا: آه ! يوه ، يوه ، فستانى ، فستانى !

كسينوفون : (يتسمر فى مكانه مصعوقا بسبب فعلته . يطل تحت فى الشارع ، من حيث تفد ولولات هيلينيتسا . وقد تبلد ذهنه) أوه ، أوه ، أوه، ياللمصيبة التى حاقت بى !

الصوت : فستانى ، فستانى !

كسينوفون : (يبلادة ذهن كبيرة ، ينحنى مطلا من النافذة ، ويوجه خطابه إلى هيلينيتسا التى لا يراها بطبيعة الحال) سيدتى . . انزلقت منى .

الصـــــوت : ياه ، ياه ، أيها الشرير ، المجرم ، القاتل ! وامصيبتاه ! واحسرتاه ! ياه ، ياه ، يالهول الذى حدث لفستانى!

كـسينوفـون : سيدتى ، معذرة ، ولكن . . .

الصـــــوت : ياطريد الليمـان ، يامن لاضمير لك ، يايهـوذا ، أيها القرد ، أيها السفـاح ، ياقاطع الطريق ، يادب ، أيها النـائـم على نفـسك ، أيهـــا الغـبى ، يامـن أتلفت فستانى ! ماذا أفعل الآن ؟ ياه ، ياه ، كل هــذه البقع من الحبر ! . . .

كـسينوفـون : (بلهجة آمرة) سيدتى ، أرجوك .

الصـــــوت : بقعة هنا ، وهنا بقعة أخرى . ماذا أفعل الآن ؟

كـسينوفـون : تفضلى عندى ، أرجوك . تفضلى .

الصـــــوت: وهنا ، وهنا ، وهنا ، جعل فستانى مثل وجهه !

كـسينوفـون : (ماضـيـا فى الإطلال من النافـذة) تفـضلـى ، كـى أرى مـاذا بإمكـانى أن أفـعل مـن أجلـك . إنى آسف شــديد الأسـف ، ياسـيدتى . أرجـوك ، تعـالى ، ادخلى . الباب من هناك . (يذهب ليفتح الباب مضطربا ، ويتحدث وهو يهرول إليه) تفضلى ، كى أرى كـيف يمكننى أن أصحح ما وقع من خطأ فاحش .

(يفتح كسينوفون الباب ، وبعد هنيهة تدخل هيلينيتسا فى حالة يرثى لها . عندما وقعت الزجاجة على رأسها لطخها الحبر ، وامتلأ فستانها ببقع سوداء

تثاثرت عليه كله . تدخل محدقة إليه بيأس وحقد ، بينما يعاين كسينوفون جزعا ما أوقعه من دمار)

هيلينيتسا : أيها الشرير !

كسينوفون : أطلب منك المعذرة !

هيلينيتسا : ألازال لديك من الجسارة والوقاحة ما يسول لك أن تطلب منى المعذرة ، هيه ؟ أين كانت عيناك ، أين ؟

كسينوفون : ما كنت أقصد ذلك ، ياسيدتى .

هيلينيتسا : (ناظرة إلى البقع) يوه ، يوه ، يوه .

كسينوفون : اجلسى ، ياسيدتى ، اجلسى . . .

هيلينيتسا : آخ ، يابيبيتسا ، لعنة الله على عينك الحسود ! كنت أعرف أن ثمة مصيبة كبيرة ستقع على رأسى . ماذا أفعل الآن ؟

كسينوفون : هذه البقع ، ألا تنظفها المصبغة ؟

هيلينيتسا : أى مصبغة تنظف كل هذه البقع . ياأعمى العينين ! كيف أذهب بهذه الحال السيئة لمقابلة خريستاكى العزيز ؟

كسينوفون : خريستاكى العزيز ؟

هيلينيتسا : كيف يرانى ؟ ماذا أقول له ؟

كسينوفون : سأشرح له أنا ، ياسيدتى . آخذ على عاتقى هذه المسئولية !

هيلينيتسا : كلفنى هذا الفستان ثلاثة آلاف دراخمة . هذه أول مرة البسه . ولم أدفع بعد أجر الخياطة . (تبكى) فستانى ، فستانى الصغير ! أماكان يجدر بك أن تنظر أمامك ، أيها التائه ، النائم ، الهمجى ! أين كان عقلك ؟

كسينوفون : عند كيفيسيفون . .

هيلينيتسا : فليقتلع هذا الكيفيسيفون عينيك !

كسينوفون : سيدتى ، أقدر المأساة التى ألحقتها بك . يكلف الفستان اليوم ثروة هائلة .

هيلينيتسا : ثلاثة آلاف ! وقد صممته ليونور !

كسينوفون : لم يحدث لى الشرف أن أتعرف بالسيدة الجليلة ليونور لأنى لا أعرف إلا سيدات من التاريخ القديم . وأيا كان الأمر ، فسأجتهد أن أجبر الضرر الذى وقع . إن زوجتى رشيقة القوام مثلك ولديها فساتين كثيرة . سأعطيك لتلبسى مؤقتا الفستان الذى يروق لك كى تذهبى لمقابلة عزيزك خريستاكى ، وسأدفع التعويض بالكامل ، لو أجريت لى بعض التخفيض . .

هيلينيتسا : شرير !

كسينوفون : لست شريرا ، ياسيدتى . إنى عالم ساذج . هل تريدين أن أحضر لك الفساتين كى تختارى ؟

هيلينيتسا : أحضر . أرنى . هيا . أحضر . .

كسينوفون : حالا ، ياسيدتى . (يخرج من جهة اليسار)

هيلينيتسا : (تنظر بيأس إلى فستانها) آخ ، ، يابيبيتسا ، عينك بالسوء تقدح ! وفى المرة السابقة ، التى سقطت فيها من الترام وانكسر كعب حذائى ، كانت هى أيضا التى رأيتها . هذه الغيور ، عيناها واسعتان ، تكاد تبتلعك بهما ! ضاع على الميعاد أيضا ! (تفتح حقيبة يدها وتنظر إلى مرآتها) وجهى فحسب نجا من الكارثة ! (تنادى بصوت عال) ياسيد كيفيسيفون ! . . .

كسينوفون : (من الداخل) حالا . قادم إليك ، ياسيدتى .

هيلينيتسا : اخطف رجلك ، وتعال !

كسينوفون : لحظة واحدة ، ياسيدتى .

هيلينيتسا : وانتق فستانا عليه القيمة .

كسينوفون : ليس واحدا فحسب . سأحضر لك فساتين كثيرة . .

هيلينيتسا : احضر . أرنى ماعندك ! من يدرى أى امرأة طائشة هى زوجتك ، وأى أزياء قديمة ترتدى . يوه ، يوه ، يوه ، ترى أى دمية فى متحف أثرى ، سيجعل منى هذا المجرم . . .

كسينوفون : (يدخل حاملاً أثوابا كثيرة يناولها واحدا) هل يعجبك هذا ؟

هيلينيتسا : لابد أنك قد فقدت عقلك . أمن قماش التنجيد هذا ألبس ؟ (تلقى به على رأسه)

كسينوفون : معذرة ، لا تنفعلى ، ياسيدتى (يريها ثوبا اخر) ما رأيك فى هذا الفستان ؟

هيلينيتسا : بهذا أذهب للقاء خريستاكى ؟ سوف يطلقنى ، ياسيد. من المؤكد أنه سيطلقنى ، لو رآنى (تبكى)

كسينوفون : لا تبك ياسميدتى ، اتوسل إليك أنك بذلك تجعلين مركزى أكثر حرجا . (يريها كل ما معه) انظرى هذا ، كلفنى ألف دراخمة .

هيلينيتسا : ربما كلفك عشرة آلاف ، ياسيدى ، ولكنه لا يعجبنى! خرق بالية ، أثريات ، مثل زوجتك ومثلك . أليس هناك فساتين أخرى ؟

كسينوفون : زوجتى شابة حسناء ، ياسيدتى ، وقد عُرِفَتْ بأنها من أكثر النساء أناقة . قد تكون لها عيوب أخرى أجهلها ولكن ليس بإمكانك انتقاد ذوقها فى اختيار فساتينها إن كل معارفى التاريخية وجهودى تتحول إلى فساتين وقبعات وأحذية . . .

هيلينيتسا : هات فستانا اخر !

كسينوفون : حسنا ياسيدتى . ولكن انتظرى كى أصعد لحظة إلى الدور العلوى وأحضر لك شيئا من فاخر ثيابها . (ينصرف)

هيلينيتسا : (تظل وحدها على المسرح وتتأمل الفساتين) فساتين قبيحة ، تافهة . . (تنتقى احدها) هذا لابأس به إلى حد ما . فلأرتديه مؤقتا . (تلقى بالفساتين الأخرى ، وتبقى أمامها على أحد المقاعد الفستان الذى اختارته) لعنة الله على هذه الغرفة ، ما من مرآة هنا ! (تخلع فستانها الملطخ ببقع الحبر كى ترتدى الآخر ، وتظل نصف عارية ، بقميصها الداخلى ، وبينما تهم بارتداء الفستان الآخر تدخل ماريا من الباب الخارجى ، فتراها شبه عارية فى بيتها ، فتصاب بالذهول) .

ماريا : أووره !

هيلينيتسا : (بلا تفكير) أووه !

ماريا : يااللوغد ! شئ لا يصدقه عقل ، لايتصوره خيال ، لم يخطر على بال ولا على سمع !

هيلينيتسا : هـ . . . هذا غير . . . صحيح ! .

ماريا : (ثائرة) وتسخرين منى ، ياعديمة الحياء ! (تهجم عليها غاضبة)

هيلينيتسا : (تجرى جزعة ، محاولة فى الوقت ذاته أن تكمل ارتداء الفستان الذى يصعب عليها أن تمرره على جسمها بعد رقبتها) .

ماريا : ياله من منافق مراء . المهرج . ماء من تحت تبن ! وأنت ، ياوقحة تجرئين على الدخول هنا ، وتتعرين من ثيابك فى بيتى ذاته . هيه ؟

هيلينيتسا : (تهرب محتمية بالمقاعد) سيدتى ، دعينى أشرح لك .

مـــــاريـا : (تهجم عليها) ماذا ستشرحين لى ، أيتها الفاجرة ! لا أريد منك شرحا ولا إيضاحا . اخرجى ، حالا ، وإلا خنقتك ، وأزهقت روحك !

هيلينيـتـسـا : سيدتى ، إن الزجاجة (تهم بالانصراف ثم تعود)

مـــــاريـا : اخرجى ! (تطاردها)

هيلينيـتـسـا : سيدتى ، إن الفستان

مـــــاريـا : خـذى أيضا فـسـتـانى ، الذى نجسته ، واغـربى عن وجهى، حتى لا أراك ، ياعديمة الحياء !

هيلينيـتـسـا : فـ . . فستانى سـقط على زجاجته ! (فى هذه الأثناء تتجح فى ارتداء الثوب) .

مـــــاريـا : ماذا تقولين ؟

هيلينيـتـسـا : كلا ، . . معذرة . كنت فى طريقى إلى خريستاكى . فدلق زوجك فسـتانا من الحبر على الزجـاجة . كلا ، معذرة. ليس الأمر كذلك .

مـــــاريـا : (تنقض عليها) اخرجى ، ياعديمة الحياء !

(تنصرف هيلينيتسا من الباب الرئيسى ، قائلة)

هيلينيـتـسـا : آخ ، يا بيبيتسـا ، أنت السبب . لعنة الله على عينك الحسود !

(تبقى ماريا وحدها على المسرح ، وقد انقلب كيانها النفسى رأسا على عقب تجيل بصرها من حولها محبطة . من الداخل بالجانب الأيسر ، يسمع صوت كسينوفون) .

الصـــــوت : هـا أنا احـضـر إليـك أفـضل مـا لـدى زوجـتى من فساتين . .

مــــاريـا : آه ياله من وغـد ! كان سيـعطيهـا كل فسـاتينى لو لم أسارع بالمجئ والحق به !

(يدخل كسينوفـون من جهة اليمين ممسكا بفستانـين أو ثلاثة فساتين أخرى . تبتسم أساريره ، ولكنه ما أن يرى زوجته بدلا من هيلينيتسا يتتابه الذهول)

كـسينوفـون : اوه ! إنها ماريا !

مــــاريـا : اجل ، ياسيد .

كـسينوفـون : لماذا عدت ؟

مــــاريـا : لماذا ؟ حمداً لله أننى عدت ، ذهبت ماما إلى كيفيسيا .

كـسينوفـون : أين الصبية ؟

مــــاريـا : الصـبيـة ! لازلت تطلب الصبـية ! مـا هذه الوقاحـة يااستاذ للتاريخ ! تحـضر فساتينى لتهديهـا إليها كلها ، ياقليل الأدب ! وقد كنت أتسائل عما يحدث لفساتينى التى كانت تختفى من حين لآخر .

كـسينوفـون : ماريا . .

مــــاريـا : يالص !

كـسينوفـون : لعلك تعتقدين أننى . . .

مــــاريـا : اخرس ، لهـذا تبعث بـى من وقت لآخر إلى مـاما . هيـه ؟ كى تعـبث ، أيهـا المهـرج ، الذى لا تكفـيك

زوجة واحـدة ، فتريد لنفسـك عشيقـة ! لكن مادمت هكذا ، فاعلم بدورك ياسيـد أن ماريا ليست إمرأة من تلك اللاتي تتخيلهن . أنا أيضا لى عشيق !

كسينوفون : (وقد اذهلته المفاجأة) ماذا ؟

ماريا : (بغضب وعناء) أجل ، أجل ، أجل ! ولو كـان يخطر ببالك أنك تضحك علىّ ، فأنت مخدوع ! لأننى كنت بدورى أضحك عليك ، وعلى نحو أبرع منك بكثير ، الا تخـجل من نفسك ، وأنت فى سنك هذه . أيـها الإنسان المثقف ، الباحث فى بطون التاريخ !

كسينوفون : أكان لك عشيـ . .

ماريا : عشيق ! صديقك خارميذيس .

كسينوفون : خار . . .

ماريا : . . . ميـذيس ! ميذيس ! ميـذيس ! أجل ، صديقك خارميذيس !

كسينوفون : أوه ، يوروبيذيس ، عزيزى .

ماريا : يقـول : يوروبيـذيس ! عـزيزه يوروبيـذيس . لا زال يذكر يوروبيذيس . ليس لديه كلام آخر يقوله . اوه ، كـان يجب أن أعـرف هذا ، أنا الغـبيـة ، البلهـاء ، السـاذجـة ، فلا ينهشنى كـل ذلك الخوف ، والعناء ، والوخزات ، أجل ، ياسـيد ، الوخزات (بنبرات باكية)

لا يمكنك أن تعرف كم كلفتنى أنا هذه الحكاية . كنت أعذب نفسى، أتخذ مالا يحصى من الاحتياطات ، وأرتعد فرقا وأشقى ، أنا المسكينة ، جاهدة بكل الوسائل الممكنة ألا أعرض سمعتك للخطر . يفقد المرء عقله إزاء سذاجتى وبلاهتى . أتعرف ياسيد ، ماذا كلفتنى هذه المعاناة ؟ فقدت خمسة كيلوجرامات من وزنى فى مدة شهرين . . .

كسينوفون : وأنا المسئول !

ماريا : ومن غيرك ؟

كسينوفون : عن الوخزات التى نالتك، فى حين ما كان يجب أن تنالك لو انتظمت الأمور فى سيرها .

ماريا : بكل تأكيد . .

كسينوفون : وتسألينني لماذا لم أقل لك : ماريا ، يابنيتى ، لا تخافى ، فى سبيلك .

ماريا : تقريبا . .

كسينوفون : (ثائرا) أوه ، هذا يتعدى كل حدود الصفاقة !

ماريا : ما أظرف هذا ! يتكلم السيد عن الصفاقة ! وهو الذى بلغت به الصفاقة إلى حد إحضار عشيقته إلى بيتى ذاته ! ولكن بالله ماذا وجدت فيها فأعجبتك ، كلا ، قل لى ماذا وجدت فيها ، ياسيد ، يامن ضحيت من

أجل هذه المرأة باحترام الناس وبسعادتك العائلية ؟ امرأة مقززة هى ، ولا شئ غير ذلك . أنفها طويل ، فمها واسع ، عيناها متهرئتان ، ساقاها معوجتان . لقد عنيت بتأملها . ولكن هذا مستوى ذوقكم ، ياجنس الرجال ، أمثال هذه الحثالات تروق لكم !

كسينوفون : (وقد أذهلته الفكرة التى اتضحت له ، يحدث نفسه) خارميذيس !

ماريا : ياأيها الجنس الصفق . !

كسينوفون : صديقى !

ماريا : ذراع المقشة هذه ، استهوتك !

كسينوفون : هذا شئ غير معقول !

ماريا : بطبيعة الحال ، هو شئ غير معقول . هدامة البيوت هذه ، مفرقة الأزواج . لابد أن نفسها قد سولت لها أن تتزوجك ، ولكنها لا تعرف أىّ صنف من الأزواج أنت ، ولا يخطر ببالها أننى كى أتعود عليك ، وآلف نزواتك وكتبك وخفك المنزلى والسعال المخيف الذى ينتابك فى منتصف الليل ، أمضيت من عمرى خمس سنوات سوداء . ياناكر الجميل ، ياخائن العشرة ! يامن ضحيت بالكثير كى أعينك فى أبحاثك العلمية . كفاك جحودا .

كسينوفون : أشكرك على المعاونة التى قدمتها لى ، لكننى كنت أفضل لو لم تكونى قد قدمتها .

مــــــــاريــا : لماذا لاتفهم ! إنــك لا تفهمنى أبدا ، أنا الــتى حتى لا أعوقك عن أبحاثك فعــلت كل ما كان بوسعى (تبكى) حتى خيانتك أقدمت عليها من أجلك !

كــسينوفــون : إنى شاكر لك جزيل الشكر تضحيتك الهائلة !

مــــــــاريــا : أيها الكافر بالنعمة .

كــسينوفــون : أنت مجنونة ، مجنونة !

مــــــــاريــا : أجل ، أجل ، مـجنونة ! من صالحك أن تقـول عنى ذلك . ولكنى أنا المسكينة اضطررت أن أقيـم علاقة مع خارميذيس ، ليس من أجل شئ ســوى أن أجد متنفسا لحيـويتى . مائة مـرة قال لى الرجل ما الـذى يجعلك تريدين هذا الكهل المهلهل . تعالى نرحل ، ونتزوج ، ولكننى أنا الحـمقاء البـلهاء كنت أحب ، كـما ترى ، هذا الكهل المـهلهل ! ولم يخطر ببـــالى قط أن أطلق منه. أما الآن ، فـإنى سأرحل ! سأرحل ، ياسـيد ، عن البـيت الدنس هذا . وحـذار أن تتجـاسـر وتنبس بكلمة أخرى ، لأننى سأهوى بالصفعة على وجهك .

كــسينوفــون : ماريا !

مــــــــاريــا : أيها المتهتك !

كــسينوفــون : أفيقى ، وثوبى إلى رشدك .

مــــــــاريــا : أفقت ، وثبت إلــى رشدى . ستـعود مامـا الليلة من كيفـيسيا . ولذلك ، سأذهب حـالا ، حالا ، أجمع

بعض حاجياتى ، وأرحل . ولو سولت لك نفسك أن تصعد إلى وتعاود الحديث إلى ، سأضربك !

(تهم بالانصراف)

كسينوفون : اسمعى ياماريا . . .

ماريا : لا أسمع شيئا (تنصرف . ثم تعود) ما اسمها ؟

كسينوفون : لا أعرف .

ماريا : ولماذا أصدع رأسى بالسؤال عن اسمها ! ليس هذا من شئونى ، ولا يعنينى

(تخرج ناحية اليسار)

(يبقى كسينوفون وحيدا على المسرح . وقد شرد ببصره فى الاتجاه الذى خرجت منه ماريا . من الباب الخارجى يدخل خارميذيس . وهو شاب لا يزيد عمره عن الثلاثين . خفيف الظل . يشوش) .

خارميذيس : أوه ، سلام عليك ، يا استاذ كسينوفون . . .

كسينوفون : (ينظر إليه . يزدرد لعابه . متمالكا نفسه) وعليك السلام ، ياسيد خارميذيس . .

خارميذيس : لم أفرغ من أعمالى إلا توا ، وجئت لأنعم بصحبتك قليلا .

كسينوفون : جئت فى الوقت المناسب . .

خارميذيس : والمدام ؟ أين المدام ؟

كسينوفون : (يسلط نظراته فى عينيه) إجلس . . .

خارميذيس : (يجلس) شكراً. أرجو أن أسعد اليوم بالاستماع إلى تكملة الفصل الذى قرأته لى يوم الثلاثاء الماضى . استهوانى كثيرا كيفيسيفون هذا على حسب رسمك لشخصيته .

كسينوفون : (ينظر إليه) طبعا ! طبعا !

خارميذيس : كما تبدو زوجة يوروبيديس فضلا عن ذلك أمرأة على غاية من الشرف والفضيلة . وأنك لتستحق التهنئة على ردك الاعتبار إليها ، بعد كل هذه العصور من الافتراء عليها .

كسينوفون : هل تعتقد ذلك ؟

خارميذيس : لا أشك فى ذلك (ينظر إليه دهشا) لكن ما بك ؟ تبدو مضطربا بعض الشئ .

كسينوفون : أجل ، بعض الشئ .

خارميذيس : ماذا حدث ، ياسيدى الأستاذ ؟

كسينوفون : حدث لى شئ غريب ، ياعزيزى . (بإيحائية) وبدأت أشك جديا فى إخلاص زوجة يوروبيديس . .

خارميذيس : أوه ، وكيف يحدث ذلك ؟

كسينوفون : يحدث ! يحدث . .

خارميذيس : لكنك ياسيدى الاستاذ ، أهرقت مدادا كثيرا لإثبات ما هو عكس ذلك تماما .

كسينوفون : أجل ، ولكن يبدو أن أفضل السبل ليس أن يهرق المرء الحبر على هذا النحو . يتعلم المرء أكثر لو دلق زجاجة حبر من النافذة . .

خارميذيس : (دهشا) كيف ؟

كسينوفون : على فستان امرأة .

خارميذيس : لا أفهمك . . .

كسينوفون : سأشرح لك . (ينظر في عينيه) أواجه بعض المشاكل ، وأريد أن اسألك النصيحة . ماذا تعتقد أنت ، ياصديقي ؟ ماذا كان على يوروبيديس أن يفعل لو نما إلى علمه أن صديقه كيفيسيفون عشيق زوجته ؟ أماكان يجدر أن يخبره بذلك ، ياسيد كيفيسيفون ؟ يامن لا ضمير لك ، ما دمت تدخل إلى بيتي ، تتظاهر بأنك صديقي، وتغوي زوجتي ؟

خارميذيس : (يسعل متضايقا) . . .

كسينوفون : أما كان يجب أن يخبره ؟

خارميذيس : (مضطربا) وكيف لا ، أجل ، كان يجب . .

كسينوفون : (يزداد اقترابا منه ، ويصوب نظراته إلى أعماق عينيه) أما كان يجب أن يخبره يا سيد كيفيسيفون ؟ أنت رجل مخادع وأعجب كيف تواتيك الجرأة أن تواجهني ، بل وأيضا أن تنظر إلى عيني ، وذلك بدل أن تخفض عينيك خجلا . .

خـارميـذيس : (يخفض عينيه بطريقة آلية) . .

كـسينوفـون : أما كان يجب ذلك ؟

خـارميـذيس : (وقـد ارتبك تماما) كيف ، لا بالطبـع . كـان يجب . .

كـسينوفـون : (يزداد اقترابا منه بينما يتكمش خارميذيس فى مقعده) أما كان يجب أن يخبـره ؟ ياسيد كـيفيـسيفون ، يعطـينى العالم كله الحق أن أطبق على عنقك وأزهق روحك ، مادمت قد سرقت منى زوجتى ، وخنت أشـرف ما فى الوجود ، خنت الصداقة !

خـارميـذيس : (يزدرد لعابه وقد جف حلقه ، واستبد به الخوف)

كـسينوفـون : أما كان يجب ذلك . ؟

خـارميـذيس : كيف لا ، بالطبع ، كان يجب .

كـسينوفـون : (يتراجع قليلا) ولكن إذا لم يكن يوروبيـديس يريد إثارة الفضيحة لأنه كان لازال قادرا على حب أمرأته ، فهى على الرغم من زلتها أغلى مـا فى الوجود بالنسبة له ، هى أهزوجة فرح فى زخم كـتبه البليدة ، ونغـمة مرح ربيعى فى شتـاء روحه الملبدة . ولهذا فهو مـستعد أن يغتفر لها كل شئ ، لمجـرد الاحتفاظ بها إلى جواره - إذا كان هذا ما حدث . . .

خـارميـذيس : (بدأت لهجته الحائرة) إذا . . .

كـسينوفـون : أما كان يجب أن يقول لكيفيسيفون . . . (فجأة يغير لهجته الرقيقـة ، وينقلب على خارميذيس شرس العـبارة ، مواصلا كلامه غـاضبا)

أيها الحقير القذر ! أيها الوغد الحمار ! وقعت فى أسوأ ما يمكن أن يوقع فيه إنسان لا ضمير له ! ولكننى لن أخنقك ، أيها المخلوق التافه المضحك ، لأننى لا أريد أن أثير الفضائح . (بصوت ضار) اخرج من هنا ، إلى الجحيم فلتذهب ، ولاتضع قدمك فى بيتى ، لأنك إن فعلت ، فسأقطع ساقيك ! (بينما يقول كسينوفون هذا الكلام لخارميذيس ، يتضاءل هذا الأخير منكمشا فى مقعده وقد تملكه الخوف . بعد ذلك يغير كسينوفون من لهجته رويدا رويدا . يتراجع ، ويقول بصوت أكثر رقة ، كما لو كان يتكلم عن شخص غيره) هذا ماكان سوف يقوله يوروبيذيس !

خارميذيس : أ . . . أجـ . . أجل . . .

كسينوفون : (تدخل ماريا ثائرة ، وقد ارتدت قبعة ، متأهبة للخروج . ما أن ترى خارميذيس حتى توجه إليه خطابها بألفة ، وإصرار)

ماريا : آه ، أنت هنا ياخارميذيس . . هيا ، فلنذهب !

خارميذيس : (دهشا من لهجتها . ينهض من المقعد وينظر إليها) ماذا ؟

ماريا : فلنذهب . فلنذهب !

خارميذيس : (لازال دهشا) سيدتى . .

ماريا : فلنذهب . ودعك من مناداتى بياسيدتى . إنه يعرف كل شئ !

كسينوفون : (إلى ماريا) اهدئى قليلا ، ياماريا . اهدئى . .

مـــــــاريـا : لن اهدأ أبدا ! (إلى خارميذيس) هل تتصور ذلك ؟ وجدته هنا مع عشيقته . كانت عارية . كما ولدتها أمها ! ولشدة خوفها عندما سمعتنى قادمة ارتبكت فارتدت أحد فساتينى !

خـارميـذيس : (دهشا) صحيح !

مـــــــاريـا : أجل . هذا ! هذا القديس ! (تشير إلى زوجها)

خـارميـذيس : (يتشجع) آه هكذا ؟ تهانى ، ياسيدى الأستاذ ! فى هذه الحالة ، لا تصبح الأمور بالتعقيد الذى بدت عليه . كان بإمكان كيفيسيفون أن يلتفت إلى يوروبيديس بشكل رائع ويقول : ياسيد يوروبيديس ، ما أردته لغيرك ترديت فيه أنت .

(من الباب الخارجى ، تدخل هيلينيتسا بصحبة خريستاكى . هيلينيتسا ثائرة على الدوام وعصبية ، ترتدى فستانا من فساتينها هذه المرة وتحمل لفافة . ما أن يدخلا تشير إلى كسينوفون وتومئ لخريستاكى)

هيلينيتسا : ها هو ! هذا هو !

خـريستـاكى : (إلى كسينوفون) ياسيد ، يحزننى كثيرا إهمالك وعدم تحركك ، ولكنك ستدفع لنا التعويض بالكامل .

كسينوفون : سأدفع لكما التعويض ، ياسيد . .

خـريستـاكى : أين فستان الآنسة ؟

كسينوفون : (يتناوله من أحد المقاعد ويعطيه له ، بينما يتابع ماريا وخارميذيس ما يحدث مندهشين) تفضل ، تفضل ، ياسيد ، هاهو .

هيلينيتسا : (تأخذ الفستان، وتبسطه. فيبين كل ما علاه من بقع الحبر) انظر كيف أحاله! كنت قادمة بفرحة لألقاك، وفجأة أثناء مروري من تحت نافذته ارتطم رأسي بشئ. المحبرة كلها سقطت علي. (مشيرة إلى الإصابة) انظر! أحدث بي كدمة! (تشير لخريستاكي وإلى ماريا) وهذه الذكية هناك كادت تزهق روحي معتقدة أنني صديقته! (إلى ماريا) ومن ترضى بكهلك الوخم! (تقذف إليها بالفستان) خذي قفطانك القديم. (إلى كسينوفون) وأنت عليك بتجهيز النقود. غدا، سيمر عليك خريستاكي ليأخذها كلها! (إلى خريستاكي) هيه، أليس كذلك، ياخريستاكي؟

خريستاكي : (إلى كسينوفون) غدا صباحا.

هيلينيتسا : (إلى كسينوفون) ثلاثة آلاف عن الفستان، وألفان عن الأضرار النفسية، وثلاثة عن الكدمة بالرأس!

كسينوفون : اتفقنا..

هيلينيتسا : هيا، ننصرف، ياخريستاكي؟

خريستاكي : هيا، ننصرف.

هيلينيتسا : (تقذف إلى كسينوفون الفستان الملطخ ببقع الحبر) وهذا خذه كي تدعك به رأسك الصلعاء! (إلى خريستاكي) انظر أي رجل تصورت المدام أنني اشتهيته (إلى ماريا) احتفظي به، ياسيدتي، حتى تجرى عليه سحبا فى اليناصيب يوم الأحد!

خريستاكى : هيا ، تنصرف ، ياهيلينيتسا . . .

هيلينيتسا : هيا (تتأبط ذراع خريستاكى ، وينصرفان)

(ماريا خجلة بسبب كل هذا ، وتبدو تائهة)

ماريا : ياه ، ياه . . . ياله من مقلب !

كسينوفون : (ينظر إليها برقة) هل تصرين على الرحيل ، ياماريا ؟

ماريا : (بلهجة اختلطت فيها ثورة للجدلية ببراءة طفلة) سامحنى ، ياكسينوفون .. لكن لا ذنب لى، أيضا! يوروبيديس، كيفيسيفون .. كيفيسيفون ، يوروبيديس .. بهما جننتنى سنوات طوال ! لا نزهة ، ولا مسرح، ولا سينما ، ولا لحظة تكرسها للتفكير فى زوجتك ، لا تفكر إلا فى زوجة يوروبيديس !

خارميذيس : إذن ، ياماريا . . .

ماريا : (بعصبية) دعنى وشأنى أنت أيضا ! رجوتك رجاء وحيدا ، ألا تضع قدمك فى بيتى ، ولكنك على الدوام هنا ، هنا ، هنا ! جرفك الاهتمام الشديد بكيفيسيفون !

خارميذيس : (بآلية) إذن ، اسمحوا لى الآن بالانصراف .

ماريا : هيا ، مع السلامة . . .

خارميذيس : (إلى كسينوفون خجلا) ياسيدى الأستاذ . . .

كسينوفون : (بلهجة هادئة) أخل البيت ، اغرب عنا . . .

(ينصرف خارميذيس ، يلتفت كسينوفون إلى ماريا ، ويقول بلهجة رقيقة)

كسينوفون : ماريا ، عزيزتي .

ماريا : (بدلال مثل طفلة) أجل ، الآن فحسب استيقظت عواطفك !

كسينوفون : أنت رائعة الجمال ! . .

ماريا : مبروك ، عادت إليك عيناك . الآن فحسب تنبهت إلى وجودي .

(تخرج من جهة اليسار) .

(يبقى كسينوفون وحيدا على المسرح ، مستغرقا في التفكير . يتنهد ثم يمضي إلى مكتبه . يتناول مسوداته، يتأملها ويقول محادثا نفسه) .

كسينوفون : التاريخ ! أيها المسكين كسينوفون ! لم تكن تعلم ماذا يجري في بيتك ، وتعتقد أنك تعرف ماذا كان يجري في بيت يوروبيديس . . . منذ ثلاثة آلاف سنة ! . . مزق مسوداتك ، مزق ! (يمزق مسوداته على مهل ، بينما يسدل الستار .)

الفهـــرس

صفحة

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز
الإشراف الفنـــى: حســـن كامـــــل

عرف المسرح اليونانى بعد الحرب العالمية الثانية جيلا اعتبر كتابه أنه ليس من الصواب الاعتقاد بأن التجربة الوحيدة التى يجب أن يعتد بها كاتب المسرح اليونانى الحديث هى المسرح الإغريقى بتقاليده وانشغالاته وطقوسه بالغة القدم، وقرروا ألا يجعلوا ذلك المسرح بكل عظمته يشكل عبئا جسيما يقف فى وجه الإبداع المسرحى، ذلك أنه عندما تشحذ الحركة المسرحية قواها الإبداعية قد تبلغ عظمة مماثلة لعظمة ذلك المسرح العريق. أما البدء بتقليده والتبعية له فليس من شأنه إلا التردى فى العقم والفشل.

كانت جرأة بالغة غير مأمونة العواقب أن قرر طليعيو المسرح فى اليونان أ
يديروا ظهورهم لمسرحهم الإغريقى
ويسيروا فى مغامرة إبداعية شاركوا ب
فى الحركة الأوروبية، ليس كمتفرجي
فحسب، بل بدوا فى كثير من الأحيا
أكثر إقداما وثقة بما يفعلون من رفاقه
الطليعيين فى المسرح الغربى.

تصميم الغلاف : محمد بغدادى